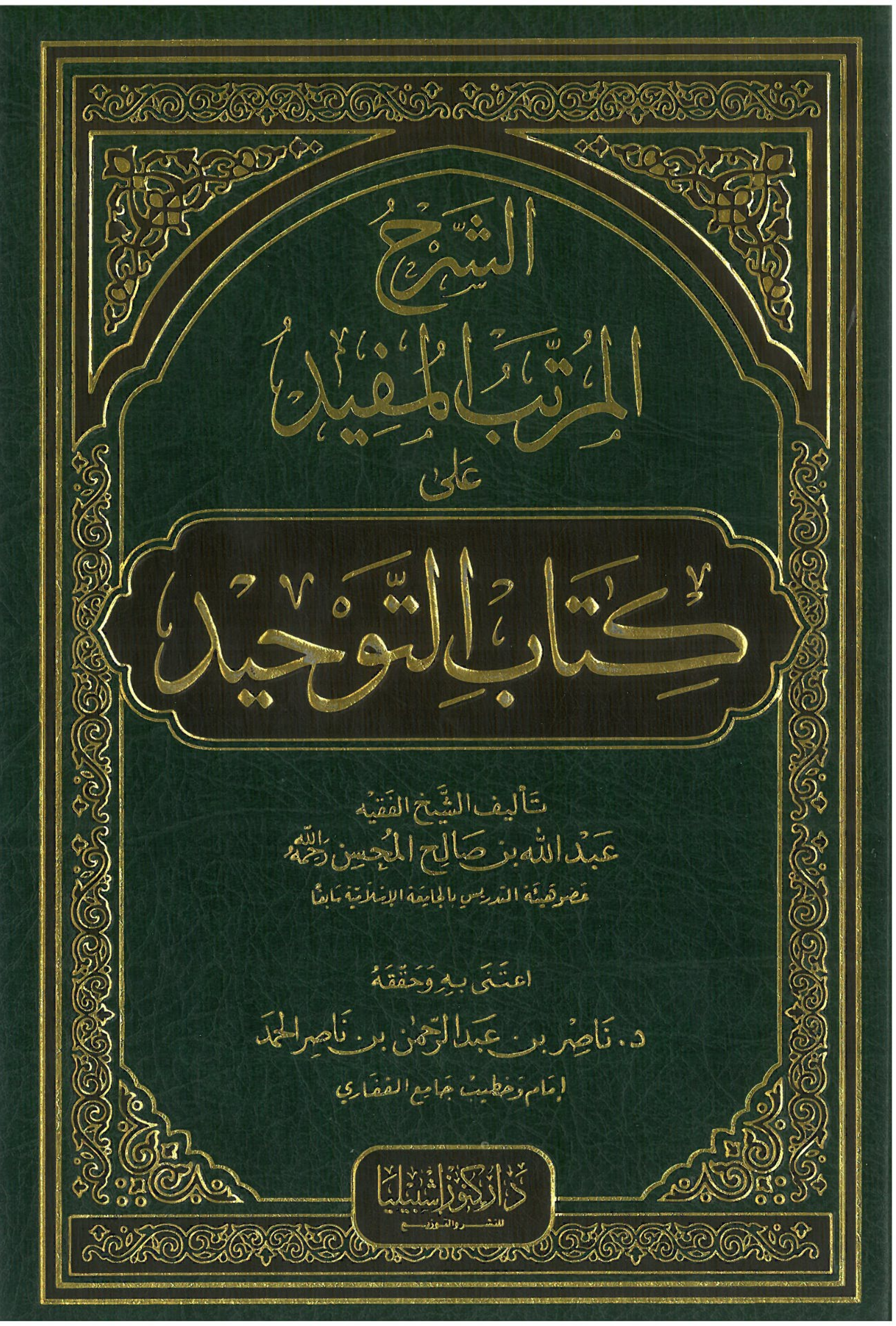


الشرح
المرتب المفيد
على
كتاب التوحيد
تأليف الشيخ الفقيه
عبد الله بن صالح المحسن رحمه الله
عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية سابقاً
اعتنى به وحققه
د. ناصر بن عبد الرحمن بن ناصر الحمد
إمام وخطيب جامع الغفاري
دار كنوز إشبيليا
للنشر والتوزيع

ح) داركنوز إشبيليا للنشر والتوزيع ١٤٣٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المحسن، عبدالله صالح محسن

الشرح المرتب المفيد على كتاب التوحيد/ عبدالله صالح محسن المحسن

ناصر عبدالرحمن الحمد - الرياض ١٤٣٤هـ

٢٧٢ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٨-٦-٤٦-٨١٢٤-٦٠٣-٩٧٨

١- التوحيد ٢- العقيدة الإسلامية

أ. الحمد، ناصر عبدالرحمن (محقق) ب. العنوان

ديوي ٢٤٠ ٣٨٢٤/ ١٤٣٤هـ

رقم الإيداع: ١٤٣٤/٣٨٢٤

ردمك: ٨-٦-٤٦-٨١٢٤-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

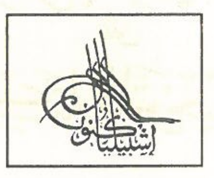
١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م

داركنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

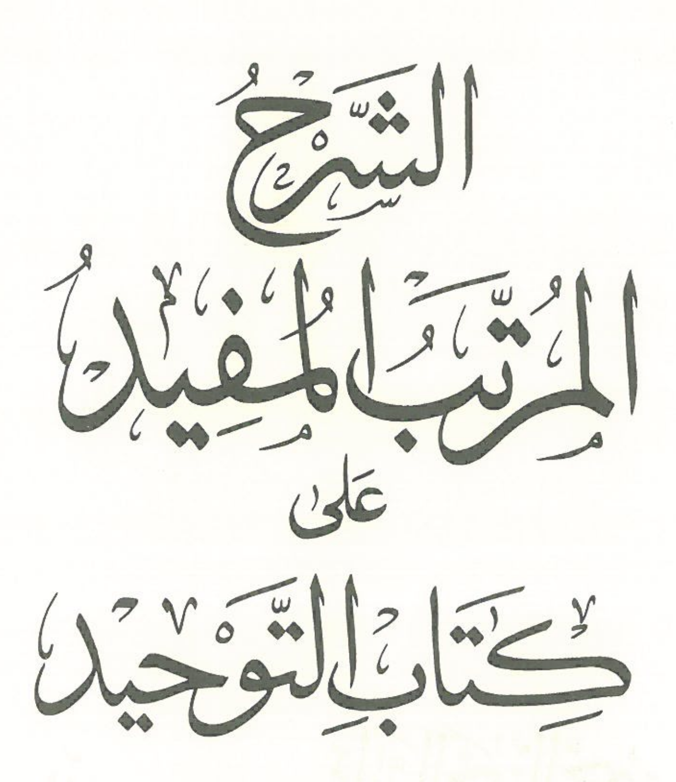
هاتف: ٤٩١٤٧٧٦– ٤٩٦٨٩٩٤ فاكس: ٤٤٥٣٢٠٣

E-mail: eshbelia@hotmail.com



الشرح المرتب المفيد على كتاب التوحيد





تأليف الشيخ الفقيه
عبد الله بن صالح المحسن رحمه الله
عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية سابقًا

اعتنى به وحققه
د. ناصر بن عبد الرحمن بن ناصر الحمد
إمام وخطيب جامع الغفاري





ترجمة الشيخ عبدالله بن صالح المحسن

الحمد لله، وبعد: فإن الله تعالى جعل العلماء نجوم الأرض، إذا ذهبوا بقي نور علمهم بتلاميذهم وكتبهم وفقههم الذي بثوا ضياءه على الناس ليكون لهم نورا في الحياة يستبصرون الهدى والنور ويعرفون الخير من الشر والحق من الباطل.

ولا شك أن العلماء هم ورثة الأنبياء وهم حملة العلم من بعدهم يهدون ويرشدون ويبينون ويوضحون، كلٌّ على حسب ما أعطاه الله تعالى، فذاك بقلمه، والآخر بلسانه وبيانه، وثالث بطلابه وتلامذته، وقد رفعهم الله تعالى لما رفعوا ذكره وأعظموا أمره ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [سورة المجادلة: آية ١١]، وكان حقا علينا أن نحفظ حقوقهم ونصون جنابهم ونبين أمرهم للناس ليعرف الناس فضلهم ومكانتهم وعلمهم.

وقد كتبنا هذه الترجمة لجدنا الشيخ العالم: عبدالله بن صالح المحسن الذي يعرفه كل من كان في زمانه من أهل العلم ممن كانوا من أهل الحديث ، وما كتبناه هو غيض من فيض مما جرى له في حياته، وقد مر بالشيخ حادث كان له أبلغ الأثر في وقوفه عن مواصلة التعليم ومخالطة العلماء والحمد لله على كل حال، وقد بقي في مدينة الرسول ﷺ، ويأتي إليه الطلاب من بعض الدول خاصة الدول

الخليجية ليأخذوا منه إجازات في التعليم وما زالت له علاقات مع بعض العلماء منهم الشيخ صالح بن حميد وذلك لعلاقة الشيخ مع والده الشيخ عبدالله بن حميد، وكذلك له علاقة بإمام الحرم الشيخ محمد السبيل رحمه الله والذي زامله في الدراسة.

ولادة الشيخ ونشأته:

ولد الشيخ سنة ١٣٣٣هـ في الشيحية بالقصيم ويرجع أصل نسب الشيخ إلى قبيلة سبيع من العرينات وأصل مرجع الشيخ يعود إلى قرية الضلفعة إحدى قرى القصيم وكانت معروفة بالزراعة والخير الوفير حيث كان فيها أجدادنا الأوائل حين كان حمد المحسن (الجغافي) جد الشيخ عبدالله أميراً عليها أكثر من أربعين سنة.

نشأ الشيخ عبدالله نشأة مباركة بين كنف والدين كريمين حريصا على أن ينهل من العلم وأن يوفق فيه، وحرص الشيخ أن يجمع في أخذه للعلم من كثير من المناطق، حيث طلب العلم في القصيم والرياض ومكة والمدينة على يد علماء كان لهم الأثر البالغ في إخراج كثير من أهل العلم والمشايخ.

بداية طلب الشيخ للعلم ومراحل حياته العلمية:

رحلاته العلمية:

درس الشيخ في القصيم على جمع من أهل العلم وكانت أول رحلة له إلى بلدة البكيرية حيث درس على مجموعة من مشايخها وعلمائها، ثم مدينة بريدة ثم

قدم الشيخ إلى مدينة الرياض عام ١٣٦٤هـ، لينهل العلم من المشايخ وعلى رأسهم الشيخ العلامة محمد بن عبداللطيف رحمه الله جد سماحة مفتي عام المملكة سماحة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ وفقه الله.

وقد حرص الشيخ أن يكون في طريقة تعلمه متبعا للسنة ونابذا للتعصب متبعا للحق ولذا فقد فاق كثيرا من أقرانه في طلب العلم حيث لم يكن مقتصرا في نهل العلم من كتب المذهب الحنبلي فحسب، بل كان ينهل من جميع المذاهب ويرجع لكلام المحققين من أهل العلم كابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالى.

بدأ الشيخ عبدالله بالتدريس في ثرمدا، ثم عين مُدرساً ومديراً لمدرسة ثرمدا الابتدائية من عام ١٣٧١إلى عام ١٣٧٢هـ، وتخرج من كلية الشريعة عام ١٣٨٠هـ، ثم استقرّ بالمدينة عضوا في هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية في ١/ ٥/ ١٣٨١هـ.

وقد حبا الله تعالى الشيخ كثيرا من الفراسة والحكمة ومعرفة الناس ومعادن الرجال حتى عرض عليه العلامة الشيخ عبدالله بن حميد القضاء مرتين وألح عليه في ذلك ولكن الشيخ رفض واعتذر.

مشايخه:

درس في البكيرية على قاضي البكيرية الشيخ محمد بن مقبل (١٢٨١-١٣٦٨هـ)، وعلى الشيخ صالح الشاوي (١٣٠٨-١٣٨٠هـ)، والشيخ محمد بن صالح الخزيم قاضي الرس والمذنب فيما بعد (١٣٢٠-١٣٩٤هـ)، والشيخ



سليمان بن صالح الخزيم قاضي نجران وعروى (١٣٢٥-١٤٠٧هـ)، والشيخ عبدالعزيز بن عبدالله السبيّل قاضي البكيرية (١٣٢١-١٤١٢هـ) وذلك بعد ابن مقبل، وقد زامل في دراسته عليه إمام الحرم المكي الشيخ محمد السبيل رحمه الله، وكان أخا للشيخ عبدالعزيزالسبيل.

وقد زامل بعض مشايخه عند الشيخ ابن مقبل فأصبحوا مشايخ وزملاء ثم ارتحل الشيخ إلى مدينة بريدة للتزود من العلم فطلب العلم على بعض المشايخ الكبار في بريدة منهم: الشيخ عمر بن محمد بن سليم قاضي بريدة (١٢٩٩-١٣٦٢هـ)، والشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم العبادي (١٣١٤-١٣٥٨هـ)، والشيخ صالح بن إبراهيم الخريصي رئيس محاكم القصيم (١٣٢٨-١٤١٥هـ) وقد لازمه الشيخ عبدالله قرابة العشرين سنة، وكذلك الشيخ العلامة عبدالله بن محمد بن حميد (١٣٢٩-١٤٠٢هـ) وذلك بعد قدومه لرئاسة محكمة بريدة، ثم رئيساً لشؤون الحرمين ثم رئيساً لمجلس القضاء الأعلى وقد لازمه الشيخ عدة سنوات.

ثم إن الشيخ بعد ذلك ارتحل إلى مدينة الرياض حيث العلماء الكبار فوصل الرياض عام ١٣٦٤هـ، فاجتهد في طلب العلم على المشايخ ومنهم الشيخ محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب قاضي الرياض (١٢٧٣-١٣٦٧هـ) وهو جد سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد بن عبداللطيف آل الشيخ.

ومن مشايخه الذين درس عليهم أثناء دراسته في كلية الشريعة الشيخ عبدالعزيز الرشيد (١٣٤٣-١٤١٨هـ) وكان أول رئيس لتعليم البنات وكان له معه علاقة حميمة قوية فدرسه في الكلية وكان يحضر عنده دروسا خاصة حتى أصبحت علاقته به قويه جداً وكان يجل الشيخ ويقدره وله معه مواقف كثيرة، وأيضا على الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد ابن عبدالوهاب قاضي الرياض (١٢٨٧-١٣٧٢هـ)، والشيخ إبراهيم بن سليمان آل راشد رئيس المحكمة الكبرى في الرياض، وإمام الجامع الكبير في الرياض (١٣٢٠-١٣٧١هـ)، والشيخ عبدالله النصيبي وكان مأذون الأنكحة في الرياض وإماما لأحد المساجد.

رحلة الشيخ في التدريس:

في عام ١٣٧١هـ عين الشيخ عبدالله مدرساً ومديراً لمدرسة ثرمدا الابتدائية وزامله في التدريس الشيخ عبدالرحمن العجلان رئيس محاكم القصيم سابقا والمدرس في الحرم المكي. والشيخ سعد العنقري إمام وخطيب جامع ثرمدا والشيخ سليمان الدخيل، وحينما قام مدير عام المعارف الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن محمد بن مانع (١٣٠٠-١٣٨٥هـ) بجولته التفقدية في بعض أنحاء المملكة عام ١٣٧٢هـ ،كان من ضمن البلدان التي زارها بلدة ثرمدا وحضر الشيخ إلى المدرسة وناقش الطلاب وأبدى إعجابه بالشيخ وبتدريسه.

وفي عام ١٣٧٢هـ فتح المعهد العلمي في بريدة فذهب الشيخ عبدالرحمن العجلان وترك المدرسة وبما أن الشيخ كان مكلفاً في الإدارة أرسل طلباً للإعفاء

من الإدارة والتدريس ليلتحق بالمعهد العلمي فلم يتيسر له إلا السنة الثانية فإذا بزملائه قد انتقلوا من مرحلة إلى أخرى فاختبر الشيخ وقفز وكان يسمح بالقفز في ذلك الوقت لمن يجتاز الامتحان فلحق بزملائه ثم استمر في الدراسة في المعهد وكذلك واصل الدراسة على المشايخ ومنهم الشيخ عبدالله ابن حميد والشيخ صالح الخريصي وغيرهم.

زملاؤه في المعهد وعند المشايخ في المساجد:

زامله في تلك الفترة مجموعة من طلاب العلم في المعهد وفي المساجد منهم:

معالي الشيخ صالح بن فوزان الفوزان عضو اللجنة الدائمة والإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء، والشيخ عبدالرحمن العجلان رئيس محاكم القصيم سابقا والواعظ في المسجد الحرام، والشيخ علي الضالع (١٣٢٨-١٣٩٧هـ) المدرس في معهد بريدة حيث تخرج على يده نخبة من طلبة العلم منهم الدكتور سلمان العودة.

ومن زملاءه الشيخ صالح السكيتي (١٣٣١-١٤٠٤هـ) والذي درس على يديه كثير من العلماء، ومن زملائه معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي رئيس رابطة العالم الإسلامي المساعد، وله معه زمالة قديمة، والشيخ إبراهيم القبيلي وهو شاعر معروف، والشيخ علي الحصين (١٣٥٠-١٣٨٢هـ) مدير تعليم البنين بالنيابة في القصيم، والشيخ صالح الغانم (١٣٣٧-١٣٩٨هـ) وهو من أعيان علماء بريده، والشيخ علي بن عبدالعزيز المشيقح (مساعد رئيس محاكم القصيم)،

والشيخ محمد بن عبدالعزيز المشيقح (١٣٢٧هـ-٢٠٠٧م)، والشيخ العلامة عبدالله الغنيمان المدرس في المسجد النبوي، وغيرهم كثير.

وكذلك ممن درس عليه وزامنه العلامة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله (١٣٣٠-١٤٢٠هـ) مفتي عام المملكة ورئيس هيئة كبار العلماء، والعلامة عبدالرزاق عفيفي رحمه الله نائب رئيس الإفتاء (١٣٢٣-١٤١٥هـ) والشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي (١٣٢٥-١٣٩٣هـ) رحمه الله صاحب كتاب (أضواء البيان).

عمله في الجامعة الإسلامية:

لما تخرج الشيخ من كلية الشريعة عام ١٣٨٠هـ عين قاضيا في عقلة الصقور فاعتذر الشيخ وتشفع له الشيخ ابن باز رحمه الله وطلب من الشيخ محمد بن إبراهيم أن يجعله معه في الجامعة الإسلامية مدرساً، فوافق الشيخ بعد إلحاح من الشيخ ابن باز رحمهما الله تعالى، فانتقل الشيخ إلى المدينة المنورة للتدريس في الجامعة الإسلامية، فأصبح من المؤسسين للجامعة الإسلامية، فاستقر الشيخ في المدينة منذ تعيينه في ١/ ٥/ ١٣٨١هـ حيث كان سماحة الشيخ العلامة الإمام ابن باز رحمه الله نائبا لرئيس الجامعة الإسلامية وكان رئيس الجامعة سماحة الشيخ العلامة الإمام محمد بن ابراهيم رحمه الله تعالى.

ومن باب الذكر الحسن فقد كان العلامة ابن باز رحمه الله يثني على علم الشيخ عبدالله وعلى حسن إلقائه وأسلوبه في طرح العلم حتى إنه من إعجابه فيه أمر بنشر رسالة له في الأخلاق وكانت محاضرةً ألقاها في الجامعة الإسلامية.

عمل الشيخ في الجامعة حتى عام ١٤٠٢هـ وفي عام ١٣٨٥هـ تم طلب الشيخ عبدالله للعمل في القضاء بناءً على توجيهات الشيخ محمد بن إبراهيم وكان يعرفه جيداً، فاجتمع بالشيخ محمد بن إبراهيم أربعة من المشايخ منهم الشيخ ابن باز والشيخ عبدالعزيز الرشيد رئيس تعليم البنات وتكلموا مع الشيخ محمد ابن ابراهيم بأن الشيخ عبدالله قد نجح في التدريس، والقضاء يمكن أن يُسد بالخريجين، وبعد جهد وافق الشيخ محمد على إعفائه واستمراره في التدريس في الجامعة الإسلامية، وفي عام ١٣٩٣هـ انتدب الشيخ للتدريس في الجامعة السلفية بالهند فأقام الشيخ سنتين في مدينة بنارس ودرس عليه جمع من طلبة العلم هناك ثم عاد إلى المدينة فاستمر في التدريس في الجامعة وكان الشيخ ابن باز رحمه الله قد طلب من الشيخ قبل سفره للهند أن يضع منهاجا للتدريس في القسم الثانوي أثناء غيابه في الهند ليسهل على المعلمين من بعده التدريس فوضع الشيخ بعض المذكرات في الفقه والحديث فانتفع بها المعلمون في التدريس وانتفع بها طلاب العلم في الجامعة.

زملاؤه في الجامعة الإسلامية:

زامله في التدريس في الجامعة الإسلامية كثير من طلبة العلم والعلماء، أمثال الشيخ عبدالعزيز بن باز والشيخ محمد الأمين الشنقيطي والشيخ المحدث العلامة محمد ناصر الدين الألباني والشيخ عبدالله يعتبر الشيخ الألباني شيخاً له لأنه استفاد منه فائدة عظيمة أثناء التدريس في الجامعة الإسلامية عام (١٣٨١-١٣٨٢هـ) فتأثر به كثيراً، ومن زملائه الشيخ عمر محمد فلاته رحمه الله أمين

الجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف وهو زميل خاص للشيخ، والشيخ حماد محمد الأنصاري رحمه الله، والشيخ محمد تقي الدين الهلالي ومعالي الشيخ محمد العبودي الرئيس المساعد لرابطة العالم الإسلامي والشيخ أبو بكر الجزائري الواعظ بالمسجد النبوي، والشيخ محمد المختار الشنقيطي رحمه الله، والشيخ محمد عطية سالم المدرس بالمسجد الحرام، والشيخ محمد أمان الجامي، والشيخ ربيع المدخلي، والشيخ عبدالقادر شيبة الحمد المدرس بالمسجد الحرام، والشيخ محمد المرشد، والشيخ عبدالله الفوزان والدكتور محمود ميره والدكتور محمود الطحّان .

تلاميذه:

تتلمذ على الشيخ طلاب كثر منهم الشيخ الدكتور إحسان إلهي ظهير وكان يحب الشيخ كثيراً ويستشيره في أمر الشيعة والرافضة وكان آخر لقاء له قبل شهرين من قتله وأخبر الشيخ أن الرافضة يهددونه فكان الشيخ يطمئنه ويثبته.

ومعالي الشيخ محمد بن محمد المختار الشنقيطي الواعظ بالمسجد الحرام، وعضو هيئة كبار العلماء، والشيخ الدكتور محمد بن حمود الوائلي رحمه الله عميد كلية الشريعة في الجامعة الإسلامية سابقاً، والمدرس في المسجد النبوي والشيخ عبدالعزيز بن عبدالفتاح قارئ رئيس لجنة مراجعة مصحف المدينة النبوية،

وممن لازم الشيخ آخر عمره الشيخ الدكتور عبدالعزيز الطويان عميد كلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية وقد صحب الشيخ عبدالله وقرأ

عليه وكان الشيخ عبدالله المحسن رحمه الله يحب الشيخ عبدالعزيز حباً شديداً ويثق به وكان يقول : هذا ولدي الذي لم يولد مني

ومن طلابه الشيخ المحاضر في الجامعة الإسلامية الدكتور محمد البراك وكان يتردد على الشيخ كثيرا ليقرأ عليه ويستفيد منه

وغيرهم كثير.

مصنفات الشيخ:

للشيخ كتب كثيرة، منها كتاب «تفسير جزء عم»، وهو مطبوع، وكتاب «شرح الأربعين النووية» طبع عدة مرات، وكتاب «أحاديث مختارة» شرح في الآداب والأخلاق بشرح مبسط مناسب للطلبة، وهو مطبوع أيضاً

وكتاب التوحيد الخالص من كتاب الدين الخالص وهو مطبوع.

وأما ما لم يطبع من كتبه وهو في طريقه للطباعة بإذن الله تعالى، «شرح عمدة الفقه» و«شرح عمدة الأحكام» و«شرح كتاب التوحيد» و«تفسير جزء تبارك وشيء من جزء قد سمع»، و« "المختار" من أحاديث المختار » في أحاديث في العبادات والمعاملات والأخلاق وكتب أخرى منها قصص وأخبار ومنها فقه وآثار، نسأل الله أن ييسر طباعتها قريبا.

نهاية تدريسه في الجامعة:

استمر الشيخ في التدريس حتى أحيل على التقاعد عام ١٤٠٢هـ بعد أن مدد له وبعد ذلك اختير ليكون مدرساً في المسجد النبوي إلا أنه أصيب بحادث

مما جعله لا يستطيع التحرك إلا بمغزلين لمدة سنة ثم بعد سنة أصبح يتكئ على مغزل واحد لمدة سنة واعتذر الشيخ بعد ذلك عن التدريس بسبب الإصابة وتفرغ الشيخ للقراءة والمطالعة وأصبح يزوره بعض طلاب العلم للمدارسة والمناقشة والقراءة عليه من السعودية وخارجها .

وفاته :

أصيب الشيخ قبل وفاته بيسير بحمى شديدة وأراد الله تعالى أن يقبض روح عبده وذلك في يوم الأربعاء ١٣/ ٧/ ١٤٣٢للهجرة وصلي عليه في المسجد النبوي صلاة العشاء وأمّ المصلين الشيخ علي عبدالرحمن الحذيفي

تغمد الله الشيخ بواسع رحمته وجوده ولطفه وأسكنه الفردوس الأعلى

وكتب الترجمة سبطاه

الشيخ/ عبدالعزيزعبدالرحمن ناصر الحمد	**الدكتور/ ناصر عبدالرحمن ناصر الحمد**
إمام وخطيب جامع الشعيبي	**إمام وخطيب جامع القفاري**

لما أتى الخبر الجليل … وأشاح عن حِمل ثقيل

وتبعثرت كلماته … وتكدرت بعد الأفول

(الشيخ مات) وقد ثوى … في أرض هادينا الرسول

الشيخ مات وقد بكى … أحبابه بعد الرحيل

غطت على العين الدموع … غدا بها البصر الكليل

هو شيخنا هو من سما … بالعلم في شرف مهول

نوراً علينا ما خبت … أنواره تهدي العقول

حق الفراق وقد مضى … أمر الإله على الأُفول

قبَّلته فوق الجبين … ودعته شيخا جليل

فخراً له بذل العلوم … بمنزل الوحي الجليل

قد عاش في رسم … الكتابة بالمقالة والنقول

حتى أراد الله أن … يجفو الخليل عن الخليل

يا رب فارحم شيخنا … واجعل له الحسنى مقيل

من شعر الدكتور/ ناصر عبد الرحمن الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ

بقلم فضيلة معالي الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد:

فقد اطلعت على جملة من كتاب «الشرح المرتب المفيد» لفضيلة الشيخ عبدالله بن صالح بن محسن المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، فوجدته شرحاً مفيداً مختصراً بقدر حاجة طالب العلم.

وفق الله مؤلفه للخير وأثابه على عمله.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

في ١٤٢٦/١/٢٦هـ



مقدمة

الحَمْدُ لله نَحمَدُهُ وَنَستَعينُهُ وَنَستَغفرُهُ، وَنعوذُ بالله مِنْ شُرورِ أنْفُسِنا وَمِنْ سَيِّئاتِ أَعمالِنا، مَنْ يَهدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ.

وأشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ، وَحْدَهُ لا شَريكَ لهُ. وأشْهدُ أنَّ مُحَمَّداً عَبده وَرسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أمَّـا بَعْـدُ:

فَإنَّ أصدَقَ الحَديثِ كِتابُ الله، وَخيْرَ الهَدْيِ هَديُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحدَثاتُها، وَكُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وَكلَّ بدعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

وبعدُ: فإن كتاب «التوحيد» كتاب عظيم قد جمع فيه المصنف رحمه الله جميع



أحكام التوحيد الذي هو الأساس للدين الإسلامي، لذا فقد تلقاه جميع المحققين من العلماء بالقبول والعمل بما فيه، وها هو يُدرَّس في جميع أنحاء المملكة السعودية مادةً أساسية، وفي غيرها؛ وإني رأيت أن أشرحه على الطريقة الحديثة، شرحًا مرتبًا واضحًا، ينتفع به الطالب المبتدئ في الدراسات الإعدادية وغيرها، وقد لا يستغني عنه المنتهي، وأسميته: **«الشرح المرتب المفيد على كتاب التوحيد»** وقد رتبته على النحو التالي:

متن الحديث - شرح الجمل والمفردات - الشرح الإجمالي - الفوائد - الأسئلة - الطلب من الطالب أن يشرح ما فهمه من الباب بتعبيره حتى يعلم أنه قد فهم ما دَرَسَه.

أسأل الله تعالى أن يكون نافعاً عاجلاً وآجلاً، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

المؤلف

عبدالله بن صالح بن محسن المحسن

المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

قالَ الإمامُ رَحمَه اللهُ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله، وصَلى اللهُ على مُحمَّدٍ وعلى آلهِ وسَلَّـم.

ابتدأ المصنف رحمه الله كتاب «التوحيد» هذا بالبسملة اقتداءً بالقرآن العظيم، وتأسيًا بالنبي الكريم محمد ﷺ في مكاتباته ومراسلاته وعملاً بقوله ﷺ: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بالٍ لا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَهُوَ أَقْطَعُ»، وفي رواية: «أَجْذَمُ»، وفي رواية: «أَبْتَرُ»[1]، وإن كان الحديث في كثير من طرقه ضعفٌ إلَّا أنه تدل عليه الأحاديث الأخرى.

والمعنى متقارب وهو أن الذي لا يبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم ناقص البركة، واقتصر المصنف على الابتداء بالبسملة دون أن يضع مقدمة لكتابه هذا؛ لأن البسملة من أبلغ الثناء والذكر والاستعانة والبركة على ما يمليه كل كاتب وذاكر لها.

والمراد بهذا الكتاب وما يرمي إليه من الموضوع: هو ما بعث الله به رسله من التوحيد وما ينافيه من الشرك الأكبر وما ينافي كماله الواجب وما يقدح فيه من البدع أو ينقص ثوابه من المعاصي وكل وسيلة تؤدي إلى تلك المعاني وذكر بعض أسمائه وصفاته والإيمان بها.

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١٢١٠) والسمعاني في «أدب الإملاء والاستملاء» (٦١) وسنده ضعيف جداً كما بينه الشيخ الألباني في «إرواء الغليل» (١).

وأنواع التوحيد ثلاثة:

* **توحيد الربوبية**: وهو الاعتقاد بأن الله هو الخالق الرازق النافع الضار.
* **وتوحيد العبادة لله**: بجميع أنواعها، الظاهر منها والباطن، ومنها: الذبح، والنذر، والدعاء.
* **وتوحيد الأسماء والصفات**: وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه وما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل من غير تكييف ولا تمثيل بدليل قوله سبحانه في وصف نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

قالَ الإمامُ رَحِمَه اللهُ:

كِتَابُ التَّوْحِيدِ

كتاب: مصدر كتب يكتب كتابًا وكتابةً وكتبًا، ومدار هذه المادة على الجمع، ومنه تكتّب بنو فلان إذا اجتمعوا والكتيبة: بجماعة الخيل والكتابة بالقلم: لاجتماع الحروف والكلمات وسمى الكتاب كتاباً لجمعه ما وضع له من العلوم.

والتوحيد نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات: وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات. وتوحيد في الطلب والقصد: وهو توحيد الألوهية والعبادة.



قالَ الإمامُ رَحمه اللهُ:

وقولُ الله تعالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الذاريات: ٥٦].

وَقولُهُ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [سورة النحل: ٣٦].

وَقولُهُ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الإسراء: ٢٣-٢٤].

وَقولُهُ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [سورة النساء: ٣٦].

وَقولُهُ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ

عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٥١-١٥٣].

قَالَ ابنُ مَسعودٍ: «مَن أَرادَ أَنْ يَنظُرَ إلى وَصيّةِ مُحمَّدٍ ﷺ الّتي عَلَيْها خاتَمهُ؛ فليقرَأ قولَهُ تَعالَى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ...﴾ إلَى قولِهُ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا ...﴾ الآية [سورة الأنعام: ١٥١-١٥٣]»(١).

وعَنْ مُعاذِ بْنِ جَبَلٍ -رضِيَ اللهُ عَنهُ-؛ قَالَ: [كُنْتُ رَديفَ النَّبيِّ ﷺ عَلَى حِمارٍ، فَقَالَ لِي:] «يا مُعاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ الله عَلَى الْعِبادِ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبادِ عَلَى اللهِ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ الله عَلَى الْعِبادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبادِ عَلَى الله أَنْ لا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَفَلا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «لا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا». أخرجاهُ في «الصَّحيحَيْنِ»(٢).

التحليل: الجن: سموا جنًّا لاجتنانهم واختفائهم عنا. والإنس: البشر من الآدميين الواحد منهم إنسي. ليعبدون: ليوحدوا الله، وأصل العبادة التذلل والخضوع وهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه.

بعثنا: أرسلنا. أمة: الأمة كل جنس من الحيوان يسمى أمة ومنهم الآدميون

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٧٠)، والطبراني في «الكبير» (١٠٠٦٠) بنحوه، والبيهقي في «الشعب» (٧٩١٨) وسنده ضعيف، فيه داود بن يزيد الأودي ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).

وهم أمم لكل رسول أمة.

اجتنبوا: ابتعدوا، **الطاغوت**: مشتق اسمه من الطغيان وهو تجاوز الحد، وشرعاً: عرفه ابن القيم بقوله: **الطاغوت**: ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع. **قضى**: أمر ووصى. **تعالوا**: اقبلوا وهلموا. **أتل**: أقرأ. **أتدري**: أتعلم، والهمزة للاستفهام. **فيتكلوا**: يعتمدوا على عملهم.

الشرح الإجمالي: أن الله سبحانه ما خلق الثقلين الجن والإنس إلا لعبادته وحده دون من سواه وأن الرسل ما أرسلهم الله إلا لهذا الهدف العظيم وهو الإنذار من الشرك والأمر بعبادة الله وحده فلا يقبل عبادة من مشرك مهما كان نوعها ومهما كان المشارك لله من الخلق، لذا فإن القرآن العزيز والسنة الغراء قد جاء فيهما التكرار بالتحذير من الشرك، والأمر بإخلاص العبادة لله وحده. وترجيح المعبودات والآلهة ومن الأدلة على ذلك ما ذكر في هذه الآيات وهذا الحديث المُصَدَّر في هذا الكتاب من أن المشرك لا تغفر ذنوبه ولا يرجى له دخول الجنة مهما عمل من الأعمال التي أشرك مع الله فيها غيره.

لقول الله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء: ٤٨]، وقوله: ﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٣]، فعلى المسلم أن يبتعد عن الشرك ووسائله التي تؤدي إليه مهما كان نوعها واسمها فإن العبرة بالحقائق بالأسماء.

الفوائد:

١ - أن الله ما خلق الخلق من الجن والإنس إلَّا لعبادته وحده.

٢- أن أصل دين الأنبياء واحد، وأن الرسالة عمت كل أمة.

٣- أن عبادة الله لا تتحقق إلا بالكفر بالطاغوت، وأن الطاغوت كل ما عُبد من دون الله.

٤- أن العبادة هي التوحيد وهو الذي حصل فيه الخلاف بين الأمم ورسلها.

٥- أن كل آية من الآيات السابقة فيها الأمر بعبادة الله والنهي عن الشرك إما نصاً أو مفهوماً.

٦- أن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً.

٧- أن حق العباد على الله تفضلاً منه وإحساناً أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً.

٨- أن الرسول ﷺ منع معاذاً من تبشير الناس خوفاً عليهم من الاتكال على الله من دون عمل وأن معاذاً أخبر بذلك بعد موت الرسول خروجاً من كتمان العلم.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

الجن - الإنس - ليعبدون - ما أصل العبادة - بعثنا - أمة - اجتنبوا - الطاغوت - عرف الطاغوت شرعاً - قضى - تعالوا - أتل - أتدري - فيتكلوا - وبين الشاهد من الآيات والحديث وما حق الله على العباد وحقهم عليه، ولماذا منع الرسول ﷺ معاذاً من التبشير بهذا الحديث، ولماذا أخبر معاذ بهذا الحديث بعد موت الرسول ﷺ؟

قَالَ الإمامُ رَحِمَه اللهُ:

١- بَـابٌ
فَضلُ التَّوحيدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ

الباب: خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هذا باب، ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره محذوف تقديره باب هذا لكذا، ويجوز أن يكون مفعولاً لفعل محذوف تقديره اقرأ باب كذا. واصطلاحاً ولغةً: المدخل إلى الشيء.

وفي الاصطلاح العلمي يشتمل على مجموع جمل من العلم ويكون تحته فصول ومسائل.

قَالَ الإمامُ رَحِمَه اللهُ:

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سُورَةُ الأَنْعَامِ: ٨٢].

عَنْ عُبَادَةَ بنِ الصَّامتِ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَـهُ، وَأَنَّ مُـحَـمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُـهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُـهُ، وَكَلِـمَتُـهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَـمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْـجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ؛ أَدْخَلَـهُ اللهُ الْـجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ». أَخْرَجَاهُ[١].

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٨٠) ومسلم (٤١).

وَلَهُما فِي حَدِيْثِ عِتْبَانَ: «فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ»(١).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ عَلِّمنِي شَيئاً أَذكُركَ وأَدعُوكَ بِهِ، قَالَ: قُلْ يَا مُوسَى: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ كلُّ عِبَادِكَ يَقولُ هَذا، [قَالَ: قُلْ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، إِنَّمَا أُرِيدُ شَيئاً تَخُصُّنِي بِهِ،](٢) قَالَ: يَا مُوسَى لَو أَنَّ السَّمَاواتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ - غَيرِي- والأَرْضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ وَلا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ، مَالَتْ بِهِنَّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ». رَوَاهُ ابنُ حبَّانَ والحَاكِمُ وصَحَّحَهُ(٣).

وَللتِّرمِذي وَحَسَّنَهُ عَن أَنَسٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ تَبارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٧) ومسلم (١٠٥٢).

(٢) ما بين المعقوفتين استدركته من مصادر التخريج.

(٣) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٦٢١٨) والحاكم في «المستدرك» (١/٥٢٨) وصححه، ووافقه الذهبي! وأخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٥٨٨) وفي «عمل اليوم والليلة» له (٨٣٤ و ١١٤١) وأبو يعلى (١٣٩٣) من طريق درّاج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري به.

قلت: وهذا إسناد ضعيف، درّاج بن سمعان أبو السمح صدوق، لكن في حديثه عن أبي الهيثم ضعف كما بينه أهل العلم. إلّا أنّ الأحاديث الصحيحة في فضل كلمة التوحيد كثيرة، ذُكر بعضُها في هذا الباب، وانظر ما سيأتي في الباب الخامس: تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلّا الله.

لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِـهَا مَغْفِرَةً»[١].

التحليل: لم **يلبسوا**: لم يخلطوا. **إيمانهم بظلم**: بشرك. **الأمن**: ضد الخوف. **من**: شرطية ومفيدة. **شهد**: اعترف. **أن لا إله إلا الله**: أن لا معبود بحق إلا الله. **وحده**: تأكيد لذلك. **وكلمته**: كلمة الله وهي قوله في عيسى كن فكان مخلوقاً. **وروح منه**: كان عيسى بأمره وقدرته. **أذكرك**: أثني عليك. **وأدعوك به**: أسألك به. **كفه**: كفة الميزان. **مالت بهن**: رجحت بهن. **بقراب الأرض**: بضم القاف وكسرها والضم أشهر، والمقصود ملأها أو ما يقارب ملأ الأرض. **خطايا**: ذنوب. **مغفرة**: تمحو الذنوب. ومناسبة الآية للترجمة: أن من مات على التوحيد مقطوع له بدخول الجنة ولو فعل شيئاً من المعاصي. ومناسبة الحديث: أن من حقق كلمة لا إله إلا الله دخل الجنة على ما كان من العمل حتى ولو أتى بذنوب ملأ الأرض أو ما يقارب ملأها بعد أن يطهر من المعاصي.

الشرح الإجمالي: لما كان التوحيد هو الأساس الذي تنبني عليه جميع الأعمال التي يعملها الإنسان وكان هذا الأساس صعباً تحقيقه وإتقانه لما يتخلل طريقه من العقبات الشائكة من الهوى والنفس والشيطان والمفهوم الخاطىء، لذا

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠) من طريق كثير بن فائد حدثنا سعيد بن عبيد قال: سمعت بكر ابن عبدالله المزني يقول: حدثنا أنس... وذكره.

قلت: رجال إسناده ثقات غير كثير بن فائد، وثقه ابن حبان فقط، وذكر الحافظ في «التقريب» أنّه مقبول.

لكنْ للحديث شاهد يصح به من حديث أبي ذر عند مسلم (٢٦٨٧) ولفظه: «... ومـن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً، لقيته بمثلها مغفرة»، وآخر عن ابن عباس عند الطبراني في «الكبير» (١٢٣٤٦) و«الأوسط» (٥٤٨٣) و«الصغير» (٨٢٠).

فإن الله سبحانه قد أكثر من ذكر التوحيد، والأمر به، والترغيب فيه، وتحريم الشرك والترهيب منه، وتوعد المشركين بأن لا يغفر لهم، كما صرح بذلك في الكتاب العزيز والسنة النبوية، وأن من حقق التوحيد وابتعد عن الشرك ووسائله الموصلة إليه مع الاعتراف بوجود الله وإرساله رسله ومحققاً هذه الكلمة لا إله إلا الله، التي لا انفصام لها والتي من قالها بصدق وإخلاص وأتى بذنوب أمثال الجبال أو ملأ الأرض، أن الله يغفرها له لتحقيق هذا الهدف السامي الذي لا يقوم صرح هذا الدين إلا به، فما لك أيها المسلم لا تمسك بهذا التوحيد وتعض عليه بالنواجذ لتكون من المفلحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

الفوائد:

١- سعة فضل الله وإحسانه في كثرة ثوابه للموحدين وتمحيص ذنوبهم وأمنهم يوم الفزع الأكبر.

٢- بيان فضل لا إله إلا الله وأنها ترجح بالسماوات والأرض ومن فيهن لو كانت ذنوباً على محققها.

٣- أنه ليس المراد فهمها والنطق بها باللسان، فلا بد مع القول باللسان العمل بالأركان والاعتقاد بالقلب والإخلاص.

٤- إثبات الصفات لله إثباتاً يليق بجلاله وعظمته والإيمان بالميزان والجنة والنار.

٥- الاعتراف بأن محمداً عبد الله ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، لا أنه ابن ولا ثالث ثلاثة، ولا غير ذلك من الاشتراك من الله في شيء.

٦- أن التوحيد يحرر العبد من رق العبودية للمخلوقين والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

عرف (باب) واشرح معناه لغةً وشرعاً:

لم يلبسوا - بظلم - الأمن - من - شهد - أن لا إله إلا الله - وحده - وكلمته - وروح منه - أذكرك - وأدعوك به - كفه - مالت بهن - بقراب الأرض - خطايا - مغفرة - ما مناسبة الآية للباب وما مناسبة الحديثين للباب، اشرح بأسلوبك الخاص ما فهمته في هذا الباب من التوحيد.

قَالَ الإمامُ رَحمَه اللهُ:

٢- بَـابٌ
مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ دَخَلَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ

من حقق التوحيد خلصه وصفاه من شوائب الشرك.

وَقَولُ الله تَعالَى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [سورة النحل: ١٢٠].

وقَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة المؤمنون: ٥٩].

عَن حُصَينِ بنِ عَبدِالرَّحمنِ قَالَ: كنتُ عِندَ سَعِيدِ بنِ جُبَيرٍ فقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَى الكَوكَبَ الَّذِي انقَضَّ البَارِحَةَ؟ فَقُلتُ: أَنَا، ثم قُلتُ: أَمَا إِنِّي لَـم أَكُن في صَلَاةٍ، وَلكِنِّي لُدِغتُ، قَالَ: فَمَا صَنَعتَ؟ قُلتُ: ارتَقَيتُ[1]. قَالَ: فَمَا حَمَلكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قُلتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبيّ، قَالَ: وَمَا حَدَّثَكُم؟ قُلتُ: حَدَّثَنَا عَن بُرَيدَةَ بنِ الحُصَيْبِ؛ أَنَّـهُ قَالَ: لَا رُقيَةَ إِلَّا مِن عَينٍ أَو حُـمَةٍ. قَالَ: قَد أَحسَنَ مَنِ انتَـهَى إِلَى مَا سَمِعَ.

وَلكِن حَدَّثَنَا ابنُ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّـهُ قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَـمُ، فَرَأَيتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ وَلَيسَ مَعَهُ أَحَدٌ؛ إِذ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنتُ أَنَّـهُـم أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى وَقَومُهُ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُـم سَبْعُونَ أَلفاً يَدخُلُونَ

---

(١) لم أقف على هذا اللفظ، والذي في مسلم (٢٢٠): استرقيتُ.

الجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ».

ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنزِلَهُ، فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولئِكَ، فَقَالَ بَعضُهُم: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبوا رَسولَ الله ﷺ. وقَالَ بَعضُهُم: فَلَعَلَّهُم الذين وُلِدُوا في الإِسلَامِ، فَلَم يُشرِكُوا بِالله شَيئاً... وذَكَروا أَشياءَ، فَخَرَجَ عَلَيهِم رَسُولُ الله ﷺ فَأَخبَرُوهُ، فقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكتَوونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُون، وَعَلَى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ».

فَقَامَ عُكَّاشَةُ بنُ مِحْصَنٍ، فَقَالَ: ادعُ اللهَ أَن يَجْعَلَنِي مِنهُم. قَالَ: «أَنتَ مِنهُم»، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: ادعُ اللهَ أَن يَجعَلَنِي مِنهُم. فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»[1].

التحليل: **أمة:** قدوة يعتد به. **قانتاً:** دائم الطاعة لربه تعالى. **حنيفاً:** مسلماً مقبلاً على الله معرضاً عما سواه. **أيكم:** استفهام متضمن السؤال. **الكوكب:** واحد النجوم التي في السماء. **انقض:** سقط. **البارحة:** اسم الليلة الماضية. **أما:** بالفتح مخففة من الثقيلة حرف استفهام مثل (ألا). **ارتقيت:** طلبت من يرقيني. **من عين:** إصابة من عين عائن. **حمة:** اسم العقرب وغيرها. **الرهط:** الجماعة من الثلاثة على العشرة. **سواد:** الشخص والشبح من بعيد. **فظننت:** الظن ضد اليقين. **أمتي:** أمته الذين تبعوه على دينه. **نهض:** قام. **فخاض الناس:** الخوض البحث في الشيء بالكلام. **لا يسترقون:** لا يطلبون من يرقيهم. **لا يتطيرون:** لا يتشاءمون بالطيور وغيرها.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).

ومناسبة الحديثين للترجمة أن التوكل على الله، وترك الرياء من كمال التوحيد، ومناسبة الآيتين: التحذير من الشرك والابتعاد عنه بتحقيق التوحيد.

الشرح: إنَّ تحقيق التوحيد شأنه عظيم يرفع الله به الضعيف حتى يكون قوياً ويضع الجبار حتى يكون ضعيفاً، فهذا إبراهيم عليه السلام قد نصره الله على قومه بأجمعهم لما ناصبوه العداء كما هو معروف في القرآن والسنة وها هو رب العزة والجلال يشيد بالثناء عليه على أنه أمة واحدة يقتدى به، لإبلاغه في تعليم الخير مع طاعته لربه منيباً إليه ولم يكن من المشركين، وكان بعيداً عنهم بمعزل قد تبرأ منهم حتى منَّ الله عليه وتبعه في ذلك سيد الأمة محمد ﷺ، فقد أ بلى البلاء الحسن من قومه حتى صار له العزة والفخر وها هو صلاة الله وسلامه عليه يخبر أصحابه أن الأنبياء لم يتبعهم إلا القليل من قومهم، محذراً من أن لا يفعلوا مثل فعل أولئك الأقوام، مع إفادتهم بشيء يدفعهم إلى الإيمان بالله والتوكل عليه في جميع الأمور وهو أن من أمته سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب وهم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون. يعني في جميع أمورهم في هذه الحياة وصبروا ورضوا بما قضاه الله لهم، فعليك أيها المسلم حقاً الحرص على الاقتداء بنبي الرحمة وبالسلف الصالح الذين اتبعوه بإحسان تكن من المهتدين الأبرار.

الفوائد:

١- أن الناس في هذا التوحيد على مراتب منهم المحقق له كاملاً ومنهم المنقص له ومنهم النافي.

٢- الإشارة بثناء الله على رسوله إبراهيم لأنه لم يكن من المشركين، وأنه منيب إليه وأنه أمة واحدة.

٣- أن التوكل على الله ومنه ترك الرقية من تحقيق التوحيد وتمامه.

٤- قلة من استجاب للأنبياء لهذا التوحيد على أنه لا يغتر أحد بكثرة من ضل ولا يزهد بقلة المؤمنين بالله.

٥- تحقيق الصحابة لهذا التوحيد وابتعاد السلف الصالح عن الشرك حتى الأصغر.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات التالية:

أمة - قانتاً - حنيفاً - أيكم - انقض - البارحة - أما - ارتقيت - من عين - حمة - الرهط - سواد - فظننت - أمتي - نهض - فخاض الناس - لا يسترقون - لا يتطيرون - يتوكلون.

ما مناسبة الآيتين للترجمة، وما مناسبة الحديث للترجمة؟ الناس في هذا التوحيد على مراتب، فوضح أمرهم في ذلك، وما حكم ترك الرقية وما موقف إبراهيم عليه السلام من التوحيد، وما سبب ثناء الله عليه في القرآن العزيز.

قَالَ الإمامُ رَحِمَه اللهُ:

٣- بَابٌ
الخَوْفُ مِنَ الشِّرْكِ

وَقَولُ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [سورة النساء: ٤٨، ١١٦].

وَقَالَ الخَلِيلُ عَلَيهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾ [سورة إبراهيم: ٣٥].

وَفِي الحَدِيثِ: «أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ»، فَسُئِلَ عَنهُ، فَقَالَ: «الرِّيَاءُ»[١].

وَعَن ابنِ مَسعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ؛ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ الله نِدًّا دَخَلَ النَّارَ»[٢].

وَلِمُسلِمٍ[٣] عَن جَابِرٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَن لَقِيَ اللهَ لَا يُشرِكُ بِهِ شَيئاً دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيئاً دَخَلَ النَّارَ».

التحليل: إنَّ: حرف تأكيد. لا: نافية. يغفر: الغفر محو الذنوب وسترها. أن يشرك به: في عبادته. ويغفر ما دون ذلك: ويغفر ما دون الشرك من الذنوب.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/٤٢٨-٤٢٩)، والبغوي في «شرح السنة» (٤١٣٥) بسند جيد رجاله رجال الشيخين، غير محمود بن لبيد فإنه من رجال مسلم، وهو صحابي صغير.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٩٧).

(٣) برقم (٩٣).

الخليل: الخلة أخص من المحبة، وسميت بذلك لتخللها القلب بالمحبة. **اجنبني**: أبعدني. **الأصنام**: جمع صنم، وهو ما كان منحوتاً على صورة مخلوقاً. **أخوف**: أشد خوفاً. **نداً**: الند المثل والشبيه. **ومناسبة الآية الأولى للترجمة**: التحذير من الشرك وتعظيم خطره ليخاف منه العباد. **والثانية** أن إبراهيم يخاف من الشرك على نفسه وبنيه، فخوفنا منه يكون أشد. **ومناسبة الحديث الأول**: أن الرسول قد خاف على المؤمنين من أمته من الشرك الأصغر، **ومناسبة الحديثين الآخرين**: التحذير والتخويف من الشرك وأن من نجا منه دخل الجنة، ومن أشرك دخل النار.

تنبيه: الخوف ينقسم إلى أربعة أقسام: الخوف من الله وهو المطلوب والخوف الطبيعي من سبع وغيره، لا ذم فيه، وأما خوف الشرك فهو ينقسم إلى أكبر وأصغر وخوف محرم.

الإجمالي: إن الشرك ظلم عظيم وضلال بعيد عن الحق وخطر كبير على من اعتقده وعمل به ديناً، فلا يؤمن به إلا من أعمى الله بصره وبصيرته، وختم على قلبه وجعل على بصره غشاوة من الجهل والضلال، لأن العقل السليم لا يؤمن صاحبه بأن أحداً يضر وينفع من دون الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، أو أن أحداً غيره له تصرف وقدرة كما عند الله بل العاقل يفهم أن ذلك كله بيد الله، وأن الخلق كلهم في تصرفه وتدبيره وهم في حاجة إليه في كل حال وزمان ومكان. لذا فإنَّ الله سبحانه قد بيَّن ضرر الشرك وهو أن المشرك لا تغفر ذنوبه بخلاف ما دون الشرك من الذنوب فإنه يغفرها لعبده إن شاء، وقد كانت الرسل كلها تدعوا

إلى التوحيد وتحذر من عبادة غير الله، فهذا إبراهيم يدعو الله أن يبعده عن عبادة الأصنام، وهذا رسولنا الكريم يحذرنا حتى من الشرك الأصغر مع تحذيره لنا من الشرك الأكبر بقوله: «من مات».

الفوائد:

١- إن الشرك الأكبر لا يغفره الله وأنه يغفر ما دونه من الذنوب إذا تاب العبد منها.

٢- سؤال الله الابتعاد من الاصنام والأوثان وعبادتها وعبادها لإضلالهم وإضلال كثير من الناس.

٣- إن أخوف ما خافه محمد ﷺ على أمته الشرك الأصغر لذهاب العمل به، فكيف بالشرك الأكبر الذي لا يغفر.

٤- أن من مات مشركاً بالله دخل النار ومن مات موحداً دخل الجنة.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات التالية:

أن - لا - يغفر - أن يشرك به- ما دون ذلك - أجنبني - الأصنام - أخوف - الرياء.

ما مناسبة الآيتين والأحاديث للترجمة، وما الذي طلبه إبراهيم من ربه، وما الذي خافه الرسول محمد ﷺ على أمته، والخوف ينقسم إلى أقسام، فما هي وما هو المطلوب منها والجائز والمحرم، اشرح بأسلوبك ما فهمته من التحذير من الشرك جميعه.

قالَ الإمامُ رَحمَه اللهُ:

٤- بَابٌ
الدُّعاءُ إلَى شَهادَةِ أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللهُ

وَقولُهُ تعَالَى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [سورة يوسف: ١٠٨].

عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَـمَّا بَعثَ مُعاذاً إلَى اليَمَنِ قَالَ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ فَلْيَكُن أَوَّلَ مَا تدعُوهُم إِلَيهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله (وَفِي رِوَايَةٍ: إِلَى أَن يُوَحِّدُوا الله)، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ الله افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْـمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الله حِجَابٌ». أَخرَجَاهُ[١].

وَلَهُمَا[٢] عَن سَهْلِ بنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ يومَ خَيْبَرَ: «لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلاً يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ؛ يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ». فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩)، والرواية المشار إليها أخرجها البخاري (٧٣٧٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦).

عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، كُلُّهُمْ يَرْجُو أَن يُعطاها، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ؟» فَقِيلَ: هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ. فَأَرسَلُوا إِلَيهِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ تَعَالَى فِيهِ، فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ».

(وَيَدُوكُونَ) أَي: يَخُوضُونَ.

التحليل: قل: يا محمد. هذه: الدعوة التي أدعو إليها. سبيلي: طريقتي وما أدعو إليه. ومن اتبعني: على هديي. سبحان الله: تنزيهاً لله تعالى من أن يكون له شريكٌ. **بعث:** أرسل. **أطاعوك لذلك:** شهدوا وانقادوا لذلك. **أعلمهم:** أخبرهم. **صدقة:** زكاة. **فإياك:** أحذرك. **كرائم أموالهم:** خيارها وأنفسها عندهم. **اتق دعوة المظلوم:** اجعل بينك وبين دعوته وقاية من العدل. **فإنه:** الضمير للحال والشأن. **حجاب:** ساتر يسترها عن الله لقرب إجابته. **الراية:** اللواء. **غداً:** صباحاً. **يحب الله:** المحبة المودة. **يدوكون:** يخوضون. **أين:** استفهام عن المكان. **يشتكي عينيه:** متألم من وجع الرمد في عينيه. **فبصق:** تفل أو نفث في عينيه. **فبرأ:** عوفي في الحال. **انفذ على رسلك:** امضي برفق وبدون عجلة. **بساحتهم:** بفناء أرضهم وما حولها. **حمر النعم:** الحمر من الإبل أحسنها، وهي من أنفس الأموال عند العرب. ومطابقة الآية للترجمة أن طريق الرسول ومن اتبعه الدعاء إلى التوحيد. ومطابقة الحديث الأول الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله، والثاني: الدعوة إلى الإسلام الذي هو بمعنى لا إله إلا الله.

الإجمالي: لما كانت كلمة لا إله إلا الله هي الأساس الذي يبنى عليه جميع أعمال العباد وأنه لا بد من أعمال تجعل على هذا الأساس لأنها لا تنفع وحدها نطقاً باللسان فلا بد من تحقيقها بالعمل المطابق لما تهدف إليه من توحيد الله سبحانه، وترك ما سواه من الخلق، فلذا كانت أول وصية محمد ﷺ لمعاذ لما بعثه إلى اليمن للدعوة إلى الله وأنه لا ينتقل منها إلا بعد الاعتراف بها لعظمها وعلو شأنها كما أنه ﷺ، لما أعطى الراية علياً يوم خيبر أمره بأن يدعوهم إلى الإسلام الذي مفتاحه لا إله إلا الله فبذلك تعلم أيها المسلم علم اليقين، أن هذه الكلمة لا ينفع أحداً عمله إلا بالنطق بها أولاً وتحقيقها ثانياً من جميع الوجوه اعتقاداً وقولاً وعملاً، وسواء كان ذلك في الأصول أو الفروع فلا بد من العمل بما تقتضيه وما هو من اللازم لحكمها، فعلى المرء أن يحققها بأقواله وأفعاله واعتقاداته في هذه الحياة ليكون من الفائزين يوم يجزى كل عامل بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

الفوائد:

١- إن سبيل محمد ﷺ هو الدعوة إلى توحيد الله وعبادته وحده والتبرأ من المشركين ومعبوداتهم وكذلك أتباعه.

٢- إن من الأدلة على تعظيم الله وإجلاله هو تنزيهه عن الشريك والمثيل.

٣- إن أول ما يبتدأ به في كل دعوة طلب الاعتراف بشهادة أن لا إله إلا الله لتضمنها التوحيد وإخلاص العمل لله.

٤- إن الدعوة إلى هذا الدين تكون بالتدريج ليتحقق الهدف السامي وهو تحقيق التوحيد والعمل بأحكام الشريعة المطهرة.

٥- إثبات المحبة لله سبحانه إثباتاً يليق بجلاله وعظمته.

٦- الإيمان بالقدر؛ وهذا يظهر من خلال إعطاء الراية لمن لم يسع لها ومنعها عمن سعى لها.

٧- عظيم فضل من اهتدى بسبب دعوته أحد فأسلم وآمن بالله.

٨- اشرح بأسلوبك الخاص ما فهمته من هذا الباب من الدعوة وما ترمي إليه من تحقيق التوحيد.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات التالية:

قل - هذه - سبيلي - ومن اتبعني - سبحان الله - بعث - أعلمهم - صدقة - فإياك - كرائم أموالهم - فإنه - حجاب - الراية - غداً - يدوكون - أين - فبصق - فبرأ - انفذ - على رسلك - بساحتهم - حمر النعم - ما معنى اتق دعوة المظلوم وما هو أول ما يبتدأ به بالدعوة - وما هي المنقبة التي لعلي في هذا الحديث وما هي المعجزة التي للرسول وما هو فضل الصحابة الذي أظهروه في هذا الحديث وفي الحديث صفة من صفات الله فما هي، وفيه الإيمان بالقدر موضحة وما مطابقة الآية والحديثين للترجمة.

قالَ الإمامُ رَحمه اللهُ:

٥- بَابٌ
تفسيرِ التوحيدِ وشهادَةِ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ

قَولُ الله تَعالَى: ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٧].

وَقولُهُ: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة الزخرف: ٢٦-٢٨].

وَقولُهُ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ﴾ [سورة التوبة: ٣١].

وَقولُهُ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ ﴾ [سورة البقرة: ١٦٥].

وَفي «الصَّحيحِ»[(١)] عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّـهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ لا إِلَـهَ إِلَّا الله، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله، حَرُمَ مَالُـهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُـهُ عَلَـى الله عَزَّ وَجَلَّ».

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣).

التحليل: يبتغون: يريدون. **الوسيلة**: التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة. **يرجون**: الرجاء ضد اليأس. **إني براء**: متبرئ من كل المعبودات من دون الله. **فطرني**: خلقني، ويطلق على غير ذلك. **سيهديني**: سيدلني ويرشدني إلى ما يحبه ويرضاه. **وجعلها كلمة**: عبادة الله وحده. **باقية في عقبه**: باقية في ذريته من بعده. **يرجعون**: يعودون. **أنداداً**: جمع ند، وهو المثل والشبيه.

الفوائد:

١- النهي عن عبادة الصالحين وأنه من الشرك بالله تعالى.

٢- تبرأ إبراهيم عليه السلام من معبودات قومه وأنه لا يعبد إلا الله الذي خلقه.

٣- أن قول إبراهيم في هذه الآية وهو معنى لا إله إلا الله.

٤- أن أهل الكتاب كفروا بالله باتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله.

٥- أن المشركين اتخذوا أنداداً يحبونهم كحب الله فبذلك كفروا بالله.

٦- أن من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه.

٧- أن من نطق بهذه الشهادة وكفر بما يعبد من دون الله ظاهراً، فإن حسابه عند الله باطناً إن كان صادقاً فهو مؤمن مثاب وإن كان منافقاً فعليه العقاب.

سؤال: اشرح بأسلوبك الخاص ما فهمته من هذا الباب من التوحيد والشرك بالله.

تنبيه: كثير من المفسرين على أن الآية الأولى نزلت فيمن يعبد المسيح وأمه والملائكة وعزيراً والداعون هم المشركون والمدعوون الصالحون. والوسيلة: الشرعية، هي التقرب إلى الله بطاعته والعمل بما يرضيه والواسل الراغب، والذي يتوسل به: توحيد الله وأسماؤه وصفاته وبالأعمال الصالحة.

ومناسبة الآية الأولى للترجمة: أن من يدعو مع الله غيره فهو مشرك، وهذا مناف للتوحيد.

ومناسبة الثانية: أن تحقيق التوحيد هو التبرأ من كل معبود بحق الله تعالى، فلا يعبد إلا الله.

ومناسبة الثالثة: أن من اتخذ من دون الله نداً فقد أشرك لمحبته الند مثل محبة الله.

ومناسبة الحديث: أنه لا يكفي التلفظ بالشهادة فلا بد من الكفر بما يعبد من دون الله والتوحيد والمحبة في الله كمحبة الرسل والصالحين ومحبة ما يحبه الله، فهذه تابعة لمحبة الله، وهناك محبة طبيعية كمحبة الوالد والولد والمال والصديق والمأكول والمشروب وغير ذلك من المباحات، فلا بأس بها، أما المحبة مع الله وهي المحبة الشركية التي لا يقبلها الله.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات التالية:

يبتغون - يرجون - براء - فطرني - سيهدين - كلمة - في عقبه - يرجعون - نداً - بيّن من نزلت فيه الآية الأولى ومن هم الداعون والمدعوون.

ما الوسيلة والواسل والمتوسل به، وما مناسبة الآيات للترجمة وما مناسبة الحديث للترجمة، والمحبة تنقسم إلى أقسام فوضحها. وما حكم طاعة العلماء والرهبان والملوك والزعماء، وما حكم محبة المخلوق مع الخالق.

الإجمالي: هو ما بينه المصنف فيما يلي: وشرح هذه الترجمة وما بعدها من الأبواب فيه أكبر المسائل وأهمها، وهي تفسر التوحيد وتفسير الشهادة، وبينها بأمور واضحة:

منها: آية الإسراء بين فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين، ففيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر، ومنها: آية براءة، بين فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وبين أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلهاً واحداً، مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه، طاعة العلماء والعباد في المعصية لدعائهم إياهم، **ومنها:** قول الخليل عليه السلام للكفار: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧]، فاستثنى من المعبودين ربه عز وجل، وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة هي شهادة أن لا إله إلا الله، فقال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرُف: ٢٨]، ومنها آية البقرة في الكفار الذين قال الله فيهم: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة: ١٦٧]، ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله، فدل على أنهم يحبون الله حباً عظيماً ولم يدخلهم في الإسلام، فكيف بمن أحب الند أكثر من حب الله، فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده، ولم يحب الله. ومنها: قوله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله وكفر

بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله» وهذا من أعظم ما بين معنى: لا إله إلا الله، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه، فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلها ويا له من بيان ما أوضحه وحجة ما أقطعها للمنازع.

سؤال: اشرح بأسلوبك الخاص ما فهمته من هذا الشرح العظيم.

قالَ الإمامُ رَحِمَه اللهُ:

٦- بَـابٌ
مِنَ الشركِ: لُبسُ الحَلْقَةِ والخَيطِ ونحوِهِما لرفعِ البلاءِ أو دَفعِهِ قبل نزوله

وَقولُ الله تَعالَى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة الزُّمر: ٣٨].

عَن عِمرَانَ بنِ حُصَينٍ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلاً فِي يَدِهِ حَلْقَةٌ مِنْ صُفْرٍ، فَقَالَ: «مَا هَذِهِ؟» قَالَ: مِنَ الْوَاهِنَةِ. فَقَالَ: «انْزِعْهَا؛ فَإِنَّـهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا، فَإِنَّكَ لَو مُتَّ وَهِيَ عَلَيكَ مَا أَفلَـحتَ أَبَداً». رَوَاهُ أَحْمَدُ[١] بِسَنَدٍ لَا بَأْسَ بِـهِ.

وَلَـهُ[٢] عَن عُقبَةَ بنِ عَامِرٍ مَرفُوعَاً: «مَنْ تَعَلَّقَ تَـمِيمَةً، فَلَا أَتَـمَّ اللهُ لَـهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً، فَلَا وَدَعَ اللهُ لَـهُ»

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٤٥)، وابن حبان (٦٠٦٥)، وابن ماجه (٣٠٣١)، ورواية الأخير مختصرة. والحديث سنده ضعيف، فهو من رواية الحسن البصري عن عمران بن حصين ولم يسمع منه.

وأخرجه عبدالرزاق (٢٠٣٤٤) وابن أبي شيبة (٨/ ١٤) من طريق الحسن عن عمران موقوفاً!

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٥٤) والحاكم (٤/ ٢١٦ و٤١٧) وابن حبان (٦٠٨٦)، وسنده ضعيف، فيه خالد بن عبيد المعافري مجهول. لكن صح الحديث باللفظ الآتي بعده.

وَفِي رِوَايَةٍ[١]: «مَنْ تَعَلَّقَ تَـمِيمَةٍ فَقَد أَشرَكَ».

وَلِابنِ أَبِي حَاتِـمٍ عَن حُذَيفَةَ أَنَّـهُ رَأى رَجُلاً فِي يَدِهِ خَيطٌ مِنَ الحُـمَّى فَقَطَعَهُ وَتَلَا قَولَـهُ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [سورة يوسف: ١٠٦][٢].

التحليل: أفرأيتم: أخبروني والهمزة للاستفهام الإنكاري. **ما:** اسم موصول بمعنى الذين. **تدعون من دون الله:** الذي تسألون من الخلق من دون الله. **حسبي الله:** كاف من توكل عليه. **صفر:** نوع من المعادن.

ومناسبة الآية للترجمة: أنها تبطل التعلق بغير الله من دفع ضر أو جلب نفع، ومناسبة الحديث لأن التعليق شرك لتعلق قلب الإنسان بغير الله لدفع الأضرار عنه.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات التالية:

أفرأيتم - ما - تدعون من دون الله - حسبي الله - يتوكل - حلقه - من صفر - ما هذا - الواهنة - انزعها - تميمة - خيط من الحمى - وما مناسبة الآية والحديث للترجمة. واشرح ما فهمته من الباب بتعبيرك الخاص.

---

(١) أخرجها أحمد (٤/ ١٥٦) والحاكم (٤/ ٢١٩) وسنده صحيح، رجاله ثقات.

(٢) أورده مسنداً صاحب «فتح المجيد» (ص١٢١) وسنده منقطع. لكن أخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨/ ١٥) من طريقين عن حذيفة أنه وجد في عضد رجل خيطاً رقي له فيه، فقال: لو مات ما صليت عليه.

قَالَ الإمامُ رَحمَه اللهُ:

٧- بَـابٌ
ما جاءَ فِي الرُّقَى والتَّمائِمِ من تحريم وما أبيح منه وما ورد عن السلف

فِي «الصَّحِيحِ»[(١)] عَن أَبِي بَشِيرٍ الأَنصارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ: أَنَّـهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَأَرْسَلَ رَسُولاً: «أَن لَا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَـرٍ أَو قِلَادَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ».

وَعَن ابنِ مَسعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الرُّقَى وَالتَّـمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ[(٢)].

وَعَن عَبدِالله بنِ عُكيم مرفوعاً: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْـهِ» رواهُ أحمد والترمذي[(٣)].

التَّـمَائِمُ: شَيءٌ يُعَلَّقُ عَلَـى الأَولَادِ مِنَ العَينِ، لكِن إِذَا كَانَ المُعَلَّقُ مِنَ القُرآنِ فَرَخَّصَ فِيهِ بَعضُ السَّلَفِ، وَبَعضُهُـم لَـم يُـرَخِّص فِيهِ، وَيَـجعَلُـهُ مِنَ المَنهِيِّ عَنهُ، مِنهُـم ابنُ مَسعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ.

وَالرُّقى: هِيَ الَّتي تُسَمَّى العَزَائِمَ، وَخَصَّ مِنهَا الدَّلِيلُ مَا خَلَا مِنَ الشِّركِ رَخَّصَ فِيهِ رَسُولُ الله ﷺ مِنَ العَينِ والحُـمَةِ.

---

(١) البخاري (٣٠٠٥)، ومسلم (٢١١٥).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٨١)، وأبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠) وهو صحيح.

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٣١٠)، والترمذي (٢٠٧٢) وهو صحيح.

وَالتّوَلَة: شَيءٌ يَصنَعُونَـهُ يَزعُمُونَ أَنَّـهُ يُـحَبِّبُ المَرأَةَ إِلَـى زَوجِهَا، وَالرَّجُلَ إِلَـى امرَأَتِـهِ.

وَرَوَى أَحمَدُ[1] عَنْ رُويفعٍ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «يَا رُوَيْفِعُ! لَعَلَّ الْـحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ، فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّ مَنْ عَقَدَ لِـحْيَتَـهُ، أَوْ تَقَلَّدَ وَتَـرًا، أَوِ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ؛ فَإِنَّ مُـحَـمَّدًا بَرِيءٌ مِنْـهُ».

وَعَن سَعِيدِ بنِ جُبَيرٍ قَالَ: مَنْ قَطَعَ تَـمِيمَةً مَن إِنسَانٍ، كَانَ كَعِدْلِ رَقَبَةٍ. رَوَاهُ وَكِيعٌ[2].

وَلَـهُ عَن إِبرَاهِيمَ، قَالَ: كَانُوا يَكرَهُونَ التَّـمَائِمَ كُلَّـهَا؛ مِنَ القُرآنِ وَغَيرِ القُرآنِ»[3].

التحليل: أرسل رسولاً: هو زيد بن حارثة، **يبقين**: بفتح الياء والقاف، لا يتركن والنون المشددة نون التأكيد. **رقبة بعير**: الرقبة أصل العنق والبعير اسم جنس من الإبل ذكورها وإناثها. **قلادة من وتر**: الوتر أحد أوتار القوس إذا اخلولق بدلوه بغيره وقلدوا به الدواب لدفع البعير، **أو**: شك من الراوي هل قال قلادة أو قيدها بوتر. وفسر المصنف التمائم والرقى والتولة في أصل هذا الحديث، فليرجع إليه.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٠٨)، وأبو داود (٣٦)، والنسائي (٥٠٦٧) وهو صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ١٧)، وسنده ضعيف لضعف ليث ابن أبي سُليم.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ١٦)، وفي سنده مغيرة بن مقسم مدلّس ولم يصرح بالتحديث.

الإجمالي: لما كانت التمائم من الأشياء التي يعتمد عليها في الجاهلية ويُرى أن لها تأثيراً بنفسها من جلب نفع أو دفع ضر، وكذلك التولة فإن رسول الهدى أخبر بأنها من الشرك وأمر بقطعها إذا وجدت معلقة سواء كان التعليق على آدمي أو حيوان، ويلحق بذلك التعليق على السيارات ونحوها لما في ذلك من التعلق بغير الله سبحانه وتعالى واستناد القلب بالمتعلق الذي لا يسمن ولا يغني من جوع نحو الفائدة المنشودة للإنسان، وإنما هي وسيلة صورها الشيطان فزينها ليصل بها إلى هدفه الذي هو الاعتصام بغير الله والإشراك معه غيره لتذهب الأعمال من أهلها هدراً لا ثواب فيها ولا جزاء، بل فيها إثم عظيم وعقوبة قد تكون عاجلة مع الآجلة وكذلك التولة، فإن الله سبحانه هو الذي يؤلف بين الزوجين بالمحبة فلا تكون المحبة الحقيقية إلا من الله، وقد تكون بواسطة التولة لكنها مودة ليست مستقيمة ولا مستديمة، فما على المسلم إلا أن يترك هذه الخرافات والتدجيلات من شياطين الإنس الذين أغوتهم الشياطين فأهلكتهم وأعمت أبصارهم عن الحق فهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً لنفعهم الناس ونفع أنفسهم وهم قد ابتعدوا عن الحق بمراحل شاسعة.

الفوائد:

١- أن بعض التمائم والتولة من الشرك وكذلك بعض الرقى.

٢- أن الرقية من القرآن والسنة من العين والحمى وغير ذلك ليس من الشرك، بل من الأسباب المباحة أو المستحبة.

٣- أن تعليق الأوتار ونحوها على الدواب والمخترعات الحديثة كالسيارات ونحو ذلك من الشرك.

٤- الوعيد على من تعلق وتراً وثواب من قطع تميمة ونحوها من إنسان.

٥- أن تعليق التمائم من القرآن والسنة لا تجوز لعدم الدليل على جوازها مع عدم احترام كلام الله ممن علقه.

الأسئلة: أجب على الجمل والمفردات التالية:

أرسل رسولاً - يبقين - رقبة بعير - قلادة - من وتر - التمائم - التولة - الرقى - ومتى تجوز الرقى، وما مناسبة هذا الباب للباب الذي قبله وما حكم التمائم؟

قَالَ الإمامُ رَحِمَه اللهُ:

٨- بابٌ
مَنْ تَبَرَّكَ بشجرٍ أو حجرٍ ونحوهما

وَقولُ الله تَعالَى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ (٢٠)﴾ [سورة النجم: ١٩، ٢٠].

عَن أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِي قَالَ: خَرَجنا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ، وَنَحنُ حُدَثَاءُ عَهدٍ بِكُفرٍ، وَلِلمُشركِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِندَهَا وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالَ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله! اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُم ذَاتُ أَنواطٍ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الله أَكبَرُ! إِنَّهَا السُّنَنُ! قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَت بَنُو إِسرائِيلَ لِمُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨)﴾ [سورة الأعراف: ١٣٨]، لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ[(١)] وَصَحَّحَهُ.

التحليل: أفرأيتم: أخبروني والهمزة للاستفهام الإنكاري.

اللات: معبد لبني شقيق بالطائف.

العزى: (شجرة) معبد لقريش يعظمونها بوادي نخلة بين مكة والطائف.

ومناة: صنم بين مكة والمدينة لبني هلال، وقيل لخزاعة وهذيل فاشتق العرب أسماءَها من أسماء الله تعالى، فاللات من الإله، والعزى من العزيز، ومناة

---

(١) برقم (٢١٨٠)، وأخرجه ابن حبان (٦٧٠٢) واللفظ المذكور إليه أقرب.

من المنان. والذي قطع شجرة اللات خالد بن الوليد يوم فتح مكة والذي هدم مناة علي بن أبي طالب، وكل بأمر الرسول ﷺ.

سدرة: السدر شجر النبق. **يعكفون عندها**: العكوف ملازمة الشيء بالإقامة عنده أو كثرة التردد عليه، وهم كذلك يريدون التبرك بها، وتعظيمها. **ينوطون بها أسلحتهم**: يعلقونها.

أنواط: نوط مصدر، سمى به ما يعلق عليه. **الله أكبر**: الله أعظم وأجل. فاعبدوه. **إنها السنن**: أي طرق من كان قبلكم. **قوم**: جماعة. **تجهلون**: والجهل ضد العلم: **لتركبن**: لتسلكن، واللام لام القسم المقدر (والله). **ومناسبة الآية للترجمة**: أن اللات والعزى وكذلك مناة أوثان تعبد، وتعلق بها الآمال من شفاعة وبركة وغير ذلك، وهذا شرك بالله.

ومناسبة الحديث: أن العكوف عند الأصنام وتعليق الأسلحة لأجل البركة شرك بالله.

الإجمالي: لما كان الشرك عند العرب قديماً في الجاهلية له أثر في النفوس فقد رسخ في أفكارهم حب معبوداتهم لاعتقادهم أنها تنفع وتضر لما كانوا حديث عهد بالكفر والشرك بالله، والمحبة لتلك الأوثان التي ما أنزل الله بها من سلطان اعتقدوا أنها محبوبة عند الله مع ما يترتب عليها من المنافع في هذه الحياة، فسألوا الرسول ﷺ أن يجعل لهم ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم للتبرك والتقرب إلى الله مثل ما للمشركين. فكبر رسول الله ﷺ عظمةً وإجلالاً لربه

ذاكراً أعمال بعض الأمم السابقة وهم قوم موسى بأن هذه الأمة ستعمل مثل ما عملوا وأتبع ذلك بالقسم بالله وهو الصادق المصدوق، أن قول هؤلاء الصحابة حديثي العهد بالإسلام كقول بني إسرائيل سواء بسواء، وختم قوله بأن هذه الأمة ستسلك سبيل الأمم السابقة المشركة بالله حتى قال في آخر هذا الحديث في موضع آخر حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، كل ذلك من سيد الأمة تحذيراً من الشرك ووسائله الموصلة إليه لنبتعد عنها، ونأخذ بهديه ﷺ الذي فيه الهدى والنور، فلا نطلب الحاجات إلا من الله، ولا نعلق الآمال إلا به، فهو نعم المولى ونعم النصير.

الفوائد:

١- أن الأصنام والأوثان لا تنفع ولا تضر إنما النفع والضر من عند الله تعالى.

٢- الخوف من الشرك ومعرفته ومعرفة وسائله، لأن الإنسان قد يستحسن شيئاً يقربه إلى الله، وهو أبعد ما يبعده من رحمة الله ويقربه من سخطه.

٣- أن النبي ﷺ شدد على هؤلاء الصحابة بالإنكار لما في ذلك من سوء القصد الذي هو الشرك بالله.

٤- أن معنى قولهم هو معنى قول قوم موسى ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وهذا المنفي بقول لا إله إلا الله، ولكنهم حينذاك لم يفهموا معناها.

٥- من أعلام النبوة أن الشرك وقع في هذه الأمة كما أخبر ﷺ فاتقوا الشرك بالله.

٦- أن العكوف منه ما هو شرك بالله وهو العكوف عند الأوثـان، ومنـه مـا هو طاعة لله كالعكوف في مسجد لطاعة الله.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة الآتية:

أفرأيتم - اللات - العزى - مناة - من الذي قطع شجرة اللات وهدم مناة - سدرة - يعكفون عندها - ينوطون بها أسلحتهم - أنواط - الله أكبر - إنها السنن - قوم تجهلون - لتركبن، وما مناسبة الآية والحديث للترجمة؟

اشرح بأسلوبك الخاص ما فهمته من هذا الباب من الشرك بالله. ولو كانت المقاصد حسنة ومقارناً بين هذه الأمة والأمم السابقة في الشرك بالله.

قالَ الإمامُ رَحمه الله:

٩- بَـابٌ
مَا جاءَ فِي الذَّبْحِ لِغَيْرِ الله

وَقولُ الله تَعالَـى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ [سورة الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

وَقولُـهُ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢)﴾ [سورة الكوثر: ٢].

عَن عَلِيِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ قَالَ: حَدَّثَني رَسُولُ الله ﷺ بِأَرْبعِ كَلِمَاتٍ: «لَعَنَ الله مَنْ ذَبحَ لِغَيْـرِ الله، لَعَنَ الله مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْـهِ، لَعَنَ الله مَنْ آوَى مُحدِثاً، لَعَنَ الله مَنْ غَيَّـرَ مَنارَ الأَرْضِ» رَواهُ مُسلِـمٌ[1].

وَعَن طَارِقِ بنِ شِهَابٍ؛ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «دَخَلَ الجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبابٍ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبابٍ»، قَالوا: وَكَيفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «مَرَّ رَجُلَانِ عَلَى قَومٍ لَـهُم صَنَمٌ لا يَـجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّى يُقرِّبَ لَـهُ شَيئاً، فَقَالُوا لأَحَدِهِمَا: قَرِّب. قَالَ: لَيسَ عِندِي شَيءٌ أُقَرِّبُ. قَالُوا: قَرِّب وَلَو ذُبَاباً، فَقَرَّبَ ذُبَاباً، فَخَلَّوا سَبِيلَـهُ. فَدَخَلَ النَّارَ. وَقَالُوا للآخَرِ: قَرِّب، قَالَ: مَا كُنتُ لأُقَرِّبَ لأَحَدٍ شَيئاً دُونَ الله عَزَّ وَجَلَّ، فَضَرَبُوا عُنُقَهُ، فَدَخَلَ الجَنَّةَ». رَوَاهُ أَحمَدُ[2].

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٧٨) بنحوه.

(٢) كذا ذكره المصنف -رحمه الله- مرفوعاً! والحديث رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص١٥-١٦) وابن أبي شيبة (١٢/ ٣٥٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٠٣) والبيهقي في «الشعب» =

التحليل: قل: يا محمد. **إن صلاتي**: فرضها ونفلها. **ونسكي**: ذبحي وذبيحتي. **ومحياي**: ما أعمله في حياتي. **ومماتي**: ما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح. **لله**: خالصاً له. **أمرت**: أمرني الله به. **وانحر**: اذبح نسكك لله. **لعن الله**: اللعن الطرد والإبعاد من رحمة الله. **من آوى محدثاً**: بكسر الدال من نصر أو أجار محدثاً فمنع منه خصمه. وبفتح الدال، هو الأمر المبتدع نفسه فيكون معنى الإيواء الرضا به، **منار الأرض**: علاماتها وحدودها بتغييرها بتقديم أو تأخير. **كيف**: اسم استفهام، وذا اسم إشارة واللام للبعد، والكاف حرف خطاب. وهو استفهام متضمن التعجب من دخول النار أو الجنة في ذباب. **مر**: اجتاز. **قوم**: جماعة. **صنم**: الصنم ما كان منحوتاً على صوره، ومطابقة الآيات للترجمة: أن فيها الأمر بإخلاص النسك والنحر وهما الذبح والذبيحة، وأن صرفهما لغير الله شرك.

ومناسبة حديث علي للترجمة: أن فيه الذبح لغير الله، وهذا شرك لأن في الذبح عبادة، فلا يجوز صرفها لغير الله، ومناسبة حديث طارق: أن تقديم أي شيء للأصنام شرك، وإن قل حتى ولو ذباباً.

الإجمالي: إن إخلاص التوحيد عظيم ولا يحققه وينجو من الشرك إلا من وفقه الله، فالله سبحانه وقد أمرنا أن نجعل عباداتنا خالصة له، ومنها الصلاة والنسك فلا نصلي ولا نذبح لغير الله أو من أجله، بل نبتعد عن الشرك قليله

=

(٧٣٤٣)، والخطيب في «الكفاية» (ص١٨٥) من طرق عن طارق بن شهاب عن سلمان الفارسي موقوفاً عليه.

وكثيره، صغيره وكبيره. كما أن الرسول ﷺ حذّرنا من الشرك بقوله: لعن الله من ذبح لغير الله، لما في ذلك من الشرك بالله وحذّر من الشرك وإن قل، ومثل لنا بمثال وهو تقديم الذباب للصنم بأنه كان سبباً لدخول النار لما وقع في قلب المقدم شيئاً من الخوف من الصنم. وأن الممتنع من التقريب ولو ذباباً دخل الجنة لإيمانه بربه وإخلاصه وابتعاده من الشرك امتثالاً لما نهى عنه وإن قل.

فالأول دخل النار بسبب خوفه من الصنم وامتثالاً له وإشراكه مع الله، والثاني دخل الجنة لامتثال أمر ربه، وإخلاصه له فكل جوزي بعمله واعتقاده، فكن أيها المسلم ممن يخلص عمله ويبتعد عن الشرك وشوائبه لتكون من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

الفوائد:

١- الأمر بإخلاص الصلاة والذبح لله تعالى ولعن من ذبح لغير الله لأنه شرك به وكذلك من صلى لغير الله أو من أجله.

٢- لعن من رضي محدثاً في الإسلام أو آوى محدثاً أو ناصره ووالاه.

٣- أن الشرك وإن قل فهو موجب لدخول النار، وإن التخلص منه سبب لدخول الجنة لأن العبرة بتحقيق المقاصد من الشرك.

٤- أنه يشهد لهذا الحديث الصحيح أن الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك، فما أقرب النار من المشرك وإن قل شركه.

٥- أن على طريق الضلال دعاة يدعون إليه فلا يغتر بدعوتهم وترويجهم الباطل وتخويفهم من أضراره.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات التالية:

قل - إن صلاتي - ونسكي - ومحياي - ومماتي - لله - أمرت - لعن الله - من آوى محدثاً - منار الأرض - كيف ذلك - مر - قوم - صنم - وما مناسبة الآيتين والحديثين للترجمة.

واشرح بأسلوبك الخاص ما فهمته من هذا الباب نحو الشرك بالله وإن قل سببه.

قالَ الإمامُ رَحِمَه اللهُ:

١٠- بــابٌ
لا يُذبح للّه بمكان يُذبح فيه لغير اللّه

وَقولُ الله تَعالَـى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًاۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [سورة التوبة: ١٠٨].

عَـن ثَابِـتِ بـنِ الضَّحَاكِ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ قَالَ: نَذَرَ رَجُـلٌ أَن يَنحَـرَ إِبِـلاً بِبُوانَةَ، فَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ، فقَالَ: «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِـنْ أَوْثَـانِ الْجَـاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟» قَالُوا: لَا. قَالَ: «فَهَـلْ كَـانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَـادِهِـمْ؟» قَالُوا: لَا. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَوْفِ بِنَـذْرِكَ؛ فَإِنَّـهُ لَا وَفَـاءَ لِنَـذْرٍ فـي مَعْصِيَةِ الله، وَلَا فِيمَا لَا يَـمْلِكُ ابْنُ آدَمَ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ[1].
وَإِسنَادُهُ عَلَـى شَرطِهِمَا.

التحليل: **لا تقم فيه أبداً**: لا تصل في مسجد الضرار الذي بناه المنافقون أبداً ولا مرة واحدة. **لمسجد أسس**: بنيت قواعده وأصله، واللام للتأكيد. **على التقوى**: على طاعة الله، والمراد بذلك المسجد النبوي. وقيل مسجد قباء. **أحق أن تقوم فيه**: أحق أن تصلي فيه، وأحق من باب أفعل التفضيل الذي ليس على بابه، فلا مفهوم له. **ينحر**: يذبح. **ببوانة**: بفتح الباء. وقيل: بضمها موضع قرب رابغ.

---

(١) برقم (٣٣١٣).



هل: حرف استفهام. **وثن**: الوثن ما عُبد من دون الله. **الجاهلية**: نسبة إلى ما قبل الإسلام. **عيداً**: العيد اسم لما يعود ويتكرر على وجه معتاد. **بنذرك**: النذر ما أوجبه الإنسان على نفسه بكلام يدل عليه وليس من المستحيل ولا المحرم، **فإنه**: الضمير للشأن والحال. **لا نذر في معصية الله**: لا ينعقد نذر المعصية ولا يجوز. ومناسبة الآية أن هذا المسجد لما أعد لمعصية الله تعالى، صار محل ظلم ومعصية، فلا تجوز الصلاة فيه لله لأنه بني لغير الله. ومناسبة الحديث أن المواضع المعدة للذبح لغير الله لا يذبح فيها لله خشية أن يذبح فيها لغير الله.

الإجمالي: لما كان الشرك له تأثير في البقاع في التوصل إليه بالوسائل، وكان المطلوب من الأعمال أن تكون خالصة لله تعالى، وكانت الوسائل لها حكم الغايات، لذا فإن رسول الهدى ﷺ لما سأله الرجل عن الوفاء بنذره الذي نذره ونص على ذبحه ببوانه لم يجبه الرسول ﷺ حتى سأل عن خلو المكان من أوثان الجاهلية وأعيادهم خشية أن يكون نذراً لغير الله أو وسيلة إلى ذلك، فلما تبين خلو المكان من ذلك أمره بالوفاء، فهذا إرشاد من سيد الأمة أن تسد الأبواب التي تؤدي إلى الاعتقادات الفاسدة وإلى المعاصي المحرمة، لما في ذلك من الخطر الشديد وهو الشرك بالله، ومشابهة أعداء الله. فما على المسلم المؤمن بالله حقاً إلا أن يبتعد عن كل ما يضره أو ما يكون وسيلة إلى الضرر ولا يدخل في أمر لا يعلم حقيقته حتى يتبين له الحق ولا يكون مقلداً، وما جهله العبد يتبع فيه الأخيار من أهل العلم ويسألهم عما يجهله ليكون على بصيرة من أمر دينه ودنياه، ربنا هب لنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً.

الفوائد:

١- وجوب الوفاء بالنذر إذا كان عبادة لله تعالى.

٢- أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع.

٣- أن من نذر نذراً في بقعة فيها وثن أو عيد من أعياد المشركين لا يجوز الوفاء به ولو بدون قصد، وكذلك المكان الذي أعد لمعصية الله كمسجد الضرار.

٤- سد الأبواب التي تؤدي إلى الشرك ومشابهة أعداء الله فيما لا يجوز.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة:

لا تقم فيه أبداً - لمسجد أسس - على التقوى - أحق أن تقوم فيه - ينحر - ببوانة - هل - وثن - الجاهلية - عيد - أوف بنذرك - فإنه - لا نذر في معصية الله.

وما مناسبة الآية والحديث للترجمة، وهل للمعصية والطاعة تأثير في البقاع وضح ذلك، ولماذا نهى الرسول عن الصلاة في هذا المسجد وما حكم نذر المعصية، واشرح بأسلوبك الخاص ما فهمته من هذا الحديث من وسائل الشرك وأثر الشرك في البقاع.



قَالَ الإِمامُ رَحِمَه اللهُ:

١١- بـابٌ
من الشرك: النذر لغير الله

وَقَولُ الله تَعَالَـى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ۝٧﴾ [سورة الدهر: ٧].

وَقَولُـهُ: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٠].

وَفِي الصَّحِيحِ[1] عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنـها: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ الله فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ الله، فَلَا يَعْصِهِ».

التحليل: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾: من أموالكم أي في أي وجه كان، أو: للتنويع. **نذرتم من نذر:** والنذر هو إلزام الإنسان نفسه ما ليس بلازم عليه. **فإن الله يعلمه:** يعلم ما ينفق وينذره سواء في طاعة الله أم في معصيته. من: مفيدة العموم وشرطية. نذر: ألزم نفسه بشيء غير لازم عليه. **أن يطيع الله:** في أمر من الأمور، فليطعه، وهذا جواب شرط (من) فيلزمه الوفاء بها كان طاعة لله ونذر المعصية لا يفي به.

الشرح الإجمالي: إن الله سبحانه يشيد بمن يفي بنذره من الخير والطاعة والمنفق ابتغاء وجه الله وما له من الثواب ويحذر من ينفق في المعاصي والمحرمات

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٩٦).

فالله سبحانه يعلم السر وما يخفى، فلا يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم فيجازي كل بعمله، فليحسن الإنسان عمله، ثم جاء بهذا الحديث أن الرسول ﷺ أمر بالوفاء بالنذر إذا كان نذر طاعة، ونهى عن الوفاء بنذر المعصية لما في ذلك من الإعانة على المعاصي والمحرمات، وجاء بهذا الكلام الجامع الشامل الذي لا يحتاج إلى تفسير وبين فيه أن نذر المعصية لا يجوز ولا ينفذ وأنّ نذر الطاعة هو الذي يجب الوفاء به، فما على المسلم إلا أن يسلك هذا السبيل المستقيم ويترك ما سواه.

الفوائد:

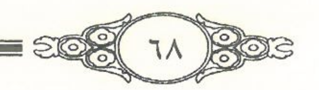
١- أن الله يعلم ما ينفق الإنسان من النفقات التي يريد بها الثواب أو المعاصي.

٢- أن الله قد أثنى على الذي ينذر نذراً فيوفيه.

٣- أن من نذر أن يطيع الله في نذر فواجب عليه الوفاء به.

٤- أن من نذر أن يعصي الله في نذر فلا يجوز عقده ولا الوفاء به.

سؤال: اشرح بأسلوبك الخاص من الآية ما فهمت من هذا الحديث في حكم النذر مفصلاً.



قالَ الإمامُ رَحمَه اللهُ:

١٢- بـابٌ
من الشِّرك: الاستعاذةُ بغيرِ اللّه

وَقولُ الله تَعالَـى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [سورة الجن: ٦].

وَعَن خَولَةَ بِنتُ حَكِيمٍ قَالَت: سَمِعتُ رَسُول الله ﷺ يقول: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِـماتِ الله التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ؛ لَـمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَـرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِـهِ ذَلِكَ» رَوَاهُ مُسلِـمٌ[1].

التحليل: وأنه: الضمير للشأن والحال. **يعوذون:** يلوذون. **الجن:** سمو جناً لاجتنانهم واختفائهم عنا. **رهقاً:** خوفاً ورهباً لاعتمادهم عليهم. **أعوذ:** ألتجئ وألوذ. **كلمات الله:** القرآن وقيل غيره. **التامات:** الكاملات التي لا يلحقها نقصاً ولا عيب. **من شر:** الشر ضد الخير. **ما خلق:** ما خلق الله. **لم يضره:** لم يمسه ضرر، والضرر ضد النفع.

تنبيه: قد يُصاب الإنسان في منزل وإن كان دعا بهذا الدعاء لأسباب تمنع الإجابة. ومناسبة الآية للترجمة: أن المستعيذ من الجن خوفاً منهم من الشرك بالله، ومناسبة الحديث: أن الإنسان يعوذ معتصماً بربه لا بغيره.

---

(١) برقم (٢٧٠٨).

الإجمالي: كانت العرب في الجاهلية قبل الإسلام من عاداتهم السيئة واعتقاداتهم الفاسدة أنهم يخافون الجن، فهم يستعيذون منهم بزعمائهم حتى لا يضروهم لا بأنفسهم ولا بأموالهم، فلما ظهر للجن خوفهم منهم زادوهم خوفاً شديداً بأنواع من الأشياء التي يعتقدونها حتى اعتمدوا عليهم، فأشركوا بالله، لذا فقد أرشدنا رسول الهدى محمد ﷺ على هذا الدعاء الجامع الحافظ لمن دعا به مؤمناً به معتمداً على ربه لأنه لا يضره شيء من دون الله لا من الجن ولا من الإنس ولا من غيرهم من المخلوقات ذات الشر، فما على المؤمن إلا أن يعتمد على الله ولا يخشى أحداً سواه في كل ميادين هذه الحياة.

الفوائد:

١- أن الاستعاذة بغير الله والخوف منه دون الله من الشرك.

٢- أن كلمات الله غير مخلوقة لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك، والرسول أمرنا أن ندعو بكلمات الله تعالى.

٣- أن الاستعاذة بأسماء الله وصفاته مع صدق الالتجاء إلى الله هو الحصن الحصين من الشرك وأهله.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

أنه - يعوذون - الجن - رهقاً - أعوذ - كلمات الله - التامات - من شر - ما خلق - لم يضره - قد يدعو الإنسان بهذا الدعاء ويصاب بضرر فما الجواب، وما مناسبة الآية والحديث للترجمة.

اشرح ما فهمته من هذا الباب نحو من استعاذ بالله ممن استعاذ بغير الله.

قالَ الإمامُ رَحِمَه اللهُ:

١٣- بـابٌ
من الشِّرك: أن يستغيثَ بغير اللّه أو يدعوَ غيرَه

وَقولُ الله تَعالَى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [سورة يونس: ١٠٦-١٠٧].

وَقولُهُ: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة العنكبوت: ١٧].

وَقولُهُ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [سورة الأحقاف: ٥-٦].

وَقَولُهُ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة النمل: ٦٢].

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ بِإِسنادِهِ[1]، أَنَّـهُ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُنَافِقٌ يُؤذِي المُؤمِنِينَ، فَقَالَ بَعضُهُـم: قُومُوا بِنَا نَستَغِيثُ بِرَسُولِ الله ﷺ مِن هَذَا المُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّـهُ لَا يُستَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُستَغَاثُ بِالله».

التحليل: ولا تدع: يا محمد أحداً من الخلق. **من دون الله**: من دون إلهك ومعبودك، وهذا خطاب للنبي ﷺ وهو عام لجميع أمته. **ما لا ينفعك**: لا في الدنيا ولا في الآخرة. **ولا يضرك**: لا في دينك ولا في دنياك. **فإن فعلت**: ذلك دعوته من دون الله. **فإنك إذاً**: حين فعلك. **من الظالمين**: المشركين بالله وهذا جواب إن، والظلم لغة وضع الشيء في غير موضعه. **واعبدوه**: أخلصوا له العبادة. **واشكروه**: على ما أنعم به عليكم. **من يشاء**: من يريد. **ترجعون**: تعودون يوم القيامة. **ومن أضل**: لا أضل ممن يدعو من دون الله أحداً من الخلق. **حشر الناس**: جمعوا يوم القيامة. **المضطر**: المُلجأ بالضرر الشديد. **أإله مع الله**: أإله يفعل هذه الأمور مع الله، والهمزة للاستفهام الإنكاري، والمعنى: لا إله مع الله. **المنافق**: الذي يظهر خلاف ما يبطن. **وشرعاً**: الذي يظهر الحق ويبطن الباطل، وقيل: إن هذا المنافق، عبدالله بن أُبي. **يؤذي**: يوقع فيهم الأذية. **نستغيث**: نطلب الاستعانة برسول الله ﷺ.

---

(١) ذكره الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٥٩-١٦٠) وقال: رجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث.

قلت: وأخرجه أحمد (٥/ ٣١٧) وابن سعد في «الطبقات» (١/ ٣٨٧) من طريق ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن علي ابن رباح أن رجلاً سمع عبادة فذكره... فقال رسول الله ﷺ: «لا يقام لي، إنما يقام لله» وسنده ضعيف لضعف ابن لهيعة ولإبهام الراوي عن عبادة.

والاستعانة نوعان: نوع معنوي، لا يقدر عليه إلا الله، فهذا لا يجوز إلا طلبه من الله. ونوع حسي، في الأمور الظاهرة كالاستعانة من عدو أو سبع ونحو ذلك، فهذا يجوز فيه الاستعانة بالمخلوق بشرط حضور المستعان به وقدرته. والفرق بين الاستغاثة والدعاء: أن الاستغاثة طلب الغوث وهو بإزالة الشدة وطلب النصرة، ولا تكون إلا من المكروب والدعاء أعم من أن يكون من مكروب أو غيره، فعطفه على الاستغاثة من عطف العام على الخاص، فكل استغاثة دعاء ولا كل دعاء استغاثة.

الإجمالي: إن الدعاء بغير الله والاستغاثة بغيره فيما لا يقدر عليه إلا هو من الشرك الذي حرمه الله، لأن الله سبحانه قد أمر عباده المؤمنين بدعائه وحده دون من سواه من الخلق وأخبر سبحانه أنه هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء عمن سأله، وأنكر على الذين يجعلون معه غيره بأن يكون شريكاً من الخلق يدعى ويستغاث به بقوله: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٦٠] يدعى ويفعل معه ما يشاء كلها فلا يغفل أحد به مع الله سبحانه فهو الذي يدعى ولا يدعى معه، وهو الذي يستغاث به ولا يستغاث بغيره وأنه لا أضلّ ممن يدعو من دون الله من لا يملك نفعاً ولا ضراً، إنما الله سبحانه هو الذي يملك الضر والنفع ويرزق من يشاء بغير حساب.

وهو الذي يشكر على نعمائه ويرضى بما قدره وقضاه لا معقب لحكمه ولا راد لفضله وقدره يفعل ما يشاء متى شاء وهو على كل شيء قدير.

تنبيه: فلا أضل ممن يدعو غير الله: لأمور أربعة:

١- أن المدعو لا يستجيب ما طلب منه.

٢- أنه غافل عن دعاء الداعي.

٣- أن دعوته له سبب للعداوة بين الداعي والمدعو.

٤- كفر المدعو بتلك الدعوة.

الفوائد:

١- النهي عن دعاء غير الله أو الاستغاثة بغيره فيما لا يقدر عليه المخلوق لأنه شرك بالله.

٢- أن من مسه ضر لا يكشفه إلا الله تعالى، وأن من أراده الله تعالى بخير فلا رادَّ لفضله.

٣- الأمر بعبادة الله وحده دون من سواه وأنه لا أضل ممن يدعو من دون الله.

٤- أن المدعو يتبرأ يوم القيامة ممن عبده ودعاه ويكون عدواً له يوم يلقاه.

٥- أن المشركين قد اعترفوا بأنه لا يجيب المضطر ولا يكشف السوء إلا الله، ومع ذلك لم يدخلهم هذا في الإسلام لإشراكهم مع الله غيره في ألوهيته وعبادته.

٦- أن الرزق لا يسأل إلا من الله، وأنه لا يشكر إلا هو على نعمائه التي لا تعد ولا تحصى ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

لا تدع - من دون الله - ما لا ينفعك - ولا يضرك - فإن فعلت - فإنك إذاً من الظالمين - ما يشاء - واعبدوه - واشكروه - ترجعون - ومن أضل - حشر



الناس - المضطر - أإله مع الله - المنافق - يؤذي - نستغيث - الاستغاثة نوعان فما هما - أنه لا أضل ممن يدعو غير الله لأمور أربعة فما هي - المشركون قد اعترفوا بأن الله يجيب المضطر ويكشف السوء، فلماذا لم يدخلوا في الإسلام.

اشرح بأسلوبك الخاص ما فهمته من هذه الترجمة حول من يدعو غير الله بتفصيل وإيضاح.

قَالَ الإمامُ رَحِمَهُ اللهُ:

١٤- بـابٌ

قَوْلُ اللهِ تَعَالَـى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ ﴾ [سورة الأعراف: ١٩١-١٩٢].

وَقَوْلُـهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾[سورة فاطر: ١٣-١٤].

وَفِي الصَّحِيحِ[١] عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: شُجَّ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُـهُ، فَقَالَ: «كَيْفَ يُفْلِـحُ قَومٌ شَجُّوا نَبِيَّـهِـمْ؟» فَنَزَلَت: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ [سورة آل عمران: ١٢٨].

وَفِيهِ[٢] عَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُـما: أَنَّـهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرَّكْعَةِ الأَخِيرَةِ مِنَ الْفَجْرِ: «اللَّـهُـمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا» بَعْدَمَا يَقُولُ: «سَمِعَ اللهُ لِـمَنْ حَـمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْـحَـمْدُ»، فَأَنْزَلَ اللهُ ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٩١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٦٩).

وَفِي رِوَايَةٍ[(١)]: يدعُو عَلَى صَفوَانَ بنِ أُمَيَّةَ وَسُهَيلِ بنِ عَمرٍو وَالحَارِثِ ابنِ هِشَامٍ، فَنَزَلَت ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

وَفِيهِ[(٢)] عَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ قَالَ: قَامَ رَسُولُ الله ﷺ حِينَ أُنزِلَ عَلَيهِ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [سورة الشعراء: ٢١٤] فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ -أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا- اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ الله شَيْئًا. يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِالْـمُطَّلِبِ! لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ الله شَيْئًا. يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ الله ﷺ! لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ الله شَيْئًا. وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ! سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ الله شَيْئًا».

---

(١) أخرجها البخاري (٤٠٧٠) عن سالم بن عبدالله مرسلة. ووصلها أحمد (٢/ ٩٣) والترمذي (٣٠٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٥٣) ومسلم (٢٠٦).

قَالَ الإمامُ رَحمَه اللهُ:

١٥- بـابٌ

قَولُ الله تَعَالَـى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾ [سورة سبأ: ٢٣].

فِي الصَّحِيحِ[١] عَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا قَضَى اللهُ الأَمْرَ فِي السَّماءِ؛ ضَرَبَتِ الْـمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِـهَا خُضْعَانًا لِقَولِـهِ، كَأَنَّـهُ سِلْسِلَةٌ عَلَـى صَفْوَانٍ، يَنْفُذُهُـمْ ذَلِكَ، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَـرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَـرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا: بَعضُهُ فَوْقَ بَعضٍ -وَصَفَهُ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ، فَحَرَّفَهَا وَبَدَدَّ بَيْنَ أَصَابِعِهِ- فَيَسمَعُ الكَلِـمَةَ، فَيُلقِيها إِلَـى مَن تَـحتَـهُ، ثُمَّ يُلقِيها الآخَرُ إِلَـى مَن تَـحتَـهُ، حَتَى يُلقِيَها عَلَـى لِسَانِ السَّاحِرِ أَو الكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدرَكَهُ الشِّهَابُ قَبلَ أَنْ يُلْقِيَـهَا، وَرُبَّمَا أَلقَاهَا قَبلَ أَن يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيسَ قَد قَالَ لَنَا يَومَ كَذَا وكَذَا: كَذَا وَكَذَا؟ فَيَصدُقُ بِتِلكَ الكَلِـمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ».

وَعَنِ النوَّاسِ بنِ سَمعَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَـى أَن يُوحِيَ بالأَمرِ، تَكَلَّـمَ بِالوَحيِ، أَخَذَتِ السَّمَاوَاتِ مِنهُ رَجفَةٌ، -أَو قَالَ: رَعدَةً- شَدِيدَةً، خَوفاً مِنَ الله عَزَّ وَجَلَّ. فَإِذَا سَمِعَ ذَلكَ أَهلُ السَّمَاوَاتِ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٠١).

صَعِقُوا وَخَرُّوا لله سُجَّداً، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَن يَـرفَعُ رَأسَهُ جِبرِيلُ، فَيُكَلِّـمُهُ اللهُ مِن وَحيِـهِ بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَـمُرُّ جِبريلُ عَلَـى المَلَائِكَةِ، كُلَّـمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَـهُ مَلَائِكَتُـهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبرِيلُ؟ فَيَقُولُ جِبرِيلُ: قَالَ الحَقَّ، وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ. فَيقُولُونَ كُلُّـهُـم مِثلَ مَا قَالَ جِبرِيلُ، فَينتَـهِي جِبرِيلُ بِالوَحيِ إِلَـى حَيثُ أَمَرهُ الله عزَّ وَجَلَّ»(١).

التحليل: فزع عن قلوبهم: نزل على قلوبهم الفزع وهو الخوف من غشية تصيبهم حين سماعهم لكلام الله بالوحي. **قالوا الحق:** قال الملائكة إنه الحق والحق ضد الباطل، **العلي:** الأعلى علو القدر والقهر وعلو الذات. **الكبير:** العظيم الذي لا أعظم منه، **خضعانا:** بفتح الخاء والضاد خضوعاً لربهم وبضم الخاء وسكون الضاد: جمع خاضع. **السلسلة:** الحلق من الحديد المتصل بعضها ببعض. **صفوان:** حجر أملس ينفذهم ذلك. بفتح الياء وسكون النون وضم الفاء يخلص ويمضي ذلك القول في أسماع الملائكة وقلوبهم. **مسترق السمع:** هو الذي يسمع مستخفياً. **فحرفها:** بحاء وراء مشددة. **بددها:** فرق بين أصابعه. **الساحر:** العالم بالسحر وكل ما دق ولطف مأخذه فهو سحر، وسمي سحراً لأنه غالباً يعمل آخر الليل وقت السحر. **الكاهن:** الذي يدعي علم المغيبات. **الشهاب:** شعلة نار

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٥١٥)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢٠٦)، وأبو زرعة الدمشقي في «تاريخه» (١/ ٦٢١)، وابن جرير في «تفسيره» (٢٢/ ٦٣)، وفي سنده نعيم بن حماد وهو لين، وفيه الوليد ابن مسلم يدلِّس تدليس التسوية. ونقل أبو زرعة بإثره عن دحيم قوله: لا أصل له.

يرمى بها من النجم. **كذبة**: بفتح الكاف وسكون الذال والكذب ضد الصدق وهو ما يخالف الواقع. **رجفة**: زلزلة تحصل حين نزول الوحي. **رعدة**: بمعنى رجفة. **صعقوا**: غشي بهم. **خروا**: هووا وسقطوا. **سجداً**: والمراد بوضع هذه الترجمة، بيان حال الملائكة الذين هم أقوى وأعظم ممن عبد من دون الله ومع ذلك فليس لهم من الأمر شيء.

الإجمالي: في هذا الباب ما تضمنته الآية والحديث ورواياته ما يجعل كل مؤمن بالله يزيد إيمانه بربه وإخلاصه في توحيده وتفويض أموره كلها إليه.

وكل من يتدبر هذه الآية والحديث وما في معناهما ويمعن النظر نظر البصيرة إلا والأحرى به إذا كان مشركاً أن يقلع عن الشرك قليله وكثيره، ثم لا يعود إليه أبداً بتوفيق الله، فهذه الآية تخبرنا عن الملائكة أنهم يفزعون حين تنزيل كلام الله بوحيه فإذا أفاقوا سأل بعضهم بعضاً ماذا قال ربنا؟ فيقولون: قال الحق وهو العلي الكبير، ومثل ذلك في الحديث أن الله سبحانه إذا قضى ما يريد من أمر في السماء فإنهم يصعقون خوفاً منه ويخرون سجداً تعظيماً وإجلالاً لربهم، وأن السماوات مع سعتها وعظمتها تكاد تنفطر من الاضطراب، خوفاً من الله حين يتكلم بما يشاء من أمره.

انظر أيها الأخ المسلم الكريم على الملائكة الذين من أشرف الخلق وأعظمهم، ماذا يحصل لهم من الخوف من الله والتعظيم والإجلال له، وهم الذين مدحهم الله في قوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ

أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٨]، فهذا حال الملائكة فكيف بمن يشرك مع الله غيره أبعد هذا يترك الإله الذي هذا وصفه، وهذا خوف الملائكة الشديد منه وهم أقوى وأعظم وأكرم ممن عبد من دون الله من مخلوق ضعيف لا يستطيع نفع نفسه ولا دفع الضرر عنها، فكيف ينفع غيره أو يدفع عنه ضرراً سبحانك هذا بهتان عظيم.

الفوائد:

١- بيان إبطال الشرك والتعلق بالملائكة والأنبياء والصالحين في دفع شر أو جلب نفع من دون الله تعالى.

٢- إثبات كلام الله إثباتاً يليق بجلاله وعظمته، لأن الملائكة قالوا: ماذا قال ربنا ولم يقولوا ماذا خلق ربنا.

٣- أن الله سبحانه عالٍ على خلقه فوق سماواته، وله العلو المطلق علو القدر والقهر، والذي يتكلم لم يزل متكلماً متى شاء.

٤- أن كل شيء يدبره ويقضيه حقاً وإن كان مكروهاً، وفيه ضرر لحكم وأسرار منها ما يُعلم ومنها ما لا يعلمه إلا هو.

٥- أن الكاهن أكثر كلامه كذب وأنه لا يكون كاهناً إلا بعد موالاته للشياطين.

٦- أن الكواكب مسخرات على ما يشاء الله ويريده فليس لها تأثير بنفسها من دون الله.

الأسئلة اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

فزع عن قلوبهم - قالوا الحق - العلي - الكبير - خضعانا - سلسلة - صفوان - ينفذهم ذلك - مسترق السمع - فحرفها - الساحر - ولم يسمى ساحراً - الكاهن - الشهاب - كذبة - رجفة - رعدة - صعقوا - خروا - سجداً - ما المناسبة بوضع هذه الترجمة، وما مناسبة الآية والحديث للترجمة.

قَالَ الإمامُ رَحِمَه اللهُ:

١٦- بـابُ الشَّفاعة

وَقولِ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾ [سورة الأنعام: ٥١].

وَقولِـهِ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة الزمر: ٤٤].

وَقولُـهُ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥].

وَقولُـهُ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة النجم: ٢٦].

وَقولِـهِ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سورة سبأ: ٢٢-٢٣].

قَالَ أَبو العَبَّاسِ: نَفَى اللهُ عَمَّا سِوَاهُ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِـهِ المُشرِكُونَ. فَنَفَى أَنْ يَكُونَ لِغَيرِهِ مُلكٌ أَو قِسطٌ مِنهُ، أَو يَكُونَ عَوناً لله. وَلَـم يَبقَ إِلّا الشَّفَاعَةُ. فَبَيَّنَ أَنَّـهَا لَا تَنفَعُ إِلّا لِـمَن أَذِنَ لَـهُ الرَّبُّ، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٨].

فَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ الَّتِي يَظُنُّـها المشرِكُونَ هِيَ مُنْتَفِيةٌ يومَ القِيَامَةِ، كَمَا نَفَاهَا القُرآنُ، وَأَخبَرَ النبيُّ ﷺ: «أنه يأتي فَيَسْجُدُ لربه وَيَـحْمَدُهُ -لَا يَبدَأُ بِالشَّفَاعَةِ أَولاً- ثُمَّ يُقَالَ لَـهُ: ارفَع رَأسَكَ، وقُلْ يُسمعْ، وَسَلْ تُعْطَ، واشفَع تُشَفَّع»[1].

وَقَالَ لَـهُ أَبو هُرَيرَةُ: مَن أَسعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ؟ قَالَ: «مَن قَالَ لَا إلهَ إلَّا الله خَالِصاً مِن قَلبِـهِ»[2] فَتِلكَ الشَّفَاعَةُ لأَهلِ الإِخلَاصِ، بِإِذنِ الله، ولَا تَكُونُ لِـمَن أَشرَكَ بِالله.

وَحَقِيقَتُـهُ: أَنَّ اللهَ سبحانَـهُ هُوَ الَّذِي يَتفَضَّلُ عَلَـى أَهلِ الإِخلَاصِ فَيَغفِرُ لَـهُـم بِواسِطَةِ دُعَاءِ مَنْ أَذِنَ لَـهُ أَن يَشفَعَ، لِيُكرِمَهُ وَيَنَالَ المَقَامَ المَحمُودَ.

فَالشَّفَاعَةُ الَّتِي نَفَاهَا القُرآنُ مَا كَانَ فِيهَا شِركٌ، وَلِـهذَا أَثبَتَ الشَّفَاعَةَ بِإِذنِـهِ فِي مَوَاضِعَ. وَقَد بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّـهَا لَا تَكُونُ إِلَّا لأَهلِ التَّوحِيدِ وَالإِخلَاصِ. انتَـهَى كَلَامُهُ.

التحليل: (الشفاعة: لغة: الوسيلة والوساطة، وعرفت شرعاً: سؤال الخير للغير). وانذر: الإنذار، الإعلام بأسباب الخوف ومواضعه والتحذير منه. به: بالقرآن. أن يحشروا: أن يجمعوا. من دونه: من دون الله. ولي: موالي ينصرهم. ولا شفيع: يتشفعون به من عذاب الله. والشفيع مأخوذ من الشفع، وهو ضد الفرد، لأنه إذا جعل معه في حاجته أحد يسعى فيها فقد صار هو وإياه شفعاء. وليس:

---

(١) جزء من حديث الشفاعة الطويل الذي يرويه أبو هريرة، وهو عند البخاري (٤٧١٢) ومسلم (١٩٤). وكذلك يرويه أنس وهو عند البخاري (٤٤٧٦) ومسلم (١٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (٩٩).

في محل نصب على الحال. والمعنى متخلي من الولي والشفيع. والعامل فيه يخافون. كم: خبرية، ومعناها التكثير وهي من موضع رفع على الابتداء والخبر. **لا تغني**: لا نافية. والغنى هنا جلب النفع أو دفع الضر. **قل**: يا محمد. **مثقال ذرة**: وزن ذرة، والذرة مفرد ذر، وهو صغار النمل. **ظهير**: معين. **قال**: وقل. **يسمع**: لقولك. **واشفع**: فيما تريد. **تشفع**: فيه. **من أسعد الناس بشفاعته**: من الذين يستحق الشفاعة. **أبو العباس**: كنية ابن تيمية، ولم يكن له ولد.

ومناسبة الآيات للباب: أنها تنفي الشفاعة من دون الله، ومن خالف ذلك فهو مشرك.

الشرح الإجمالي: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه أو يكون عوناً لله، ولم يبق إلا الشفاعة.

فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٨]، فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون أنها لهم هي منتفية يوم القيامة، كما نفاها القرآن، وأخبر النبي ﷺ بأنه يأتي فيسجد لربه ويحمده -لا يبدأ بالشفاعة أولاً- ثم يقال له: ارفع رأسك وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع، وقال أبو هريرة للنبي ﷺ: من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه». فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله. وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع، ليكرمه وينال المقام المحمود، فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت

الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بيّن النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد الخالص. انتهى كلامه.

تنبيه: الشفاعة تنقسم إلى قسمين: مثبتة، وهي التي تطلب من الله، ولها شرطان: الإذن من الله ورضا الله عن المشفوع له. والمنفية: التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، وهذه هي الشفاعة الشركية.

والشفاعات ست:

١- الشفاعة الكبرى التي يتأخر عنها أولو العزم من الرسل.

٢- والشفاعة لأهل الجنة بدخولها.

٣- والشفاعة لقوم من أمته من العصاة أن لا يدخلوا النار.

٤- وإخراج العصاة من أهل التوحيد من النار.

٥- وشفاعته بزيادة ثواب قوم من أهل الجنة برفع درجاتهم.

٦- وشفاعته بتخفيف العذاب عن عمه أبي طالب.

الفوائد:

١- بيان الشفاعة المنفية التي لا تجوز والشفاعة المثبتة التي تجوز بعد إذن الله ورضاه عن المشفوع له.

٢- ذكر الشفاعة الكبرى التي يتأخر عنها أولو العزم من الرسل، وأن أسعد الناس بها من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه مخلصاً عمله لربه.

٣- أن من جعل بينه وبين الله شفعاء من الأولياء والصالحين أو غيرهم فقد أشرك بالله.

٤ - أن الملائكة لا تنفع شفاعتهم لو شفعوا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى.

٥- أن من سأل الشفاعة ممن لا يستطيع نفع نفسه، فإنه ضعيف العقل مريض القلب.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

الإنذار - به - أن يحشروا - من دونه - ولي - ولا شفيع - ليس - كم - لا يغني - قل - مثقال ذرة - ظهير - أبو العباس - وقل يسمع - واشفع - من أسعد الناس بشفاعته - بين الشفاعة لغةً وشرعاً - والشفاعة تنقسم إلى قسمين فوضحهما - والشفاعة ست فوضحها.

وما المراد من وضع هذا الباب، وما مناسبة الآيات للترجمة.

قَالَ الإمامُ رَحِمَه اللهُ:

١٧- بـابٌ

قَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة القصص: ٥٦].

وَفِي الصَّحِيحِ(١) عَن ابنِ المُسَيِّبِ، عَن أَبِيهِ قَالَ: لَـمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسُولُ الله ﷺ وَعِنْدَهُ عَبْدُالله بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ وَأَبُو جَهلٍ، فَقَالَ لَهُ: «يَا عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَـهَ إِلَّا الله، كَلِـمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِـهَا عِنْدَ الله»، فَقَالَا لَـهُ: أَتَـرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِالْـمُطَّلِبِ؟ فَأَعَادَ عَلَيهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَعَادَا، فَكَانَ آخِرَ مَا قَالَ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِالْـمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَـهَ إِلَّا الله. فَقَـالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَـمْ أُنْـهَ عَنْكَ». فَأَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ﴾ [سورة التوبة: ١١٣].

وَأَنزَلَ اللهُ فِي أَبِي طَالِبٍ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

التحليل: إنك: يا محمد. لا تهدي: هداية التوفيق والقبول. من أحببت: عمك أبا طالب أو غيره إنما عليك البلاغ والهداية إلى الحق. حضرت أبا طالب الوفاة: قربت منه علامات الموت ومقدماته. يا عم: منادى، مضاف يجوز فيه

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٠) ومسلم (٢٤).



إثبات الياء وحذفها وتبقى الكسرة دليل عليه، **أحاج لك بها عند الله**: من المحاجة، أشهد لك بها عند الله. **هو على ملة عبدالمطلب**: على ملة الشرك والكفر بالله. **والملة**: الدين والشريعة. **أبى**: امتنع. **أولي قربى**: قرابة الإنسان هم بنو أبنائه وأعمامه.

والمراد بهذه الترجمة: الرد على المشركين الذين يعتقدون في الصالحين وغيرهم النفع والضرر من دون الله.

والهداية قسمان: هداية التوفيق والقبول، وهي المذكورة في هذه الآية ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ وهي لا تكون إلا لله، وهداية بيان وإرشاد وهي التي للرسول ﷺ وهو قول الله ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢].

ومناسبة الآيات: أن النبي ﷺ لا يهدي من أحب ولا يستغفر لمشرك لا هو ولا غيره ولو كان ذا قرابة من الإنسان. ومناسبة الحديث أن الرسول مع حرصه الشديد على هداية عمه وعلى أن ينطق بالشهادة ليحاج له بها عند الله، فلم يستطع هدايته.

الشرح الإجمالي: إن من تفهم هذه الآية وهذا الحديث تبين له واضحاً جلياً أنه لا ينفع أحدٌ أحداً ولا يضر أحدٌ أحداً مهما عمل وحاول أنواعاً من الأسباب التي يتوصل بها إلى نفع قريب أو بعيد، فلن يستطيع أن يتصرف أحد في أمر الله شيئاً، فهذا الرسول الذي هو سيد ولد آدم وأفضل الخلق عند الله قد بذل

وسعه في أسباب هداية عمه، حتى إنه وهو في سياق الموت يعرض عليه كلمة الإسلام والتوحيد، بأن يقولها حتى يحاج له بها عند الله شفقة عليه بإنقاذه من النار لما له عليه من الأيادي الكريمة من مناصرته وإحاطته من الأعداء والدفاع عنه ممن أراده بسوء، ومع ذلك فلم يستطع نفعه، واستمر على ذلك بالدعاء له بعد موته في جِد وأخذ يستغفر له حتى نزل عليه من الله قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣]، وأنه لا يهدي من أحب إذا كان الله لم يرد له الهداية، فمن تأمل هذه الواقعة مع الرسول ﷺ علم يقيناً أن الأنبياء والملائكة والصالحين ليس لهم من الأمر شيء، لا بنفع أحد ولا دفع ضرر عنه، فلا ينفع أحداً إلا ما قدمت يداه، وما أراد الله له فعلى المؤمن أن يستعين بالله ويعبده وحده ويفعل الأسباب التي تسعده في هذه الحياة وبعد الممات.

الفوائد:

١- أن هداية التوفيق بيد الله وأن من لم يرد الله هدايته لا أحد يستطيع هدايته حتى الأنبياء.

٢- أن الرسول ﷺ قد بالغ في أسباب هداية عمه قبل موته واستغفر له بعد موته فلم يتم له ذلك.

٣- الحذر من مصاحبة أهل السوء وأضرارهم ومن تعظيم الأسلاف والآباء وأن الأعمال بالخواتيم.

٤- تحريم الاستغفار للمشركين ومحبتهم وموالاتهم ولو كانوا أولي قربى.

٥- أن الحكمة في عدم هداية أبي طالب ليعلم العباد أنه ليس لأحد من الأمر شيء حتى الأنبياء.

٦- أن الهداية قسمان: هداية التوفيق وهداية البيان والإرشاد.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

إنك - لا تهدي - من أحببت - حضرت أبا طالب الوفاة - يا عم - أحاج لك بها عند الله - هو على ملة عبدالمطلب - أبى - أولي قربى - ما هي الحكمة في عدم هداية أبي طالب - والهداية قسمان فوضحهما - وما المراد بهذه الترجمة وما مناسبة الآيات والحديث للترجمة.

واشرح بأسلوبك الخاص إجمالاً ما فهمته من هذا الباب مستدلاً منه بأعظم دليل أنه لا ينفع أحدٌ أحداً إلا بإذن الله.

قَالَ الإمامُ رَحِمَه اللهُ:

١٨- بابٌ
ما جاء أن سَبَب كُفرِ بني آدمَ وتركِهِم دينَهُم هو الغلوُّ في الصالحين

وَقولُ اللهِ عَزَّ وَجلَّ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [سورة النساء: ١٧١].

فِي الصَّحِيحِ[1] عَن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهما فِي قَولِ اللهِ تَعالَى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ۝٢٣﴾ [سورة نوح: ٢٣].

قَالَ: هَذِهِ أَسْماءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَـمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ: أَنِ انصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِم الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصاباً وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا وَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَنُسِيَ الْعِلْمُ؛ عُبِدَتْ».

وَقَالَ ابنُ القَيِّمِ: قَالَ غيرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: لَـمَّا مَاتُوا، عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِم، ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُم، ثُمَّ طَالَ عَلَيهِم الأَمَدُ فَعَبَدُوهُم.

وَعَن عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لا تُطْرُونِي كَمَا أَطرَتِ النَّصَارَى ابنَ مَريَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبدٌ، فَقُولُوا: عَبدُ اللهِ وَرَسُولُهُ» أَخرَجَاهُ[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٢٠)، وعنده بلفظ: وتنسَّخ العلم.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٥)، ولم يخرجه مسلم.

وَقَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِيَّاكُم وَالغُلُوَّ؛ فَإِنَّمَا أَهلَكَ مَنْ كَانَ قَبلَكُم الغُلُوُّ»(١).

وَلِمُسلِمٍ(٢) عَنِ ابنِ مَسعُودٍ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ» - قَالَـهَا ثَلَاثاً.

التحليل: يا أهل الكتاب: الخطاب لليهود والنصارى وهو عام لجميع الأمة. **لا:** ناهية. **لا تغلوا:** الغلو مجاوزة الحد في مدح الشيء أو ذمه. **وشرعاً:** مجاوزة ما أمر الله به أو نهى عنه. **الحق:** ضد الباطل. **لا تذرن:** لا تتركوا آلهتكم التي تعبدونها من دون الله. **انصبوا:** بكسر الصاد. **أنصاباً:** جمع نصب وهي ما أقيم من الشيء وهنا ما أقيم وعبد من دون الله. **ولم تعبد:** في زمن الذي صوروا تلك الصور، **نسي العلم:** درست آثاره بذهاب العلماء. **عبدت:** هذه الأصنام من دون الله. **عكفوا:** العكوف، ملازمة الشيء والمواظبة عليه. **صوروا:** التصاوير ما نحت على صورة تمثال. **التماثيل:** جمع تمثال وهو الصورة. **طال عليهم الأمد:** امتد عليهم الزمن وهم لم يعبدوه. **لا تطروني:** الإطراء، مجاوزة الحد في المدح والكذب في ذلك. **إنما:** أداة حصر. **أنا عبد:** عبدٌ لله. **إياكم:** أحذركم، وهو منصوب على التحذير. **المتنطعون:** جمع متنطع وهو المتعمق في الشيء المتكلف البحث فيه من دون حاجة. **قالها ثلاثاً:** ثلاث مرات يقول هلك المتنطعون. والمراد من هذه الترجمة بيان ما يؤول إليه الغلو في الصالحين من الشرك بالله المنافي للتوحيد.

---

(١) أخرجه النسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩) وأحمد (١/ ٣٤٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وهو صحيح.

(٢) برقم (٢٦٧٠).

ومناسبة الآية للترجمة أنها وإن كانت في أهل الكتاب فهي لتحذير هذه الأمة أن لا يفعلوا مثل ما فعلوا، وأول شرك حدث في قوم نوح سببه الغلو في الصالحين.

ومناسبة الحديث التحذير من الغلو لأنه هو في طريق الهلاك.

الإجمالي: لما كان الغلو في الدين وسيلة إلى الشرك بالله الذي حرمه الله أمر سبحانه أهل الكتاب اليهود والنصارى أن لا يغلوا في دينهم لأن اليهود غلو في عزير حتى جعلوه ابن الله، وغلت النصارى في عيسى حتى جعلوه إلهاً وابناً وغير ذلك من الإفراط، فلذا نهاهم رب العزة والجلال، كما أن الغلو حرام على هذه الأمة لدخولهم في عموم هذا النهي، والنهي من الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، حيث نهى عن إطرائه كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، وقال: إنما أنا عبد فقولوا عبدُ الله ورسوله، وحذّر من الغلو الذي أهلك منه من هلك من الأمم السابقة الذي مبدأه الاستحسان، ومنتهاه عبادة الأوثان، فما على المسلم إلا أن يكون سائراً مع الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه من نقص ولا زيادة، ليكون من المهتدين من الذين عملهم كان مبروراً وسعيهم مشكوراً.

الفوائد:

١ - أن أول شرك حدث في الأرض في قوم نوح، وأن سبب ذلك الغلو في الصالحين، وأول شيء غيَّـرَ دين الأنبياء، الغلو في الصالحين، ثم أدى بهم إلى الشرك بالله تعالى.

٢- ضرورة الأمة إلى هدي نبيها محمد ﷺ قولاً وعملاً واعتقاداً.

٣- أن سبب البدع مزج الحق بالباطل للتوصل إلى الباطل، وهذه طريقة شياطين الجن والإنس.

٤- أن الوسائل لها حكم الغايات، ومن الوسائل الغلو في الصالحين وغيرهم، وإن كان القصد منها غير ذلك.

٥- الرد على من يقدم العقل على ما جاء به محمد ﷺ.

٦- فضل العلم ومصالحه وبيان المضار التي تترتب حيث فقده، وإن فقد العلم بموت العلماء.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

يا أهل الكتاب - لا - تغلو - الحق - لا تذرن - آلهتكم - انصبوا - ولم تعبد - نسي العلم - عبدت - صوروا - التماثيل - طال عليهم الأمد - لا تطروني - إنما أنا عبد - إياكم - وما إعراب إياكم - المتنطعون - قالها ثلاثاً.

وما المراد بهذه الترجمة، ومتى حدث أول الشرك، وتحدث بأسلوبك الخاص ما فهمته من هذا الباب من الغلو ونتائجه السيئة.

قالَ الإمامُ رَحمَه اللهُ:

١٩- بـابٌ
ما جاءَ من التغليظ فيمن عبدَ اللّه عندَ قبرِ رجلٍ صالح، فكيف إذا عبده؟!

فِي الصَّحِيحِ[1] عَن عَائِشَةَ: أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَت لِرَسُولِ الله ﷺ كَنِيسَةً رَأتهَا بأرْضِ الْحَبَشَةِ، وَمَا فِيهَا مِن الصُّوَرِ، فَقَالَ: «أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ -أَو العَبدُ الصَّالِحُ- بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ الله».

فَهَؤُلَاءِ جَمَعُوا بَينَ الفِتنَتَينِ: فِتنَةِ القُبُورِ، وَفِتنَةِ التَّمَاثِيلِ.

وَلَهُمَا[2] عَنهَا، قَالَت: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ الله ﷺ طَفِقَ يَطرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «لَعْنَةُ الله عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»، يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا، وَلَولَا ذَلِكَ أُبرِزَ قَبرُهُ، غَيرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَن يُتَّخَذَ مَسجِداً. أَخرَجَاهُ.

وَلِمُسلِمٍ[3] عَن جُنْدُبِ بنِ عَبدِالله قَالَ: سَمِعتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وهُوَ يَقُولُ: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى الله أَنْ يَكُونَ لِي مِنكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ الله قَدِ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٤) ومسلم (٥٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٥) و(١٣٩٠)، ومسلم (٥٣١).

(٣) أخرجه مسلم (٥٣٢).

اتَّخَذَنِي خَلِيلاً كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلاً، لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ؛ فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ».

فَقَد نَهَى عَنهُ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ. ثُمَّ إِنَّهُ لَعَنَ -وَهُوَ فِي السِّيَاقِ- مَنْ فَعَلَهُ. وَالصَّلَاةُ عِندَهَا مِن ذَلِكَ، وَإِن لَم يُبنَ مَسجِدٌ، وَهُوَ مَعنَى قَولِهِ: «خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا»؛ فَإِنَّ الصَّحَابَةَ لَم يَكُونُوا لِيَبنُوا حَولَ قَبرِهِ مَسجِداً، وَكُلُّ مَوضِعٍ قُصِدَت الصَّلَاةُ فِيهِ؛ فَقَد اتُّخِذَ مَسجِداً، بَل كُلُّ مَوضِعٍ يُصَلَى فِيهِ؛ يُسَمَّى مَسجِداً، كَمَا قَالَ ﷺ: «جُعِلَت لِيَ الأَرضُ مَسجِداً وَطَهُوراً»[1].

وَلأَحمَدَ[2] بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَن ابنِ مَسعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَرفُوعاً: «إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ». وَرَوَاهُ أَبُو حَاتِمٍ فِي «صَحِيحِهِ»[3].

التحليل: كنيسة: معبد النصارى. **أولئك:** بكسر الكاف، خطاب للمرأة وهي أم سلمة. **الصالحون:** ضد الصالح الفاسد. **أو العبد:** شك من الراوي، هل قال: الرجل أو العبد وكل بمعنى واحد. **الحبشة:** جنس من السودان. **أولئك:** خطاب عام. **شرار الخلق عند الله:** شر ما خلق الله. **فهؤلاء:** الإشارة إلى من صور الصور. **لما نزل برسول الله:** بضم النون وكسر الزاي، قربت علامات قبض

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥) ومسلم (٥٢١).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٤٠٥).

(٣) يعني ابن حبان برقم (٦٨٤٧).

روحه. **طفق**: بفتح الفاء وكسرها، وهو أفصح. **خميصة**: كساء له أعلام. **اغتم**: انحبس نفسه من الغطاء، وهي الكساء. **كشفها**: كشف الخميصة عن وجهه، وهو في هذه الحالة يقول: **لعن الله**: اللعن الطرد والإبعاد من رحمة الله. **يحذر ما صنعوا**: هذا من كلام عائشة تفسير لما فهمته من قوله. **ولولا ذلك**: لولا تحذير الرسول ﷺ من هذا العمل. **لأبرز قبره**: جعل مكشوفاً في البقيع أو غيره. **خشي**: خيف أو خاف، محتمل لفتح الخاء وضمها، فعلى الفتح يكون الرسول هو الذي خشي وعلى الضم أن الصحابة هم الذين خشوا. **أبرأ إلى الله**: أبرأ من هذا أو أنكره. **خليلاً**: الخليل هو المحبوب غاية المحبة وخالصها، وسميت خلة لتخللها القلب. **أمتي**: أمة الإجابة. **ألا**: حرف استفتاح.

تنبيه الفتنتين: أحدهما: بناء المساجد على القبور التي تسبب عبادتها. **والثانية**: فتنة التصاوير لمضاهاة الله من الخلق.

ومناسبة الأحاديث للترجمة: التحذير من الصور وبناء المساجد على القبور لأنهما وسيلة إلى عبادة غير الله، وهذا شرك بالله.

الشرح للعلامة ابن القيم: وهو الآتي: وبالجملة فمن له معرفة بالشرك وأسبابه وذرائعه وفهم عن رسول الله ﷺ مقاصده جزم جزماً لا يحتمل النقيض، أن هذه المبالغة واللعن والنهي بصيغتيه لا تفعلوا، وصيغة زيادة إني أنهاكم عن ذلك. ليس لأجل النجاسة، بل هو لأجل نجاسة الشرك اللاحقة لمن عصاه وارتكب ما عنه نهاه واتبع هواه ولم يخش ربه ومولاه، وقل نصيبه أو عدم من لا إله إلا الله، فإن هذا وأمثاله من النبي ﷺ صيانة لحمى التوحيد أن يلحقه الشرك

ويغشاه، وتهديد له وغضب لربه أن يعدل عما سواه، فأبى المشركون إلا معصية أمره وارتكاب نهيه، وغرهم الشيطان بأن هذا تعظيم لقبور المشايخ والصالحين، وكلما كنتم لها أشد تعظيماً وأشد فيهم غلواً كنتم بقربهم أسعد، ومن أعدائهم أبعد، ولعمر الله تعالى من هذا الباب بعينه دخل الشيطان على عُبَّادِ يغوثَ ويعوقَ ونسرٍ. وهو مدخل عباد الأصنام منذ كانوا إلى يوم القيامة فجمع المشركون بين الغلو في الصالحين والطعن في طريقتهم، فهدى أهل التوحيد لسلوك طريقه وإنزالهم منازلهم التي أنزلهم الله إياها من العبودية وسلب خصائص الألوهية عنهم، فما على المسلم إلا أن يبتعد عن الشرك ووسائله التي تؤدي إليه لتكون أعماله صحيحة مقبولة عند الله، وليسعد بها يوم القيامة بدخول الجنة والنجاة من النار.

الفوائد:

١- أنه لا يجوز بناء المساجد على القبور ولو صحت نية الباني وأنه لا تجوز الصلاة عند القبور ولا إليها ولا فوقها.

٢- النهي عن التماثيل والوعيد على من فعل ذلك، والمبالغة من الرسول ﷺ في النهي عن بناء المساجد على القبور وهو في سياق الموت، مما يدل على خطره.

٣- أن البناء على القبور من سنن اليهود والنصارى.

٤- أنه لم يبرز قبره ﷺ خشية أن يتخذ مسجدا.

٥- سد الذرائع المؤدية إلى الشرك بالله.

٦- تبرأ الرسول ﷺ من أن يكون له من الخلق خليلٌ.

قال القرطبي: إن الحكمة في ذلك أن قلب الرسول ﷺ قد امتلأ بمحبة الله وتعظيمه ومعرفته فلا يسع خلَّة غيره.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

كنيسة - أولئكِ - الصالح - أو العبد - الحبشة - أولئكَ - شرار الخلق عند الله - فهؤلاء - لما نزل برسول الله - طفق - خميصة - اغتم - كشف - لعن الله - يحذر ما صنعوا - ولولا ذلك - لأبرز قبره - خشي - أبرأ إلى الله - خليلاً - أمتي - ألا - وما هي الفتنتين - ولماذا حذّر من الصلاة عند القبور وبناء المساجد عليها - خشي - محتمل فتح الخاء وضمها، فما معنى الكلمة على الفتح والضمة. وما هي الحكمة التي ذكر القرطبي في الخلة، وما مناسبة الأحاديث للترجمة.



قالَ الإمامُ رَحِمَه اللهُ:

٢٠- بـاب

ما جاء أن الغلوَّ في قبورِ الصالحين يُصيِّرُها أوثاناً تُعبد من دون اللّه

قلت: (الاعتقاد أن الصالح هو الذي يكون له مكانة عند الله وكذلك الأماكن المقدسة وهذا كله شرك).

رَوَى مَالِكٌ فِي «الْمُوطَّأ»[١]: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «اللَّـهُـمَّ لَا تَـجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعبَدُ، اشتَدَّ غَضَبُ الله عَلَـى قَوْمٍ اتَّـخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِـمْ مَسَاجِدَ».

وَلابنِ جَرِيرٍ[٢] بِسَنَدِهِ، عَن سُفيَانَ، عَن مَنصُورٍ، عَن مُـجَاهِدٍ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩﴾ [سورة النجم: ١٩]؛ قَالَ: «كَانَ يَلُتُّ لَـهُـم السَّوِيقَ، فَمَاتَ فَعَكَفُوا عَلَـى قَبرِهِ».

وَكَذَا قَالَ أَبُو الجَوزَاءِ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ «كَانَ يَلُتُّ السَّوِيقَ للحَاجِّ»[٣].

وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْـهما قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ الله ﷺ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ، وَالْـمُتَّـخِذِينَ عَلَيْـهَا الْـمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ». رَوَاهُ أَهلُ السُّنَنِ[٤].

---

(١) أخرجه مالك (١/ ١٧٢) عن عطاء بن يسار مرسلاً، وأخرجه الحميدي (١٠٢٥)، وأبو يعلى (٦٦٨١) من حديث أبي هريرة بسند جيِّد. وانظر أبا داود (٢٠٤٢).

(٢) في «تفسيره» (٢٧/ ٥٨).

(٣) أخرجه أيضاً ابن جرير (٢٧/ ٥٩).

(٤) أخرجه أبو داود (٣٢٣٦)، والترمذي (٣٢٠)، وابن ماجه (١٥٧٥)، والنسائي (٤/ ٩٤)، وفي سنده باذان مولى أم هانئ وهو ضعيف.

التحليل: وثناً يُعبد: يعبد من دون الله أو مع الله. **اشتد**: قوي. **غضب الله على قوم**: سخط الله على جماعة من الناس. **اتخذوا**: جعلوا. **أفرأيتم**: أخبروني والهمزة للاستفهام الإنكاري. **اللات**: تخفيف التاء، صخرة بيضاء منقوشة وعليها قبة وأستار وسدنة، وبتشديد التاء، رجلٌ صالحٌ يلت السويق للحاج، فلما مات عكفوا على قبره. وقيل: عبدت الصخرة إعظاماً لمن يلت السويق عليها، وهذا جمع بين القولين. **والسويق**: دقيق الحنطة والشعير الذي قد حمّص حبه، **ولتّه**: بله بالماء أو السمن. **لعن**: اللعن الطرد والإبعاد من رحمة الله. **السرج**: جمع سراج وهو ما يستضاء به. ومناسبة الحديثين للترجمة لأن البناء على القبور واتخاذ السرج عليها ذريعة إلى الشرك لاتخاذه أوثاناً تعبد من دون الله.

ومناسبة الحديث للترجمة: أن اتخاذ المساجد والسرج على القبور وسيلة إلى الشرك لاتخاذها أوثاناً تعبد من دون الله، وأول من اتخذ المساجد على القبور والسرج، اليهود والنصارى، فلا نقتدي بالأعداء ونشرك بالله.

الشرح الإجمالي: لما كان الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله، وتنزل بها الحاجات وتطلب منها إزالة الكربات، لذا فإن رسول الهدى دعا الله سبحانه أن لا يجعل قبره وثناً يُعبد من دون الله، وأخبر أن الله سبحانه اشتد غضبه على الذين يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، لأن ذلك لا ينفعهم بل يضرهم لأنه وسيلة إلى العبادة لغيره، تحذيراً لأمته عن ذلك، وكما جرى ذلك من أنه إذا مات الرجل الصالح من الأمم السابقة عكفوا على قبره لصلاحه حتى

يعبد من دون الله، وقد لعن رسول الله ﷺ المتخذين المساجد والسرج على القبور تقرباً إليها وتبركاً بها لجلب نفع أو دفع ضر، وبهذا أو غيره يصل إلى الشرك بالله، ويوجب أن يعتمد على الله وحده لا شريك له.

الفوائد:

١- سؤال الرسول ﷺ أن لا يجعل قبره وثناً يعبد من دون الله خوفاً منه من وقوع ذلك.

٢- شدة غضب الله على من اتخذ على القبور مساجد وتحريم البناء على القبور والصلاة عندها.

٣- أن اللات والعزى ومناة كلها أوثان تُعبد من دون الله وأنه ما عبد اللات إلا بسبب الغلو بهذا الرجل الصالح.

٤- أن من تتبع الآثار وأمعن النظر وجد أن مبدأ أكثر الشرك من الغلو في الصالحين.

٥- لعن من اتخذ على القبور المساجد والسرج لأجل البركة والمنفعة.

٦- أن أول من اتخذ على القبور المساجد والسرج اليهود والنصارى فلا نقتدي بأعداء الله تعالى.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

وثن يعبد - اشتد - قوم - اتخذوا - أفرأيتم - اللات - السويق - لعن - سرج.

وما مناسبة الحديث للترجمة، ومن أول من اتخذ المساجد على القبور والسرج، ولماذا لعن من فعل ذلك، وما معنى أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله.

واشرح بأسلوبك الخاص ما فهمت من التحذير من الشرك ووسائله، وما أسباب ذلك.



قَالَ الإِمامُ رَحِمَه اللهُ:

٢١- باب
ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جنابَ التوحيدِ وسدِّه كلَّ طريقٍ يُوصِلُ إلى الشرك

وَقولُ الله تعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [سورة التوبة: ١٢٨-١٢٩].

عَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا تَـجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَـجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُـمْ». رَوَاهُ أَبو دَاوُدَ(١) بِإِسنَادٍ حَسَنٍ، رُوَاتُـهُ ثِقَاتٌ.

وَعَن عَلِيِّ بنِ الحُسَينِ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ: أَنَّـهُ رَأَى رَجُلاً يَـجِيءُ إِلَـى فُرجَةٍ كَانَت عِندَ قَبرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَيَدخُلَ فِيهَا فَيَدعُو، فَنَـهَاهُ، وَقَالَ: أَلَا أُحَدِّثُكَ حَدِيثاً سَمِعتُـهُ مِن أَبِي عَن جَدِّي عَن رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «لَا تَتَّـخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلَا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ تَسلِيمَكُم لَيَبْلُغُنِي أَينَ كُنتُـم». رَوَاهُ فِي «المُـختَارَةِ»(٢).

---

(١) برقم (٢٠٤٢).

(٢) برقم (٤٢٨) وأخرجه ابن أبي شيبة (٧٥٤٢) وعبدالرزاق (٦٧٢٦)، وهو صحيح كما بينه الإمام الألباني في «تحذير الساجد» (ص٩٥-٩٦).

التحليل: اللام واقعة في جواب قسم مقدر (والله لقد) قد حرف تحقيق. **من أنفسكم**: منكم، تعرفون نسبه وأمانته وصدقه. **عزيز**: صيغة مبالغة. **عليه ما عنتم**: يشتد عليه الذي يعنت أمته ويشق عليهم. **حريص عليكم**: على هدايتكم. **رؤوف**: الرأفة، شدة الرحمة. **رحيم**: عطوف على أمته. **إلى فرجة**: الفرجة النافذة في الحائط. **لا تجعلوا بيوتكم قبوراً**: لا تصلون فيها ولا تذكرون الله فيها. **عيداً**: العيد اسم لما يعود ويتكرر من الاجتماع العام على وجه معتاد. **تبلغني**: تصل إلي. **حيث كنتم**: من أي مكان كنتم من أقطار الأرض. **المختارة**: كتاب جمع فيه مؤلفه الأحاديث الجياد الزائدة على الصحيحين. ومؤلفه: عبدالله بن عبدالواحد المقدسي.

الإجمالي: إن الله سبحانه وتعالى قد أرسل إلى هذه الأمة نبياً من خير الخلق نبياً من العرب يعلمون صدقه وأمانته ومداخله ومخارجه قبل رسالته ليتبعوه أولاً قبل غيرهم لإيمانهم بما له من الصفات الحميدة التي علموها منه، ويتبعهم غيرهم في ذلك، وأنه يعز عليه ما يشق عليهم لعلمه بأحوال أمته فقد جاءهم من الله بالشريعة السمحة السهلة التي لا حرج فيها، ومع ذلك فهو حريص على المؤمنين رؤوف بهم، لذا فإنه يهدي إلى الصراط المستقيم، ويحذر من الطرق الملتوية التي تؤدي إلى الشرك ووسائله حيث أمر بجعل البيوت معمورة بالصلاة، وذكر الله، ولا تكون كالقبور مهجورة من ذلك وحذّر من أن يجعل قبره عيداً يرتاد للدعاء وغيره، وأخبر أن الصلاة عليه والتسليم يبلغه من القريب والبعيد على السواء، فلا حاجة إلى شد الرحال لزيارته، والتسليم عليه والصلاة،

لا لزيارة مسجده الشريف، فهي مشروعة، فكن أيها المسلم في راحة من هذا الشأن، فاتبع هدي محمد ﷺ أينما كنت في وسط المعمورة أو أرجائها، وصل عليه أينما كنت، اللهم وفق المسلمين إلى الصراط المستقيم.

الفوائد:

١- أن الرسول ﷺ جاء بالشريعة السمحة السهلة التي ليس فيها تعنت ولا مشقة ولا يشرك بالله تعالى، مع حرصه ورحمته فأمته يهديهم إلى ما ينفعهم ويحذرهم مما يضرهم.

٢- النهي عن اتخاذ قبر النبي ﷺ عيداً يزار على وجه معتاد والنهي عن شد الرحال إليه، وأن الصلاة والتسليم يبلغه أينما كان المصلي والمسلم عليه.

٣- النهي عن قصد القبور والمشاهد لأجل الدعاء والصلاة عندها حتى قبر النبي ﷺ.

٤- أن تحكيم الرأي دون السنة والتقليد الأعمى هو الذي أورد المشركين المهالك.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

لقد - من أنفسكم - عزيز - عليه ما عنتم - رؤوف - رحيم - ومناسبة الآية للترجمة: أن الرسول حريص على ابتعادنا من الشرك ووسائله والمحرمات جميعها.

ومناسبة الحديثين أن فيهما سد ذرائع الشرك وأسبابه وحمايته من ذلك.

قالَ الإمامُ رَحِمَه اللهُ:

٢٢- بابٌ
ما جاء أن بعضَ هذه الأمة يعبدُ الأوثانَ

وَقولُهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [سورة النساء: ٥١].

وَقولُهُ تَعالَى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ﴾ [سورة المائدة: ٦٠].

وَقولُهُ تَعالَى: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾ [سورة الكهف: ٢١].

عَن أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَتَتبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذوَ القُذَّةِ بِالقُذَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله! الْيَهُودَ وَالنَّصارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ؟». أَخرَجَاهُ[1].

وَلِمُسلِمٍ[2]، عَن ثَوبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ الله زَوَى لِيَ الأَرْضَ، فَرَأَيتُ مَشارِقَهَا وَمَغارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ: الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي أَنْ لَا

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٦) ومسلم (٢٦٦٩).

(٢) برقم (٢٨٨٩).

يُـهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بعَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْـهِـمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِـمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَـهُـمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُـحَـمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّـهُ لَا يُـرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُـمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْـهِـمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِـمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَـهُـمْ، وَلَوِ اجْتَـمَعَ عَلَيْـهِـمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُـمْ يُـهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُـمْ بَعْضًا».

وَرَوَاهُ البَرْقَانِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» وَزَادَ: «وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَـى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ الْـمُضِلِّينَ، وَإِذَا وَقَعَ عَلَيهِـمُ السَّيْفُ؛ لَـمْ يُـرْفَعْ إِلَـى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْـحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْـمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ، وَإِنَّـهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ، كُلُّـهُـمْ يَزْعُمُ أَنَّـهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَـمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَـى الْـحَقِّ مَنْصُورَةً، لَا يَضُرُّهُـمْ مَنْ خَذَلَـهُـمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَـى»[1].

التحليل: نصيباً: حظاً. **من الكتاب**: التوراة. **يؤمنون**: يصدقون. **بالجبت**: بالسحر. **والطاغوت**: الشيطان. **والطاغوت**: كل من تجاوز حده في العصيان، ويسمى به الشيطان والساحر وكل رأس ضلال. **إذا قضيت قضاء**: قدرت حكماً مبرماً. **ألا يرد**: لا يرده أحد. **أمتي**: أمة الإجابة. **الأئمة**: المقتدى بهم في خير أو شر. **المضلين**: من العلماء والعباد والزعماء. **والضلال**: البعد عن الحق. **حي**: واحد الأحياء، وهي القبائل. **فئام**: جماعات كثيرة. **الأوثان**: كل ما عبد من دون

---

(١) أخرج هذه الزيادة أحمد (٥/ ٢٧٨)، وأبو داود (٤٢٥٢) وابن ماجه (٣٩٥٢)، والترمذي مقطعاً (٢٢٠٢ و٢٢١٩ و٢٢٢٩).

الله. **خاتم**: ما يختم به آخر الشيء. **ولا تزال**: مدة الزمن. **طائفة**: جماعة متعددة من المؤمنين في أقطار الأرض أو في مكان واحد. **على الحق**: سائرون على السنة، والحق ضد الباطل. **لا يضرهم**: الضر ضد النفع. **خذلهم**: ترك نصرتهم ومساعدتهم. **حتى يأتي أمر الله**: قبض من بقي من المؤمنين في آخر الزمان. **تبارك**: تعاظم وفي الخير عم عباده. **وتعالى**: فوق سماواته.

ومناسبة الآيتين للترجمة: أنه إذا كان في أهل الكتاب من يؤمن بالجبت والطاغوت فإنه سيكون في هذه الأمة من يفعله، **وسبب نزول الآية الأولى**: أن كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب اليهوديين، قدموا على المشركين في مكة فصوبوا أمرهم وقالوا: أنتم خير من محمد سبيلاً.

ومناسبة الحديثين: أن هذه الأمة تعبد الأوثان كالأمم السابقة.

الإجمالي: إن رسول الهدى ﷺ كان حريصاً على أمته من إبعادهم عن الشرك وكل طريق يوصل إليه إلا أن بعض أمته لم تمتثل أمره لما تتجاذبهم كثرة الأهواء من الشيطان والنفس الأمارة بالسوء، والأئمة الداعين إلى الضلال، فالشيطان دائماً يزين لهم الباطل ويجعله في صورة الحق في النفوس لتؤمن به وأئمة الضلال يؤزونه ويؤيدون ما يدعو إليه من الباطل، وهذا شيء أعلن عنه سيد الأمة بأنه سيكون في هذه الأمة ما جرى في الأمم السابقة من الشرك بالله، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلوه معهم، والمعنى أنهم كل ما فعلوه من الباطل ستفعله هذه الأمة فوقع هذا الشر المستطير وبسبب الأئمة المضلين وقع التفرق والاختلاف بين هذه الأمة قديماً وحديثاً، مما جعل القتل بينهم جار على قدم

وساق إلى يوم القيامة، وأن الفئام من الناس ستعبد الأوثان، كل ذلك تحذير لنا من الشرك والدعاة إليه، إلا أنه بشرنا ببشرى عظيمة وهو أنه لا يزال في هذه الحياة طائفة من المؤمنين على الحق منصور حتى يأتي أمر الله، وهم على ذلك فاسألوا الله أن ينصر دينه بهذه الطائفة في جميع الأيام والسنين، إنه سميع مجيب.

الفوائد:

١- أن هذه الأمة تتبع سنن من كان قبلهم من اليهود والنصارى وغيرهم ممن أشركوا بالله.

٢- أن الله سبحانه إذا قضى أمراً فلا يرده أحد من خلقه.

٣- أن الرسول ﷺ ما خاف على أمته إلا من الأئمة المضلين وقد حصل ذلك من أئمة الضلال ويحصل.

٤- أن النبي ﷺ خاتم النبيين وأنه سيكون بعده ثلاثون كذابون يدَّعون النبوة، وقد استبان أكثرهم منهم مسيلمة الكذاب وآخرهم الدجال.

٥- أن الفئام من الناس من هذه الأمة تعبد الأوثان وما أكثرهم -لا كثرهم الله-.

٦- أنه لا يزال طائفة من هذه الأمة على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى، وهذه بشرى خير للأمة وهم من كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، فلنحرص على أن نكون منهم.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

نصيباً - من الكتاب - يؤمنون - بالجبت - الطاغوت - قضيت قضاء - لا يرد - أمتي - الأئمة - المضلين - حي - فئام - الأوثان - خاتم - ولا تزال - طائفة - على الحق - خذلهم - حتى يأتي أمر الله - تبارك وتعالى - وما مناسبة الآيتين للترجمة وما وجه الدلالة منهما - وما سبب نزول الآية الأولى؟

واشرح بأسلوبك الخاص ما أخبر به سيد الأمة مما وقع كما أخبر في هذا الباب وما سيقع.

قَالَ الإِمَامُ رَحِمَهُ اللهُ:

٢٣- بـابٌ
ما جاء في السِّحر

وَقَولُ الله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ [سورة البقرة: ١٠٢].

وَقَولُـهُ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾ [سورة النساء: ٥١].

قَالَ عُمَرُ: الْـجِبْتُ: السِّحْرُ، وَالطَّاغُوتُ: الشَّيْطَانُ[1].

وَقَالَ جَابِرٌ: الطَّوَاغِيتُ: كُهَّانٌ كَانَ يَنزِلُ عَلَيهِـمُ الشَّيطَانُ، فِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٌ[2].

وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْـمُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِالله، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلَّا بِالْـحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْـمُـحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْـمُؤْمِنَاتِ»[3].

---

(١) علقه البخاري قبل الحديث (٤٥٨٣)، ووصله سعيد بن منصور (٢٥٣٤)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ١٣١).

(٢) علقه البخاري أيضاً قبل الحديث (٤٥٨٣)، ووصله الطبري (٣/ ١٩).

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٦٧) ومسلم (٨٩).

وَعَن جُندُبٍ مَرفُوعاً: «حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ». رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ[(١)]، وَقَالَ: الصَّحِيحُ أَنَّـهُ مَوقُوفٌ.

وَفِي «صَحِيحُ البُخَارِيّ»[(٢)] عَن بَجَالَةَ بن عَبَدَةَ؛ قَالَ: كَتَبَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ: أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ. قَالَ: فَقَتَلْنَا ثَلَاثَ سَوَاحِرَ.

وَصَحَّ عَن حَفصَةَ رَضِيَ اللهُ عَنـها أَنَّـهَا أَمَرت بِقَتلِ جَارِيَةٍ لَـهَا سَحَرَتها، فَقُتِلَت[(٣)].

وَكَذلِكَ صَحَّ عَن جُندُبٍ[(٤)].

قَالَ أَحمَدُ: عَن ثَلَاثَةٍ مِن أَصحَابِ النَّبِيِّ ﷺ.

التحليل: السحر: لغة ما خفي ولطف سببه. واصطلاحاً: عزائم وعقد ورقى تؤثر في القلوب والأبدان، فيمرض ويقتل ويفرق بين الزوجين بإذن الله.

---

(١) أخرجه الترمذي (١٤٦٠)، والحاكم (٤/ ٣٦٠)، والدارقطني (٣/ ١١٤)، والطبراني (١٦٦٥)، والبيهقي (٨/ ١٣٦)، وفي سنده إسماعيل بن مسلم المكي وهو ضعيف وفيه تدليس الحسن البصري.

وأخرجه الطبراني (١٦٦٦) من طريق خالد العبد عن الحسن به. وخالد هذا قال الذهبي في «المغني» تركوه.

(٢) هذا اللفظ لم يورده البخاري في «صحيحه»، ولكن أورد أصله برقم (٣١٥٦).

وأخرجه أبو داود (٣٠٤٣)، وأحمد (١/ ١٩٠-١٩١) وغيرهما.

(٣) أخرجه الشافعي في «مسنده» (ص٣٨٣) وعبدالرزاق (١٨٧٤٧)، والبيهقي (٨/ ١٣٦).

(٤) رواه البخاري في «تاريخه الكبير» (٢/ ٢٢٢)، والبيهقي (٨/ ١٣٦).

ولقد: اللام واقعة في جواب القسم المقدر (والله) **علموا**: أهل الكتاب. **لمن اشتراه**: تعاطى السحر وعمل به. **ما له**: لمشتريه. **من خلاق**: من نصيب. **يؤمنون**: يصدقون. **بالجبت**: السحر. **الطاغوت**: الشيطان، ويطلق على كل ذي شر وداعية شر من الإنس. **اجتنبوا**: ابتعدوا عنه. **السبع**: عبر باجتنبوا لأنه أبلغ من ابتعدوا أو اتركوا. **الموبقات**: المهلكات. **الإشراك بالله**: أن يجعل معه شريك من الخلق يدعى ويرجى ويخاف ويعبد. **النفس التي حرم الله**: حرّم قتلها بغير حق يوجب قتلها كزان محصن ومحارب وغير ذلك. **اليتيم**: الذي مات أبوه وهو صبي لم يبلغ. **التولي**: الإدبار عن الأعداء. **يوم الزحف**: وقت التحام القتال. **وقذف**: رمي. **المحصنات**: بفتح الصاد، المحفوظات من الزنى، وبكسرها الحافظات فروجهن من الزنى. **الغافلات**: عن الفواحش وما رميت به لعدم ارتكابهن ذلك، والمراد بالمحصنات العفيفات لا يختص بالمتزوجات. **حد الساحر**: حد إقامة الحكم عليه. وسمي حداً لمنعه المحدود عن المعاودة إلى ما حد من أجله، والمراد من وضع هذا الباب أن السحر لا يكون إلا بأعمال شيطانية وهي لا تحصل إلا بموالاة الشيطان، وهذا شرك منافٍ للتوحيد.

الإجمالي: لما كان السحر من أضر ما يكون على بني الإنسان في هذه الحياة قديماً وحديثاً نحو العقيدة والأضرار المالية والبدنية ولم يسلم منه سيد الأمة محمد ﷺ فقد ناله منه ضرر لولا أن الله تداركه برحمته، ومن أجل الهدف العظيم الذي أرسله به، وهو إبلاغ الرسالة إلى عباده، وأن القرآن العظيم قد نحى باللائمة على السحرة وأنه لا حظَّ لهم في الآخرة لما في السحر من موالاة الشياطين الذين هم



أعدى أعداء الإنسان ومعاداة أولياء الرحمن، فلا عقل لمن يوالي أعدى عدو له مع ابتعاده عن أولياء الله، أو بالاعتقاد بتأثير الكواكب وغيرها بنفسها من دون تصريف مدبرها رب العزة والجلال مع تحذيره ﷺ من السبع الموبقات المهلكات التي أهمها وأعظمها الشرك بالله. والسحر الذي حرمه الله والذي أهدر دم من استعمله وآمن به من دون الله. فعليك أيها المسلم أن تبتعد عن السحر والسحرة والكهنة ونحوهم، ولا تؤمن بما يقولون وما يفعلون، وأن تعالج نفسك وغيرك بما شرعه الله تعالى أو ما أباحه.

الفوائد:

١ – الوعيد على الساحر لإيمانه بالجبت والطاغوت ولشركه بالله.

٢– أن للسحر حقيقة لأن الله أمر بالاستعاذة منه، وأنه موجود في جميع الأديان، وأنه لا يفلح الساحر حيث أتى لإشراكه بالله.

٣– تحريم السبع الموبقات ومنها: الشرك بالله والسحر الذي حرمه الله.

٤ – أن الساحر مع شركه بالله وجنايته يغتر به الجهال، فيظنون أنه من أولياء الرحمن وهو من أولياء الشيطان.

تنبيه: إن ذكر السبع لا يدل على الحصر لورود الزيادة على السبع في بعض الأحاديث، وبدأ بالشرك لأنه أعظم الذنوب.

وقول جابر: الطواغيت كهان، مراده أن الكهان من الطواغيت لأن الطاغوت أعم من الكاهن.



الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

السحر - ما هو لغة واصطلاحاً - لقد - علموا - لمن اشتراه - ماله - من خلاق - يؤمنون - بالجبت - الطاغوت - اجتنبوا - الموبقات - الإشراك بالله - النفس التي حرم الله - بغير حق - اليتيم - التولي - يوم الزحف - قذف المحصنات - الغافلات - حد الساحر.

وما المراد من وضع هذه الترجمة - وما هو الشاهد من الحديث للترجمة، وما المراد بالمحصنات - ولم سمي الحد حداً.

واشرح بأسلوبك ما فهمته من هذا الباب من السحر وإضراره نحو العقيدة.

قَالَ الإِمَامُ رَحِمَهُ اللهُ:

٢٤- بـاب
بيانُ شيءٍ من أنواع السِّحر

قَالَ أَحْمَدُ[1]: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ جعفرٍ، حَدَّثَنَا عوفٌ، عَن حَيَّانَ بنِ العَلَاءِ، حَدَّثَنَا قَطَنُ بنُ قَبِيصَةَ، عَن أَبِيهِ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعِيَافَةَ وَالطَّرْقَ وَالطِّيَرَةَ مِنَ الْجِبْتِ».

قَالَ عَوفٌ: العِيَافَةُ: زَجرُ الطَّيرِ. وَالطَّرْقُ: الخَطُّ يُخَطُّ بِالأَرضِ. وَالجِبْتُ: قَالَ الحَسَنُ: رَنَّةُ الشَّيطَانِ. إِسنَادُهُ جَيِّدٌ.

وَلأَبِي دَاوُدَ وَالنَّسَائِيِّ وابنِ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ»: المُسنَدِ مِنهُ[2].

وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما قَالَ: قَالَ رَسولُ الله ﷺ: «مَنِ اقْتبَسَ شُعبَةً مِنَ النُّجُومِ، فَقَد اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ[3]، وَإِسنَادُهُ صَحِيحٌ.

وَلِلنَّسَائِي[4] مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا، فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ».

---

(١) في «مسنده» (٥/ ٦٠)، وفي سنده حيان بن العلاء وقيل: أبو العلاء، وقيل: غير ذلك وهو مجهول. ووقع في «المسند»: إنه الشيطان، وليس: رنة الشيطان.

(٢) أبو داود (٣٩٠٧)، والنسائي في «الكبرى» (١١١٠٨)، وابن حبان (٦١٣١).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٩٠٥)، وابن ماجه (٣٧٢٦).

(٤) أخرجه النسائي (٤٠٧٩) من طريق الحسن عن أبي هريرة، وهو لم يسمع منه.



وَعَن ابنِ مَسعُودٍ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «أَلَا هَل أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْه؟ هِيَ النَّمِيمَةُ، الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ» رَوَاهُ مُسلِمٌ[١].

وَلَهُمَا[٢] عَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا».

التحليل: العيافة: زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها والجهة التي تطير إليها. الطرق: الخط يخط بالأرض ومنه الضرب بالودع والحصى. الطير: اسم مصدر وأصله التطير بالطيور السانحة والبارحة، وسيأتي زيادة بيان في بابه. الجبت: السحر، وهو في الأصل الذي لا خير فيه، ثم استعير لما يعبد من دون الله. رنة: الرنين الصوت الشديد. اقتبس: يقال اقتبست العلم إذا تعلمته وأصله مأخوذ من القبس وهو القليل من النار. شعبة: الشعبة الطائفة أو اللقطة من الشيء، وهنا المراد الطائفة من النجوم، زاد ما زاد: كلما زاد من تعلم النجوم، زاد في الإثم. عقد عقدة: من الخيوط. نفث: نفخ. فيها: في العقد من نفسه وريقه الممتزجان بالخبث والشر والأذى مع الروح الشيطانية. فقد سحر: أصاب بسحره بقدرة الله الكونية. ومن سحر فقد أشرك: لأنه لا يستطيع هذا العمل إلا بالشرك بالله وطاعته للشياطين. ألا: أداة استفتاح. هل: حرف استفهام. أنبئكم:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٠٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥١٤٦). ولم يخرجه مسلم من حديث ابن عمر بل من حديث عمار (٨٦٩).

أخبركم. **العضه**: البهت وفسرها بأنها النميمة لأنها لا تنفك عن الكذب والبهتان غالباً. **البيان**: البلاغة في القول والفصاحة باللسان.

الإجمالي: لما أورد المصنف السحر وبيان حكمه أتبعه بأشياء متنوعة من السحر تخفى حقائقها على أكثر الناس فيظن أنها حق حتى أن بعض الناس يعتقد في أهلها أنهم من أولياء الله وأن زخارف القول منهم والتمويهات في أخبارهم التي ينتج عنها من خوارق العادات، تعد لهم كرامات وهي أحوال شيطانية ويزعم بعض هؤلاء أن لهم نفوذاً في التصرف من دون الله من جلب نفع أو دفع شر، وأن الأمور لا تخفى عليهم. فلا بد من فرقان: بين أولياء الرحمن من هؤلاء وأولياء الشيطان من ساحر وكاهن ومنجم وعاقد عقد، وغير ذلك مما هو سحر صريح أو متضمن لمعناه، فهذه الأمور لا تصدر إلا من المشعوذين والدجالين الذين أغوتهم الشياطين فلا يغتر بأفعالهم ولو مشوا على الماء وطاروا في السماء، إنما الميزان الفارق الإيمان بالله واتباع سنة رسول الله ﷺ، فكل من ادعى دعوى خارقة للعادة وهو ليس بهذه الصفة فعده من الفتانين الذين أغوتهم الشياطين حتى صاروا من أعوانهم.

الفوائد:

١- أن العيافة والطرق والطيرة من السحر، وكذلك عقد العقد والنفث فيها.

٢- أن النميمة من السحر وأن كل ما يؤدي إلى معنى السحر فهو سحر.

٣- أن الفصاحة التي تهدف إلى الباطل والابتعاد عن الحق من السحر.

٤- أن من تعلق قلبه بشيء واعتمد عليه وكله الله إليه.

ومناسبة إدخال النميمة في هذا الباب لأنها تشبه السحر لاستمالتها القلوب، وأن القصد منها الضرر كما في السحر وكذلك الفصاحة لاستمالتها القلوب إلى الباطل.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

العيافة - الطرق - الطيرة - الجبت وأصله - رنة - اقتبس شعبة - زاد ما زاد - عقد عقدة - ثم نفخ فيها - فقد سحر - ومن سحر فقد أشرك - هل أنبئكم - العضه - البيان.

وما مناسبة دليل النميمة والفصاحة في هذا الباب؟

وما مناسبة هذه الباب لباب السحر؟

قَالَ الإمامُ رَحمَه اللهُ:

٢٥- بـابٌ
ما جاء في الكهان ونحوهم

رَوَى مُسلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»[١] عَن بَعضِ أَزوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَـهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ؛ لَـمْ تُقْبَلْ لَـهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ يوماً».

وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنـهُ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِما يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِما أُنْزِلَ عَلَى مُـحَـمَّدٍ ﷺ». رَوَاهُ أَبو دَاوُدَ[٢].

وَلِلأَربَعَةِ وَالحَاكِمِ[٣] -وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَـى شَرطِهِـمَا- عَن أَبِي هُرَيرَةَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافاً أَو كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِما يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِما أُنْزِلَ عَلَى مُـحَـمَّدٍ ﷺ».

وَلأَبِي يَعلَـى[٤] بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنِ ابنِ مَسعُودٍ مِثلُـهُ مَوقُوفاً.

وَعَن عِمرَانَ بنِ حُصَينٍ مَرفُوعاً: «لَيسَ مِنَّا مَن تَطَيَّـرَ أَو تُطُيِّـرَ لَـهُ، أَو تَكَهَّنَ أَو تُكُهِّنَ لَـهُ، أَو سَحَرَ أَو سُحِرَ لَـهُ. وَمَن أَتَى كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بِما يَقُولُ، فَقَد كَفَرَ بِما أُنزِلَ عَلَـى مُـحَـمَّدٍ ﷺ».

---

(١) برقم (٢٢٣٠).

(٢) برقم (٣٩٠٤)، وهو صحيح.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، والنسائي في «الكبرى» (٩٠١٧)، وابن ماجه (٦٣٩) ولفظه عندهم كحديث أبي داود السابق. وأما اللفظ الذي ذكره المصنف فهو للحاكم في «المستدرك» (١/٨).

(٤) برقم (٥٤٠٨).

رَوَاهُ البَزَّارُ[١] بِإِسنَادٍ جَيِّدٍ. وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الأَوسَطِ»[٢] بِإِسنَادٍ حَسَنٍ مِن حَدِيثِ ابنِ عَبَّاسٍ دُونَ قَولِـهِ: «وَمَن أَتَى ... إِلَـى آخِرِهِ».

قَالَ البَغَوِيُّ: العَرَّافُ: الَّذِي يَدَّعِي مَعرِفَةَ الأُمُورِ بِمُقَدِّمَاتٍ يُستَدَلُّ بِـهَا عَلَـى المَسرُوقِ وَمَكَانِ الضَّالَّةِ. وَنَحوِ ذَلِكَ.

وَقِيلَ: هُوَ الكَاهِنُ. وَالكَاهِنُ: هُوَ الَّذِي يُـخبِرُ عَنِ المُغَيَّبَاتِ فِي المُستَقبَلِ.

وَقِيلَ: الَّذِي يُـخبِر عَمَّا فِي الضَّمِيرِ.

وَقَالَ أَبُو العَبَّاسِ ابنُ تَيمِيَّةَ: العَرَّافُ: اسمٌ لِلكَاهِنِ وَالمُنَجِّـمِ وَالرَّمَّالِ وَنَحوِهِـم، مِـمَّن يَتَكَلَّـمُ فِي مَعرِفَةِ الأُمُورِ بِـهَذِهِ الطُّرُقِ.

وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ فِي قَومٍ يَكتُبُونَ أَبَا جَادٍ وَيَنظُرُونَ فِي النُّجُومِ: مَا أَرَى مَن فَعَلَ ذَلِكَ لَـهُ عِندَ اللهِ مِن خَلَاقٍ[٣].

فائدة: الكاهن هو الذي يأخذ عن مسترق السمع وكانوا قبل البعثة أكثر مما بعدها فهم قليل، لأن الله سبحانه حرس السماء بالشهب، وهذا يقع من تألف روح الإنسان الخبيث مع روح الشيطان القرين فيوحي إليه بما يشاء من الكذب

---

(١) في «مسنده» (٣٥٧٨)، وفي سنده الحسن البصري عن عمران، والحسن مدلس ولم يصرح بالسماع، وهو حسن بما بعده.

(٢) برقم (٤٢٦٢)، والبزار (٣٠٤٣) كما في «كشف الأستار» وفي سنده زمعة بن صالح ضعيف. لكن إذا انضمَّ الحديث إلى سابقه تحسَّنا.

(٣) أخرجه معمر في «جامعه» (١٩٨٠٥)، والبيهقي (٨/ ١٣٩).

فيظن الجهلة والمغفلون أن ذلك من صلاح وتقوى وكرامة وهو من أضل الضلال.

التحليل: من أتى عرافاً: من مفيدة للعموم وشرطية، والعراف فسره البغوي وابن تيمية آنفاً. **لا**: حرف نفي. **تقبل له صلاة**: نفي القبول يفيد عدم الصواب، إلا أن المراد هنا نفي ثوابها. **أربعين يوماً**: لا ثواب له فيها وإن كانت مجزأة. **من أتى**: من جاء. **كاهناً**: هو الذي يدعي علم المغيبات. **ليس منا**: ليس على هدينا وطريقتنا. **من تطير**: فعل الطيرة. **أو تطير له**: قبل قول المتطير له وتابعه. **ومثل ذلك**: من تكهن أو تكهن له. **أو سحر أو سحر له**: والمعنى الشامل أن كل من تلقى هذه الأمور ونحوها عمن تعاطاها فقد برئ منه الرسول ﷺ. **يكتبون أبا جاد**: يتعلمونها لعلم المغيبات، وهو ما يسمى عندهم علم الحرف أما تعلمها للتهجي وحساب الجُمَّل لا بأس به، بل هو مطلوب.

ومناسبة الأحاديث للترجمة: أن المصدق لهؤلاء بشيء علمه عند الله والنفع والضر ليس إلا من الله ينافي كمال التوحيد أو أصله. **ينظرون في النجوم**: لاعتقادهم أن لها تأثيراً. **ما أرى**: محتمل لفتح الهمزة بمعنى لا أعلم وبضمها بمعنى لا أظن. **من خلاق**: من نصيب في الآخرة.

الإجمالي: لما كانت الكهانة نوع من أنواع السحر من إتيان أهلها بزخرف القول المتلقي من الشياطين ثم إن هؤلاء شياطين الإنس يفتنون الناس بأخبارهم هذه ليتوصلوا بها على أنهم يعلمون الغيب في الحال والمستقبل مما حدث ويحدث

وعن حال الإنسان وما يكنه ضميره ليتوصلوا إلى مقصودهم الفاسد من تصديقهم وأخذ أموال الناس بالباطل بالدجل والبهتان ووصفهم أنهم من أولياء الله ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٤﴾ [الأنفال: ٣٤]، لذا فإن رسول الهدى عليه السلام حذّر منهم وبالغ في أمرهم بالوعيد الشديد على من صدقهم بأنه لا يقبل له صلاة أربعين يوماً وأنه كافر بالله مع تبرئه ﷺ من كل كاهن وساحر ومتطير وكذلك من اتصل بهم مريداً منهم نفعاً أو دفع ضر، فما على المسلم إلا أن يبتعد عن هؤلاء الدجالين المجرمين أولياء الشياطين الذين يدعون علم المغيبات وعلم الغيب لا يعلمه إلا الله ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥].

الفوائد:

١- من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول لن تقبل صلاته أربعين يوماً.

٢- أن الإيمان بالله لا يجتمع مع تصديق الكاهن والعراف.

٣- أن من تطير أو تطير له أو سحر أو سحر له أو تكهن أو تكهن له فقد برئ منه محمد ﷺ.

٤- تحريم تعلم الكتابة الأبجدية على طريقة ما يسمى بعلم الحرف الذي يدعى به علم الغيب.

٥- أن كل ما يؤدي علمه واستعماله إلى الأخبار عن المغيبات أو جلب المنافع ودفع المضار من دون الله فهو شرك بالله.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

من أتى عرافاً - من - لم - تقبل له صلاة - أربعين يوماً - كاهناً - ليس منا - من تطير - أو تطير له - يكتبون أبا جاد - ينظرون في النجوم - ما أرى - من خلاق.

وما حكم من يدعي علم الغيب ومن يأتي إلى كاهن أو عراف، وما حكم تعلم الكتابة: المسماة بعلم الحرف وما هو الكاهن وما هو العراف، ولماذا كان مسترقو السمع أكثر قبل البعثة؟

وما مناسبة الأحاديث للباب؟

قَالَ الإمامُ رَحِمَه اللهُ:

٢٦- بـاب
ما جاء في النُّشرة

عَن جَابِرٍ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ سُئِلَ عَنِ النُّشرَةِ؟ فَقَالَ: «هِيَ مِن عَمَلِ الشَّيطَانِ» رَوَاهُ أَحْمَدُ[(١)] بِسَنَدٍ جَيِّدٍ، وأَبُو دَاوُدَ[(٢)]، وَقَالَ: سُئِلَ أَحْمَدُ عَنهَا فَقَالَ: ابنُ مَسعُودٍ يَكرَهُ هَذَا كُلَّهُ.

وَفِي البُخَارِيِّ[(٣)] عَن قَتَادَةَ قُلْتُ لابْنِ الْمُسَيَّبِ: رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ أَوْ يُؤخَذُ عَنِ امْرَأَتِهِ، أَيُحَلُّ عَنْهُ أَوْ يُنَشَّرُ؟ قَالَ: لَا بَأْسَ بِهِ، إِنَّمَا يُرِيدُونَ بِهِ الإِصْلَاحَ، فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ؛ فَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ. انتهى.

وَرُوِيَ عَنِ الحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ: لَا يَحِلُّ السِّحرَ إِلَّا سَاحِرٌ.

قَالَ ابنُ القَيِّمِ: النُّشرَةُ: حَلُّ السِّحرِ عَنِ المَسحُورِ، وَهِيَ نَوعَانِ:

أَحَدُهُمَا: حَلٌّ بِسِحرٍ مِثلِهِ، وَهُوَ الَّذِي مِن عَمَلِ الشَّيطَانِ. وَعَلَيهِ يُحمَلُ قَولُ الحَسَنِ، فَيَتَقَرَّبُ النَّاشِرُ وَالمُنتَشِرُ إِلَى الشَّيطَانِ بِمَا يُحِبُّ، فَيُبطِلُ عَمَلَهُ عَنِ المَسحُورِ.

وَالثَّانِي: النُّشرَةُ بِالرُّقيَةِ وَالتَّعَوُّذَاتِ وَالأَدوِيَةِ وَالدَّعوَاتِ المُبَاحَةِ. فَهَذَا جَائِزٌ.

---

(١) في «مسنده» (٣/ ٢٩٤).

(٢) برقم (٣٨٦٨).

(٣) في كتاب الطب، باب هل يستخرج السحر، بعد الحديث (٥٧٦٤).

ومناسبة هذه الآثار للترجمة أن النشرة التي من عمل الشيطان منافية للتوحيد أو لكماله والمراد من وضع الترجمة أن النشرة التي من عمل الشيطان لا يخلو من الشرك بالله لموالاة الشيطان وطاعته.

التحليل: النشرة: بضم النون الرقية والتعوذات ونوع من العلاج. وسميت نشرة لنشرها عن المصاب ما خامر عقله من الداء فينكشف ويزول. به طب: به سحر، وكنى بذلك تفاؤلاً بالسلامة. **أو يؤخذ عن امرأته:** بفتح الواو وتشديد الخاء، والمعنى أيحبس عن امرأته فلا يجامعها والهاء للاستفهام. **أيحل عنه:** أينقض عنه السحر. وهذا إذا كان مما لا يمس الدين بنقص كالرقى من القرآن وكالأدوية المباحة، وقد وضح ذلك ابن القيم في آخر هذا الباب.

الشرح الإجمالي: إن الشريعة المطهرة ترمي في أحكامها وأهدافها إلى تحقيق التوحيد وجلب المصالح ودفع المضار نحو الدين أولاً، والدنيا ثانياً لهذه الأمة، فهذا رسولنا الكريم محمد ﷺ يحذر من النشرة إذا كانت من عمل الشيطان فلا يعالج بها مرض السحر لأنها لا تعالج بسحر مثله، أما ما كان ينفع المسحور من غير ذلك فيباح لهذا الأثر ولدخول إباحته في عموم فعل الأسباب مع التوكل على الله ومن يتوكل على الله فهو حسبه.

الفوائد:

١- تحريم النشرة إذا كانت من عمل الشيطان.

٢- جواز النشرة إذا كانت من الرقى والأدوية المباحة النافعة.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

النشرة - لم سميت نشرة - به طب - أو يؤخذ عن امرأته - يحل عنه - أو ينشر - لا بأس - وبيِّن النشرة الجائزة من المحرمة، والمراد من وضع هذه الترجمة. وما مناسبة الحديث والآثار للترجمة؟

قَالَ الإِمَامُ رَحِمَهُ اللهُ:

٢٧- بـابٌ
ما جاء في التطيُّر

وَقَولُ الله تَعَالَـى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣١﴾ [سورة الأعراف: ١٣١].

وَقَولُـهُ: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩﴾ [سورة يس: ١٩].

وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَـرَةَ، وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ» أَخرَجَاهُ[١].

زَادَ مُسلِـمٌ[٢]: «وَلَا نَوْءَ، وَلَا غُولَ».

وَلَـهُـمَا[٣] عَن أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَـرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ»، قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: «الكَلِـمَةُ الطَّيِّبَةُ».

وَلِأَبِي دَاوُدَ[٤] بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَن عُقبَةَ بنِ عَامِرٍ[٥]، قَالَ: ذُكِرَت الطِّيَـرَةُ عِندَ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧١٧) ومسلم (٢٢٢٠).

(٢) برقم (٢٢٢٠)، وزيادة: «ولا غول» عنده من حديث جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنهما برقم (٢٢٢٢).

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٥٦) ومسلم (٢٢٢٤).

(٤) برقم (٣٩١٩).

(٥) قال شارح «فتح المجيد» (ص٣١٢): هكذا وقع في نسخ «التوحيد»، وصوابه: عن عروة بن عامر اهـ. وقد اختلف في صحبته، ورجح المزي عدم صحبته.

رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: «أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ، فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ».

وَعَنِ ابنِ مَسعُودٍ مَرفُوعاً: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ»، وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ الله يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ[1] والتِّرمِذِيُّ[2] وَصَحَّحَهُ. وَجَعَلَ آخِرَهُ مِن قَولِ ابنِ مَسعُودٍ.

وَلأَحْمَدَ[3] مِن حَدِيثِ ابنِ عمرو: «مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ، فَقَدْ أَشْرَكَ». قَالُوا: فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ».

وَلَهُ[4] مِن حَدِيثِ الفَضْلِ بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ».

التحليل: طائركم معكم: حظكم من الشر معكم والتشاؤم لا يرده بل يأتي به، أن ذكرتم: بتحقيق توحيد الله قابلتم ذلك بالكلام السيء. مسرفون: مخطئون. لا عدوى: العدوى اسم من الأعداء وهو ما يقابل من الحرب وغيره. ويقال أعداه الداء إذا أصابه مثل ما أصاب صاحب الداء. ولا طيرة: لا تطير بالتشاؤم.

---

(١) برقم (٣٩١٠).

(٢) برقم (١٦١٤)، وكذلك رواه ابن ماجه (٣٥٣٨).

(٣) في «مسنده» (٢/ ٢٢٠) وهو صحيح.

(٤) في «مسنده» (١/ ٢١٣)، وسنده ضعيف.

ولا هامة: بتخفيف الميم، والهامة طير من طيور الليل. قيل: أنه البومة. كان العرب يتشاءمون فيها. **ولا صفر**: بفتح الصاد والفاء، حية تكون في البطن تعض الإنسان إذا جاع، وهي أعدى من الجرب عند العرب. **ولا نوء**: النوء واحد الأنواء وهي منازل القمر لنسبة المطر إليها لا إلى الله. **ولا غول**: الغول جمع غيلان وهو جنس من الجن والشياطين تتراءى للناس، وتتلون على صفات متنوعة وتضللهم. **ويعجبني**: أحب. **الفأل**: مهموز وهو فيما يسر ويسوء وتستعمل فيما يسر أكثر. **وما الفأل**: أخبرنا ما هو وما استغل فيه. **الكلمة الطيبة**: الحسنة، مثال سماع الاسم الحسن: فلاح أو سالم أو نجاح ونحو ذلك. **أحسنها الفأل**: أحسن الطيرة الفأل الحسن. **ولا ترد**: الطيرة. **مسلماً**: مؤمناً عن حاجته بخلاف المشرك فترده. **لا يأتي بالحسنات**: هنا النعم، **السيئات**: هنا المصائب. **ولا حول**: ولا تحوّل من حال إلى حال أخرى. **ولا قوة**: على التحول. **إلا بالله**: وحده. **وما منا إلا**: قد يقع في قلبه شيء من التطير. **ولكن الله يذهبه**: يذهب ما يقع في القلب بالإيمان والتوكل على الله. **من ردته**: منعته. **فقد أشرك**: بالله لخوفه من غير الله، إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك، هذا كالتفريق للطيرة وهو أن الذي يحملك على المضي أو يمنعك عنه.

تنبيهان: في هذا الحديث نفي العدوى، وفي حديث آخر: «فر من المجذوم كما تفر من الأسد»، والجمع: في هذا الحديث نفي ما كان يعتقده أهل الجاهلية من أن العدوى تعدي بطبعها لا بقدر الله. والحديث الآخر يفيد جواز فعل الأسباب مع التوكل على الله وهذا لا بأس، فتبتعد عن ما يكون سبباً للعدوى.

الثاني: في هذا الحديث: نفي الغول، وفي الحديث الآخر: إذا تغولت الغيلان -أي البوم- فبادروا بالأذان. **والجواب:** أن النفي للغيلان هو اعتقاد الجاهلية فيها من أنها تضل عن الطريق وتهلك، وإلا فهي موجودة فلا تضر مع التوكل على الله.

الترجمة: إن التطير من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد ومناسبة الآيتين للترجمة بيان ضرر الطيرة، وأن المقدر كائن لا محالة. ومناسبة الأحاديث نفي الطيرة وأنها من الشرك المنافي لكمال التوحيد.

الإجمالي: إن الطيرة كانت قديمة في الأمم السابقة وهي مما يتشاءم بها العرب في الجاهلية كثيراً، ولما جاء الإسلام حسم تلك المادة لما فيها من تعلق القلوب بغير الله في مخلوق من مخلوقات الله. وقد يكون من أضعف جند الله إلا ما كان من باب التفاؤل الحسن فهذا محبوب شرعاً لما فيه من التفاؤل الحسن بالخير وانشراح الصدر له وإيمانه به وابتعاده عن الخوف من غير الله. وأن على من رأى ما يكره في هذه الحياة أن يدعو بهذا الدعاء المتضمن توحيد العبد لربه وإيمانه به وابتعاده عن الطيرة الداعية إلى الشرك بالله، فعلى العبد أن يعتصم بالله ويتوكل عليه في جميع أموره، فهو الذي خلق الخلق وهو الذي يضر وينفع وهو الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣].

الفوائد:

١- أن طائر قوم موسى ما قدر الله عليهم بسبب كفرهم وتكذيبهم بآيات الله ورسوله.

٢- نفي اعتقاد العدوى والطيرة والهامة ونفي الصفر والنوء والغول ونفي جميع ما يتعلق به من دون الله.

٣- أن من وقع في قلبه شيء من الطيرة مع الكراهة لها وتوكله على الله لا تضره.

٤- أن الطيرة من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

معكم - حظكم - من الشر والتشاؤم معكم - أإن ذكرتم - طائركم معكم - مسرفون - لا عدوى - لا طيرة - لا هامة - لا صفر - لا نوء - لا غول - يعجبني - الفأل - الكلمة الطيبة - أحسنها الفأل - ولا ترد - مسلماً - لا يأتي بالحسنات السيئات - لا حول - ولا قوة - وما منا - ولكن الله يذهبه - بالتوكل - من ردته - فقد أشرك - إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك. وكيف تجمع بين نفي العدوى والغول هنا وفي أحاديث أخر أثبتها.

وما المراد من وضع هذه الترجمة؟ وما مناسبة الآيتين والأحاديث للترجمة؟

قَالَ الإِمَامُ رَحِمَهُ اللهُ:

٢٨- بَابٌ
ما جاء في التنجيم

هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، في تأثيرها بنفسها لا بأمر الله، وهذا شرك بالله، لذا وضع المصنف هذه الترجمة.

قَالَ البُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»(١): قَالَ قَتَادَةُ: خَلَقَ اللهُ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ: زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ؛ أَخْطَأَ وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ. انتهى.

وَكَرِهَ قَتَادَةُ تَعَلُّمَ مَنَازِلِ القَمَرِ. وَلَمْ يُرَخِّصِ ابنُ عُيَيْنَةَ فِيهِ. ذَكَرَهُ حَربٌ عَنهُمَا.

وَرَخَّصَ فِي تَعَلُّمِ المَنَازِلِ أَحْمَدُ وَإِسحَاقُ.

وَعَن أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الخَمْرِ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ»(٢).

---

(١) كتاب بدء الخلق: باب في النجوم، بعد الحديث (٣١٩٨).

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (٤/ ٣٩٩) وابن حبان برقم (٥٣٤٦) و (٦١٣٧)، وهو حديث حسن لغيره.

التحليل: النجوم: جمع نجم الكوكب. **زينةً للسماء:** جمالاً للسماء الدنيا. **ورجوماً:** الرجم الرمي وهنا رمي الشياطين بالشهب. **علامات:** دلالات على الجهات. **يهتدي بها:** يستدل بها. **أخطأ:** الخطأ ضد الصواب. **وأضاع نصيبه:** حظه من الدين. **وتكلف:** تجشم. **ما لا علم له به:** من ادعاء الغيب. **كره:** الكراهية ضد المحبة للشيء. **مدمن الخمر:** المداوم على شربها. **وقاطع الرحم:** المقاطع لقرابته فلا يصلهم. **ومصدق بالسحر:** وأنه حق غيره مما في معناه كما تقدم، ومناسبة الحديث للترجمة: ذكر المصدق بالسحر والتنجيم نوع من أنواع السحر.

الإجمالي: لما كان بعض الناس يعتقد أن الكواكب لها تأثير في الأرض من موت وحياة وضر ونفع وهذا أمر مناف للتوحيد أورد المصنف هذا الأثر الذي معناه في القرآن العزيز على أن النجوم خلقت لثلاث لا رابع لها في الظاهر وهي أنها جمال وحسن صورة للسماء ورجومٌ للشياطين مسترقي السمع وعلامات يهتدى بها في ظلمات البحر وأن من تأول غير هذا فقد ضل سواء السبيل يتكلفه بعلم لا يعلمه إلا الله، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَجَعَلْنَـٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَـٰطِينِ ...﴾ [الملك: ٥]، وقال تعالى: ﴿ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا﴾ [الأنعام: ٩٧]، فما على المسلم إلا أن يؤمن بالله وأنه لا تأثير في النجوم في ذاتها في الأرض إلا شيء يقدره الله فإنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

الفوائد:

١- بيان حكم النجوم في منافعها والرد على من زعم غير ذلك من تأثيرها بنفسها في الأرض.

٢- الوعيد على من صدق بشيء من السحر ومنه تأثير الكواكب.

٣- إباحة تعلم منازل القمر خلافاً لمن كرهه بخلاف تعلم علم التأثير فهو محرم.

تنبيه: انظر هذه الثلاثة المنافع الظاهرة لمن في الأرض وقد يكون فيها منافع أخر غير ذلك لا نعلمها وقد نعلمها أو بعضها في المستقبل، وقد علم الله الإنسان ما لم يعلم.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

النجوم - زينة للسماء - رجوماً - علامات - يهتدى بها - أخطأ - تكلف - ما لا علم له به - أضاع نصيبه - كره - مدمن الخمر - قاطع الرحم - مصدق بالسحر.

وما الحكمة في خلق النجوم؟ وما حكم علمها؟

وما مناسبة الحديث للترجمة؟ وعرف علم التنجيم المنهي عنه.

قالَ الإمامُ رَحمَه اللهُ:

٢٩- بـابٌ

ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

ما جاء من الوعيد في ذلك، والمراد نسبة السقيا ومجيء المطر إلى الأنواء وهذا مناف للتوحيد.

وَقَولُ الله تَعَالَى: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾ [سورة الواقعة: ٨٢].

وَعَن أَبِي مَالِكٍ الأَشعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنَ أَمرِ الْـجَاهِلِيَّةِ لَا يَترُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ بِالأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ»[(١)].

وَقَالَ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوتِـهَا؛ تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْـهَا سِرْبالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ» رَوَاهُ مُسلِمٌ[(٢)].

وَلَـهُمَا[(٣)] عَن زَيدِ بنِ خَالِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ الله ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْـحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَـمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ:

---

(١) أخرجه مسلم (٩٣٤).

(٢) أخرجه مسلم (٩٣٤).

(٣) أخرجه البخاري (٨٤٦) ومسلم (٧١).

«قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرنا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالكَوكَبِ».

وَلَهُمَا[1] مِن حَدِيثِ ابنِ عَبَّاسٍ بِمَعناه، وَفِيهِ: قَالَ بَعضُهُم: لَقَد صَدَقَ نَوءُ كَذَا وَكَذَا. فَأَنزَلَ الله هَذِهِ الآياتِ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة الواقعة: ٧٥-٨٢].

التحليل: وتجعلون رزقكم: شرككم. **أنكم تكذبون**: تقولون. **مطرنا بنوء كذا وكذا**: بنجم كذا وكذا نسبة السقيا إلى النجم لا إلى الله. **أربع**: أربع خصال. **في أمتي**: أمة الإجابة. **الجاهلية**: نسبة إلى الجهل قبل الإسلام. **الفخر**: التعاظم على الناس. **بالأحساب**: بالآباء ومآثرهم من الأعمال. **والطعن في الأنساب**: الوقوع فيها بالعيب. **والأنساب**: جمع نسب وهو القريب.

والاستسقاء بالنجوم: نسبة المطر إلى النوء وهو سقوط النجم أو طلوعه. وهذا هو الشاهد للترجمة.

والنياحة: رفع الصوت بالندب على الميت بقول مثل واظهراه واعضداه، ونحو ذلك.

---

(١) أخرجه مسلم (٧٣) دون البخاري.

سربال: واحد السرابيل، وهي الثياب والقميص تلبسها ليكون اشتعال النار بها أسرع وأشد حرارة. **صلى لنا**: صلى بنا لأن اللام بمعنى الباء. **بالحديبية**: قرية قرب حدود الحرم، وتسمى الآن (الشميسي) **على إثر**: بكسر الهمزة وهو ما يعقب الشيء. **سماء من الليل**: مطر أصاب الأرض بالليل. **والسماء**: يطلق على كل ما ارتفع فوق الإنسان. **هل تدرون**: تعلمون، وهل للاستفهام ومعناه التنبيه. **مؤمن بي**: مصدق بي. **وكافر بي**: جاحد إذا اعتقد أن للنوء تأثير في إنزال المطر لأنه شرك في ربوبية الله، **مطرنا بفضل الله ورحمته**: الفضل والرحمة صفتان لله لأنه هو الذي يتفضل على عباده ويرحمهم. **فلا أقسم بمواقع النجوم**: هذا قسم من الله يقسم بما شاء من خلقه، وجواب القسم إنه لقرآن كريم، **مكنون**: مصون محفوظ. **المطهرون**: الملائكة. **تنزيل**: منزل من الله. فليس بسحر ولا كهانة ولا سحر. **أفبهذا الحديث**: القرآن، والهمزة للاستفهام الإنكاري وذا إشارة. **مدهنون**: متصانعون ومتمالئون في تركه.

تنبيه: الاستسقاء بالنجوم على قسمين:

شرك أكبر: وهو من يعتقد أن النجوم لها تأثير في إنزال المطر بنفسها دون الله.

شرك أصغر: إذا قال الإنسان على سبيل المجاز: مطرنا بنوء كذا وكذا، لأنه أضاف العظمة إلى غير الله.

الإجمالي: لما كان الاستسقاء بالنجوم عقيدة راسخة في مذاهب أهل الجاهلية وكان ﷺ يخشى على أمته من هذا الاعتقاد الفاسد حذَّر أمته منه لتعلق

القلوب بغير الله على أن تنزل المطر لا يكون إلا بسقوط نجم أو طلوعه لتأثير النجم في الكون، ولذا ينسبون نعمة الله إلى غيره وهذا هو الشرك بالله الذي حرّمه الله، لأن الله هو الذي خلق النجم وسيره وصرّفه على ما يشاء ويريد بمقدار معين، لا يزيد ولا ينقص لحكم وأسرار منها ما نعلم ومنها ما لا نعلم، فكيف ينسب إليها بشيء من أمر الله وتدبيره وقدره. إن هذا الجهل مركب من معتقده وقد ذمهم الله على ذلك بقوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة: ٨٢]، بنعمة الله تنسبوها إلى غيره. فاتقوا الله عباد الله واشكروه على نعمه الظاهرة منها والباطنة لتسعدوا في هذه الحياة ويوم يقوم الأشهاد، يوم لا ينفع المرء إلا ما قدمت يداه من العمل الصحيح الخالص من الشرك وشوائبه.

الفوائد:

١- أن الاستسقاء بالأنواء من اعتقاد الجاهلية.

٢- أن الإيمان الكامل لا يجتمع مع الكفر بنعمة الله في قلب الإنسان.

٣- أن التعلق بغير الله من الشرك بالله.

٤- أن من يضيف المطر إلى الله وحده لا شريك له، مؤمن به ومن يضيفه إلى غير الله تعالى، فهو كافر بالله.

٥- أن من قال مطرنا في نجم كذا يقصد المنازل على سبيل الإخبار جائز، والأولى ترك ذلك.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

وتجعلون رزقكم - أنكم تكذبون - بنوء كذا وكذا - أربعٌ في أمتي - الجاهلية - الفخر - بالأحساب - الطعن - في الأنساب - الاستسقاء بالنجوم - النياحة - سربال - صلى لنا - بالحديبية - على إثر - سماء من الليل - هل تدرون - مؤمن بي - وكافر بي - مطرنا بفضل الله ورحمته - فلا أقسم بمواقع النجوم - مكنون - المطهر - تنزيل - أفبهذا الحديث - مدهنون.

وما المراد بهذه الترجمة؟ وما الشاهد من الحديث؟

والاستسقاء بالنجوم على قسمين، فما هما، وهل يجوز القول مطرنا في نجم كذا على جهة الإخبار.

واشرح بأسلوبك الخاص ما فهمته من هذا الباب نحو الاعتقاد بالنجوم والابتعاد عن ذلك.



قَالَ الإِمَامُ رَحِمَهُ اللهُ:

٣٠- بـابٌ

قَولُ الله تَعَالَـى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [سورة البقرة: ١٦٥].

وَقَولُـهُ: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ [سورة التوبة: ٢٤].

عَن أَنسٍ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْـهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْـمَعِينَ». أَخرَجَاهُ[١].

وَلَـهُـمَا[٢] عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِـهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُـهُ أَحَبَّ إِلَيْـهِ مِـمَّا سِوَاهُـمَا، وَأَنْ يُـحِبَّ الْـمَرْءَ لَا يُـحِبُّـهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعدَ إِذْ أَنقَذَهُ اللهُ مِنهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ».

وَفِي رِوَايَةٍ[٣]: «لَا يَـجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ حَتَّى...» إلى آخِرِهِ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٥) ومسلم (٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٦) ومسلم (٤٣).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٤١).

وَعَن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهما قَالَ: مَن أَحَبَّ فِي الله، وَأَبغَضَ فِي الله، وَوَالَى فِي الله، وَعَادَى فِي الله، فَإِنَّما تُنَالُ وِلَايَةُ الله بِذَلِكَ. وَلَن يَجِدَ عَبدٌ طَعمَ الإِيمَانِ وَإِن كَثُرَت صَلَاتُهُ وَصَومُهُ حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ. وَقَد صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمرِ الدُّنيَا، وَذَلِكَ لَا يُجدِي عَلَى أَهلِهِ شَيئًا. رَوَاهُ ابنُ جَرِيرٍ[1].

وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾ [سورة البقرة: ١٦٦]، قَالَ: المَوَدَّةُ[2].

التحليل: يتخذ: يجعل. **أنداداً**: نظراء وشركاء. **أشد**: أقوى. **حباً**: محبة لله من المشركين لأوثانهم. **عشيرتكم**: أقربائكم. **اقترفتموها**: اكتسبتموها. **تخشون**: تخافون. **كسادها**: رخصها بأن لا تنفق. **مساكن**: جمع مسكن، الدار. **جهاد في سبيله**: جهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، **والسبيل**: الطريق وأصل الجهد المشقة. **تربصوا**: انتظروا ماذا يحل بكم من عقاب الله. **لا يؤمن أحدكم**: الإيمان الكامل. **أحب**: أفضل. **أجمعين**: تأكيد لمحبة الرسول ﷺ. **والمحبة**: المودة. **ثلاث**: خصال. **من كن فيه**: وجدت فيه تامة. **حلاوة الإيمان**: الحلاوة وما يعبر بها بالذوق وهنا ما يحصل بالإيمان من لذة القلب ونعيمه وسروره وغذائه. **أحب**: أفضل من محبته. **مما سواهما**: غيرهما ممن تتساوى فيهم المحبة كالولد والمال ونحو ذلك. **المرء**: الشخص. **يكره**: الكراهية، ضد المحبة. **يعود**: يرجع. **أنقذه الله**: نجاه الله وخلصه. **منه**: من الكفر. **أن يقذف**: أن يرمى بالنار. **من أحب في الله**: أحب

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٣٥٣)، وفي سنده ليث بن أبي سليم ضعيف.

(٢) رواه ابن جرير في «تفسيره» (٢/ ٧١).

أهل الإيمان بالله لقيامهم بأمر الله. **وأبغض في الله**: أبغض من كفر بالله وأشرك به. **ووالى في الله**: ناصر أولياء الله المتقين. **وعادى في الله**: جاهد أعداء الله وابتعد منهم. **فإنما تنال ولاية الله**: يحصل عليها العبد بذلك، والإشارة راجعة إلى جميع قول ابن عباس رضي الله عنه. **والولاية**: بفتح الواو ويجوز كسرها. المنزلة العالية في توحيد الله تعالى ومحبته وعبوديته. **عامة**: جميع. **لا يجدي**: لا يغني ولا ينفع.

الإجمالي: إن محبة الله ورسوله مقدمة على محبة من سواهما وهذه المحبة لا تتحقق إلا باتباع الكتاب والسنة والعمل بذلك ظاهراً وباطناً وموالاة أولياء الله المتقين ومحبتهم مثل ما يحب الإنسان لنفسه ومعاداة أعداء الله الكافرين والمشركين والابتعاد منهم حتى لا يرى شؤمهم فيضل الإنسان كما ضلوا فيهلك كما هلكوا وأنها لن تنال ولاية الله إلا بذلك فلا ينفع القول باللسان إلا بالتحقيق بالأفعال والاعتقاد ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: ٣]، فعلى المرء المسلم أن يحقق إيمانه بالمحبة الصادقة والأعمال الخالصة لوجه الله ويبتعد عن الشرك ودعاته ليكون من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

الفوائد:

١- أن المشركين يحبون الأنداد كحب الله لمساواتهم لهم بالله وهذا الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله.

٢- الوعيد على من قدم محبة الآباء والأبناء والأموال وغير ذلك على محبة الله ورسوله ﷺ.

٣- أن تحقيق محبة الله تعالى ورسوله ﷺ بامتثال ما أمر الله به وترك ما نهى عنه.

٤- أن الإيمان له حلاوة قد لا يجدها إلا من قوي إيمانه.

٥- أن الموالاة الحقيقية هي الموالاة في الله والمعاداة فيه لا لأجل الدنيا في سرعة زوالها.

٦- أن مطابقة الآيتين والأحاديث: هي تقديم محبة الله ورسوله على محبة كل أحد وأن من ساوى مع الله أحداً في المحبة لتعلق قلبه به فهو مشرك بالله.

والمحبة تنقسم إلى قسمين: محبة مشتركة وهي محبة طبيعية كمحبة الولد والمال والطعام والشراب والصداقة وغير ذلك. ومحبة مختصة وهي محبة العبودية لله فلا تصلح إلا له.

والمراد من هذه الترجمة أن محبة الله أصل في دين الله فمتى حصل فيه نقص نقض التوحيد وقد ينتفي بالكلية.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

يتخذ - أنداداً - أشد - حباً - عشيرتكم - اقترفتموها - تخشون - كسادها - مساكن - جهاد في سبيله - تربصوا - لا يؤمن أحدكم - أحب - أجمعين - ثلاث - من كن فيه - حلاوة الإيمان - أحب - مما سواهما - المرء - يكره - يعود - أنقذه الله - عنه - أن يقذف - من أحب في الله - وأبغض في الله - ووالى في الله - وعادى في الله - فإنما تنال ولاية الله - بذلك - عامة - لا يجدي.

ومـا مطابقة الآيتين والأحاديث للترجمة، والمحبة تنقسم إلى قسمين فوضحهما.

وما المراد بالترجمة، واشرح بأسلوبك الخاص ما فهمت من هذا الباب في المحبة والموالاة.

قالَ الإمامُ رَحِمَه اللهُ:

٣١- بـابٌ

قَولُ الله تَعالَى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٧٥].

وَقولُـهُ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾[سورة التوبة: ١٨].

وَقولُـهُ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [سورة العنكبوت: ١٠].

عَن أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَرفُوعاً: «إِنَّ مِن ضَعفِ اليَقِينِ: أَن تُـرضِي النَّاسَ بِسَخطِ الله، وَأَن تَـحمَدَهُـم عَلَى رِزقِ الله، وَأَن تَذُمَّهُـمْ عَلَـى مَا لَـم يُؤتِكَ اللهُ، إِنَّ رِزقَ الله لَا يَجُرُّه حِرصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَـرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ»[(١)].

وَعَـن عَائِشَـةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها: أَنَّ رَسُـولَ الله ﷺ قَـالَ: «مَـنِ الْتَمَسَ رِضَـا الله بِسَخَطِ النَّاسِ، رَضِيَ اللهُ عَنهُ وأَرضَى عَنهُ النَّاسَ، وَمَن التَمَسَ رَضَى

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٠٦، و١٠/ ٤١، والبيهقي في «الشعب» (٢٠٧) من طريق محمد بن مروان السدي عن عمرة بن قيس عن عطية العوفي عن أبي سعيد. ومحمد بن مروان وعطية ضعيف ومدلس.

وأخرجه البيهقي (٢٠٨) من حديث ابن مسعود وفي سنده ضعيف ومجهول.

النَّاسِ بِسَخَطِ الله، سَخِطَ اللهُ عَلَيهِ وَأَسخَطَ عَلَيهِ النَّاسَ» رَوَاهُ ابنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ»(١).

التحليل: إنما: أداة حصر. **ذلكم**: ذا اسم إشارة واللام للبعد والميم للجمع. **يخوف أولياءه**: الموالين له. والخوف ضد الأمن. **يعمر مساجد الله**: المراد من عمرانها الصلاة وذكر الله فيها. **يخشى**: يخاف تعظيماً لله. **عسى**: في القرآن من الله واجبة وحق وإلا فهي تفيد الترجي. **آمنا بالله**: صدقنا به. **فإذا أوذي**: أحدهم. **في الله**: أصابته محنة من الناس اعتقد أنها نقمة من الله به.

فارتد عن الإسلام حيث جعل فتنة الناس كعذاب الله الذي خافه المؤمنون.

أن: حرف تأكيد. **من**: تبعيضية. **الضعف**: ضد القوة. **اليقين**: العلم الذي لا شك فيه. **لا يجره**: لا يأتي به. **حرص حريص**: الحرص الجشع على الشيء بتحصيله. **أن ترضي الله**: تؤثر رضى الله ولو سخط الناس. **أن ترضي الناس**: تؤثر رضاهم. **بسخط الله**: بغضب الله. **تحمدهم**: تشكرهم. والحمد، الثناء وهو ضد الذم. **رزق الله**: عطاؤه وفضله. والرزق كل ما ينتفع به. **التمس**: طلب. والمراد من وضع هذه الترجمة: أن الخوف من الله من أعلى مراتب الإيمان، فلا بد من إخلاصه لله.

الإجمالي: إن الله سبحانه هو الذي خلق الخلق وهو الذي قدر المقادير والأرزاق قبل خلقهن وهو الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلا راد لما قدره وقضاه، ولا مانع لما أعطاه، ولا معطي لما منعه.

---

(١) برقم (٢٧٦)، وهو عند الترمذي (٢٤١٤) مرفوعاً وموقوفاً.

لذا، فإن الله سبحانه ينحي باللائمة على أولياء الشياطين الذين يخافون منهم فيأمرهم بالخوف منه وقد أشاد بعمارة المساجد التي عمروها بالإيمان والتقوى، عمروها بالصلاة وذكر الله ولم يخشوا أحداً سواه ومن الناس من كان إيمانه على جرف هار إذا أوذي في دين الله وأحاطت به المخاوف لم يصبر على ذلك كما صبر أهل الإيمان والتقوى، فجمع في هذه الحياة بين سخط الله وسخط الناس عليه. فعلى المسلم أن لا يخاف من أي مخلوق كان ولا يرضي الناس بسخط الله ويحمدهم على رزقه وهو الرزاق لعباده، فرزق الله لا يأتي به حرص حريص ولا يرده كراهية كاره مهما عمل من الأسباب، إنما على المرء أن يلتمس رضا الله ولو سخط الناس فإن العافية أن يرضى عنه الناس لعدله واستقامته على أمر الله وإخلاصه لربه الذي خلقه فقدره، ثم السبيل يسره.

الفوائد:

١ - أن الشيطان يخوف أولياءه ليخافوه من دون الله ويخافوا غيره.

٢ - أن الذين يخافون الله ولا يخشون أحداً سواه هم أهل الإيمان بالله وهم عمار المساجد بالصلاة وذكر الله.

٣ - إن إخلاص الخوف من الله من أوجب الواجبات.

٤ - بيان فضل من خاف الله وآثر رضاه وعقوبة من خاف الناس وآثر رضاهم على رضى الله تعالى.

٥ - أن من ضَعُفَ يقينُه وإيمانُه بربه تحيط به المخاوف من جميع الوجوه لعدم إخلاصه لله واعتماده عليه.

٦- أن مطابقة الآيات والحديثين للترجمة وهو الخوف من الله وحده ظاهر في الآيات، وكذلك في الحديثين وأن من أشرك مع الله غيره في الخوف فقد أشرك بالله سواء شركاً أصغر أم أكبر حسب الاعتقاد والعمل.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

إنما - ذلكم - يخوف أولياءه - يعمر مساجد الله - يخشى - عسى - آمنا بالله - فإذا أوذي - في الله - جعل فتنة الناس - كعذاب الله - أن - من - ضعف - اليقين - لا يحره - حرص حريص - أن ترضي الناس - بسخط الله - تحمدهم - رزق الله - التمس.

وما المراد بوضع هذه الترجمة؟ وما مطابقة الآيات والحديثين للترجمة؟

وما حكم الخوف من الله والخوف من غيره؟

قالَ الإمامُ رَحمه اللهُ:

٣٢- بـابٌ

قَولُ الله تعَالَـى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ [سورة المائدة: ٢٣].

وَقولُـهُ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢﴾ [سورة الأنفال: ٢].

وَقَولُـهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤﴾ [سورة الأنفال: ٦٤].

وَقَولُـهُ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [سورة الطلاق: ٣].

وَعَن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنـهما قَالَ: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ [سورة آل عمران: ١٧٣]، قَالَـهَا إِبرَاهِيمُ عَلَيهِ السَّلامُ حِينَ أُلقِيَ في النَّارِ، وَقَالَـهَا مُـحَـمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالَوا لَـهُ: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ [سورة آل عمران: ١٧٣]، رَوَاهُ البُخَارِيُّ والنَّسَائِيُّ[(١)].

التحليل: فتوكلوا: التوكل لغة: التفويض والاعتماد. وشرعاً: الاعتماد على الله في جميع الأمور مع فعل الأسباب.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٣)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٤٣٩).

إن كنتم مؤمنين: حقاً فتوكلوا على الله. وهذا جواب شرط (إن). **وجلت قلوبهم**: خافت خوفاً شديداً. **تليت**: قُرِئت. **آياته**: آيات الله في القرآن العزيز. **وعلى ربهم يتوكلون**: يفوضون أمورهم إلى الله. **حسبك الله**: كافيك وكافي أتباعك، فلا حاجة إلى أحد غير الله. **فاخشوهم**: خافوهم. **ونعم الوكيل**: نعم المتوكل عليه. ومخصوص نعم محذوف تقديره (هو). والمراد من هذه الترجمة بيان أن التوكل يجب إخلاصه لله تعالى، لأن معناه وعلى الله فتوكلوا. لا على غيره لأن تقديم المعمول يفيد الحصر وهذا معنى لا إله إلا الله وهو من شروط الإيمان.

الفوائد:

١ - فضل التوكل على الله وحده لأنه هو الكافي والرازق والناصر والواقي من كل شر.

٢ - أن التوكل على الله شرط من شروط الإيمان لتضمنه معنى لا إله إلا الله.

٣ - أنه كلما قوي إيمان العبد قوي توكله وإن من ضعف إيمانه ضعف توكله.

٤ - عظم كلمة حسبنا الله ونعم الوكيل لما فيها من الاعتماد على الله في جميع شؤون الحياة ولما بعد الممات.

٥ - أن مطابقة الآيات والحديث كلها تفيد اعتماد العبد على ربه وحده وأنه متى تعلق القلب بغير الله وكل إلى ما تعلق، وهذا مناف للتوحيد أو كماله على حسب الاعتقاد والعمل.

تنبيه:

التوكل ثلاثة أقسام: التوكل على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، فهذا شرك أكبر لأنه توكل على غير الله. وتوكل على غير الله في الأسباب الظاهرة لدفع أذى

أو جلب نفع، فهذا فيه نوع شرك أصغر. وتوكل على من ينوب عن الإنسان في فعل ما يقدر عليه فهذا لا بأس به. ويسمى هذا توكيلاً وليس توكلاً.

الإجمالي: إن التوكل على الله من أعلى مراتب الدين ومن شروط الإيمان بالله وعلاماته لتضمنه معنى لا إله إلا الله، وهو أن العبد لا يعتمد إلا على ربه ولا يفوض جميع أموره في هذه الحياة إلا إلى الله الذي خلقه فسواه والذي قدره فهداه إلى ما ينفعه في آخرته ودنياه، لأن الله سبحانه أخبرنا بأن من توكل عليه كفاه رزقه وما يحتاجه في هذه الدنيا ووقاه وحفظه وتولاه في دينه ودنياه، وأرشدنا رسول الهدى محمد ﷺ إلى هذه الكلمة العظيمة ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣]، نقولها عند الشدائد لتزول بأمر الله كما زالت عن إبراهيم عليه السلام وكما زالت عن محمد ﷺ.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

فتوكلوا - إن كنتم مؤمنين - وجلت قلوبهم - تليت - آياته - زادتهم - زادتهم إيماناً - وعلى ربهم يتوكلون - حسبك الله - فاخشوهم - ونعم الوكيل.

والتوكل ينقسم إلى ثلاثة أقسام، فوضحها، وما حكم التوكل على غير الله؟ وما الذي أرشدنا الرسول ﷺ إليه عند الشدائد؟ وما مطابقة الآيات والأحاديث للترجمة؟

واشرح بأسلوبك الخاص ما فهمت من هذا الباب من التوكل على الله والاعتماد عليه في جميع الأمور، وما المراد من وضع هذه الترجمة.

قالَ الإمامُ رَحمَه اللهُ:

٣٣- بـابٌ

قَولُ الله تَعَالَـى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ (٩٩)﴾ [سورة الأعراف: ٩٩].

وَقَولُـهُ: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ (٥٦)﴾ [سورة الحجر: ٥٦].

وَعَن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُـما أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ سُئِلَ عَنِ الْكَبَائِرِ؟ فَقَالَ: «الشِّركُ بِالله، وَاليَأسُ مِن رَوْحِ الله، وَالأَمنُ مِن مَكْرِ الله»(١).

وَعَن ابنِ مَسعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ قَالَ: أَكبَرُ الكَبَائِرِ: الإِشرَاكُ بِالله، وَالأَمنُ مِن مَكرِ الله، وَالقُنُوطُ مِن رَحمَةِ الله، وَاليَأسُ مِن رَوْحِ الله. رَوَاهُ عَبدُالرَّزَّاقِ(٢).

التحليل: أفأمنوا: الأمن ضد الخوف، والهمزة للاستفهام الإنكاري. مكر الله: المكر الاحتيال والخديعة من الإنسان، ومكر الله تعالى الاستدراج والعقوبة. الخاسرون: الهالكون. والقوم: الجماعة. يقنط: استبعاد الفرج واليأس منه.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم -كما في تفسير ابن كثير (١/ ٤٨٥) و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٥٠٢-٥٠٣)- وأخرجه البزار في «مسنده» (١٠٦- كشف الأستار) والطبراني في «الكبير» (١٣٠٢٣) والبيهقي في «الشعب» (٢٩١).

(٢) في «جامع معمر» (١٩٧٠١).

الضالون: المخطئون طريق الصواب. **الشرك بالله**: في ربوبيته أو عبادته. **واليأس من روح الله**: قطع الأمل والرجاء.

والمراد من وضع هذه الترجمة: أن الأمن من مكر الله من أعظم الذنوب وأنه مناف للتوحيد، وكذلك القنوط من رحمة الله، ووجه جمع المصنف بين الخوف والقنوط: على أن الواجب على الإنسان أن يجمع بين الخوف والرجاء. والفرق بين القنوط واليأس: أن القنوط أشد اليأس، وظاهر القرآن أن اليأس أشد من القنوط...

الإجمالي: لما كان الأمن من مكرالله والقنوط من رحمته واليأس من فضله من أعظم الذنوب والكبائر وأقبحها لسوء الظن بالله من استبعاد فضله وإحسانه ورحمته بعباده، والأمن من عقوبته، لذا فإن الله سبحانه حذّرنا أننا لا نأمن في رغد العيش من استدراجه بنا حتى العقوبة بسلب النعمة والعقاب في الآخرة وأننا لا نقنط من رحمته التي وسعت كل شيء، فهو الرحيم بعباده، وهو ذو الفضل العظيم فلا نقنط من رحمته فنقطع من ربنا الرجاء والآمال بل علينا أن نسأله من واسع فضله وجوده وكرمه الذي لا ينفذ، فما على المسلم إلا أن يكون دائماً خائفاً من ربه راجياً فضله وإحسانه وعليه بالصبر، فإن الصبر مفتاح الفرج وإن مع العسر يسراً وإن مع الأمن مخاوف وفتن، فنعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

الفوائد:

١- الوعيد على من أمن مكر الله بأنه خاسر هالك.

٢- أنه لا يقنط من رحمة الله إلا من ضل عن الطريق المستقيم.

٣- أن من أكبر الكبائر الشرك بالله والقنوط من رحمته.

٤- أن المطابقة من الآيتين والحديث والأثر أن الأمن من مكر الله، والقنوط من رحمته واليأس من روح الله مناف للتوحيد أو لكماله الواجب على حسب الاعتقاد.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

أفأمنوا - مكر الله - الخاسرون - يقنط - الضالون - الشرك بالله - واليأس من روح الله - وما المراد من وضع هذه الترجمة - وما وجه جمع المصنف بين القنوط والخوف - وما الفرق بين القنوط واليأس - وما مطابقة الآيتين والحديث والأثر للباب.

واشرح بأسلوبك الخاص ما فهمته من هذا الباب من القنوط واليأس من روح الله والأمن مكر الله.

قالَ الإمامُ رَحمَه اللهُ:

٣٤- بـابٌ
من الإيمان بالله: الصبر على أقدار الله

وَقولُـهُ تَعالَـى: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [سورة التغابن: ١١].

قَالَ عَلقَمَةُ: هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُـهُ المُصِيبَةُ فَيعلَـمُ أَنَّـهَا مِن عِندِ الله، فَيَـرضَى وَيُسَلِّـمُ[(١)].

وَفِي «صَحِيحِ مُسلِـمٍ»[(٢)] عَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُـمَا بِـهِـمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْـمَيِّتِ».

وَلَـهُـمَا[(٣)] عَن ابنِ مَسعُودٍ مَرفُوعاً: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْـجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْـجَاهِلِيَّةِ».

وَعَن أَنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِذَا أَرَادَ الله بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَـهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْـهُ بِذَنْبِـهِ، حَتَّى يُوَافِي بِـهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[(٤)].

---

(١) رواه الطبري (٢٨/ ١٢٣)، والبيهقي (٤/ ٦٦).

(٢) برقم (٦٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٩٧) ومسلم (١٠٣).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦) وقال: حديث حسن غريب. وقال الألباني: حسن صحيح.



وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الْـجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَـى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُـمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَـهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَـهُ السُّخْطُ». حَسَّنَـهُ التِّـرمِذِيُّ(١).

التحليل: الصبر: حبس النفس من الجزع مما قدر الله. وهو مشتق من صبر إذا حبس ومنع. **يهد قلبه**: إلى اعتقاد الحق بالصبر على أقدار الله.

والصبر صبران: صبر على طاعة الله واجتناب ما حرم الله، وصبر على ما يصيب الإنسان من مصائب وفتن. **الطعن**: العيب. **النياحة**: رفع الصوت بالندب كقول واعضداه وناصراه ونحو ذلك. **ليس منا**: ليس على طريقتنا بعمله هذا. **الخدود**: جمع خد، وهو جانب الوجه ومنه ضرب الوجه كله. **الجيوب**: جمع جيب، وهو مدخل الرأس من الثوب. **ودعا بدعوى الجاهلية**: وهي الندب وهذا من التعميم بعد التخصيص. **الخير**: كلمة جامعة لما ينفع الإنسان، وهي ضد الشر. **عجل**: أسرع له العقوبة. **في الدنيا**: بالمصائب لتكفر ذنوبه. **أمسك**: أخذ عنه العقوبة. **بذنبه**: الذي ارتكبه. **حتى**: حرف غاية. **يوافي**: بضم الياء وكسر الفاء، والمعنى حتى يأتي يوم القيامة. **به**: بذنبه فيجازى عليه، والمراد الجمع، ذنوب. **إن عظم الجزاء**: بكسر العين وفتح الظاء، ويجوز ضمها مع سكون الظاء. **مع عظم البلاء**: مع عظم الامتحان والصبر عليه، محتسباً عظم الثواب. **ابتلاهم**: امتحنهم ليختبرهم. **فمن رضي**: بما قدر الله له وعليه. **فله الرضى**: من الله تعالى. **ومن سخط**: غضب لكراهيته لما قدر الله ولم يرض به، **فله السخط**: من الله وكفى بذلك عقوبة.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦م) وابن ماجه (٤٠٣١).

والمراد من وضع هذا الباب: أن الصبر على أقدار الله من الإيمان فهو ينقص بنقص الإيمان ولكماله يكمل توحيد الإنسان.

الإجمالي: لما كان الصبر أمره عظيماً لما يترتب عليه من المصالح الدينية والدنيوية ومن أعظم ذلك الرضا بما قدر الله على العبد والصبر على بلواه، وقد ذكر الله سبحانه الصبر في تسعين موضعاً في كتابه العزيز لما له من الأهمية العظمى والأهداف السامية لمن اتصف به.

وها هو سيد الأمة يحذر من السخط وعدم الرضا بالقضاء مما يصيب الإنسان في هذه الحياة ويحث على الصبر مخبراً بأن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم لاختبار صبرهم ورضاهم بقدره ليمحص ذنوبهم. وإن من سخط فله السخط من الله وإن الله ليملي لأهل المعاصي استدراجاً حتى يوافيهم بجزائهم الصارم وأن من رضي بما قدر الله وقضاه فله الرضا من الله ومن رضي الله عنه أدخله الجنة التي هي أعلى المقاصد.

الفوائد:

١ – أن من أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره فصبر وفقه الله فهداه لما يحبه ويرضاه.

٢– أن النياحة على الميت تسخطاً من قدر الله وعدم الصبر على ما قضاه يدل على ضعف الإيمان.

٣– الوعيد الشديد على من تسخط من أقدار الله تعالى بأنه ليس على سنة محمد ﷺ.

٤- وجوب حسن الظن بالله عند المصائب مع الخوف منه والرجاء وعدم اليأس من رحمة الله.

٥- إثبات المحبة لله إثباتاً يليق بجلاله وعظمته.

٦- أن من سخط من قضاء الله فعليه السخط من الله لاعتراضه على قدر الله.

٧- أن الثواب يعظم مع الابتلاء والامتحان في هذه الحياة وأن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، وقد كان أشد الناس ابتلاء الأنبياء.

٨- أن مطابقة الآية للترجمة: أنها متضمنة الرضا بما قدر الله، وهذا واجب التوحيد، ومناسبة الأحاديث أنها تفيد صدور عدم الرضا بقضاء الله وقدره من بعض الناس، وهذا مناف للتوحيد أو كماله على حسب الاعتقاد.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

الصبر - يهد قلبه - الطعن - النياحة - ليس منا - الخدود - الجيوب - دعا بدعوى الجاهلية - الخير - عجل - في الدنيا - أمسك - عنه - بذنبه - يوافي به - أن عظم الجزاء - مع عظم البلاء - ابتلاهم - فمن رضي - فله الرضا - ومن سخط فله السخط - وما المراد من وضع هذا الباب، وما مناسبة الآية والأحاديث للترجمة.

واشرح بتعبيرك الخاص ما فهمته من الصبر والرضا بالقضاء والقدر، وما في ضد ذلك من السوء، والصبر صبران، فما هما؟

قَالَ الإمامُ رَحِمَه اللهُ:

٣٥- بـابٌ

ما جاء في الرياء

وَقولُ الله تَعالَـى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [سُورة الكهف: ١١٠].

وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ مَرفُوعاً: «قَالَ تَعالَـى: أَنا أَغْنَى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْـرِي، تَـرَكْتُـهُ وَشِرْكَهُ». رَوَاهُ مُسلِـمٌ(١).

وَعَن أَبِي سَعِيدٍ مَرفُوعاً: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْـمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟» قَالُوا: بَلَـى يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «الشِّرْكُ الخَفِيُّ، يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَـهُ لِـمَا يَـرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ». رَوَاهُ أَحْمَدُ(٢).

التحليل: الرياء: مشتق من الرؤية، وشرعاً: تزيين العمل لأجل الناس ليحمدوه عليه، وهذا شرك بالله، لذا وضع المصنف له هذه الترجمة. **قل**: يا محمد. **إنما**: أداة حصر تثبت المذكور وتنفي ما سواه. **بشر**: إنسان مخلوق. **مثلكم**: سواء إلا أن الله فضلني بالرسالة ولسي لي من الربوبية والألوهية شيء. **إنما إلهكم إله واحد**: محصورة له الألوهية وحده. **فمن كان**: من بني الإنسان. **يرجو**: معتقداً.

---

(١) برقم (٢٩٨٥).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٠) وابن ماجه (٤٢٠٤)، وهو حسن.

لقاء ربه: يوم القيامة. **فليعمل**: وجوباً. **عملاً صالحاً**: خالصاً لله. **ولا يشرك بعبادة ربه أحداً**: أحد نكرة في سياق النهي، فتعم الأنبياء والملائكة والصالحين وغيرهم، أن لا يشركوا مع الله في عبادته. **أنا أغنى الشركاء**: فلا حاجة لي بالشريك. **عن الشرك**: عن العمل الذي أشرك فيه معي غيري. **من عمل عملاً**: أي عمل. **أشرك معي فيه**: في هذا العمل. **غيري**: من المخلوقين. **تركته**: تركت من أشرك وعمله الذي أشرك به. **ألا**: أداة عرض وتنبيه. **المسيح**: سمي مسيحاً لمسحه الأرض بسرعة في سيره، أو لمسح عينه اليمنى. **والدجال**: مشتق من الدجل وهو الكذب، وما أكذبه، أعاذنا الله من فتنه. **الشرك الخفي**: وهو الرياء، وسمي خفياً لأن صاحبه يظهر أن عمله لله و قد قصد به غيره. **فيزين**: يجمل ويحسن صلاته لأجل من ينظر إليه.

تنبيه: الفرق بين الرياء والسمعة: كل منهما يقصد بعمله غير الله إلا أن الرياء في الأفعال والسمعة في الأقوال.

الإجمالي: لما كان الشرك الأصغر يصدر من بعض الناس في عباداتهم البدنية أو المالية أو القولية رياء وسمعة للمدح والثناء لهم من الناس لا لأجل الله سبحانه خالصاً. حذّرنا رسول الهدى عن ربه تبارك وتعالى بقوله: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه، فلا أقبله ولا أقبل عمله الذي أشرك معي فيه غيري ومن تركه الله وأبعده من رحمته فمن الذي يتولاه وممن يطلب جزاء عمله ورضاه أمن آدمي مخلوق سواه إنَّ هذا لهو الخطأ البين والخلق الفاسد. وإن الرسول ﷺ أشد ما خاف على أمته من

الشرك الخفي، وذلك لقلة من يسلم منه وهو الرياء، فما على المسلم إلا أن يبتعد عن الشرك صغيره وكبيره، قليله وكثيره، ليكون عمله مقبولاً وسعيه مشكوراً.

الفوائد:

١- التحذير من الإشراك بالله ولو كان الشرك صغيراً مخالطاً عملاً صالحاً.

٢- أن الرسول ﷺ بشر من بني الإنسان فلم يفضل إلا بالنبوة والرسالة، وإلا فليس له من الأمر شيء.

٣- أن الله سبحانه أغنى من أن يكون له شريك في أي عمل من الأعمال، وأنه لا يقبل أي عمل من الأعمال فيه له شريك.

٤- أن أخوف ما خافه الرسول ﷺ على أمته الشرك الخفي والرياء وأنه أشد من فتنة المسيح الدجال.

٥- أن مطابقة الآية والحديثين للترجمة: أن كلاً منها فيه التحذير من أن يشرك مع الله غيره ولو كان الشرك صغيراً، وهذا ينافي كامل التوحيد أو كبيراً ينافي أصله.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

قل - إنما - بشر - مثلكم - إنما إلهكم إله واحد - يرجو - لقاء ربه - فليعمل - عملاً صالحاً - ولا يشرك بعبادة ربه أحداً - من عمل عملاً - أشرك فيه غيري - تركته - وشركه - ألا - المسيح - الدجال - الشرك الخفي - فيزين.

وما المراد من وضع هذه الترجمة، وما هو الرياء، وما صلته، وما الفرق بين الرياء والسمعة؟

وما مناسبة الآية والحديثين للترجمة، واشرح بأسلوبك الخاص ما فهمت من هذا الباب من الشرك وحكمه.

قَالَ الإمامُ رَحِمَه اللهُ:

٣٦- بـابٌ
من الشرك: إرادةُ الإنسان بعمله الدنيا

وَقَولُـهُ تَعَالَـى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٦﴾ [سورة هود ١٥، ١٦].

فِي «الصَّحِيحِ»[١] عَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَـمِ، تَعِسَ عَبْدُ الْـخَـمِيصَةِ، تَعِسَ عَبدُ الخَـمِيلَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَـمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ. طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ الله، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْـحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْـحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَـمْ يُؤْذَنْ لَـهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَـمْ يُشَفَّعْ».

التحليل: من: مفيدة للعموم وشرطية. **يريد الحياة الدنيا:** ثواب الدنيا. **وزينتها:** التمتع بزهرتها ولذاتها. **نوف:** بضم النون وتشديد الفاء مكسورة. نوفر لهم ثواب أعمالهم بالصحة والسرور، والأهل والمال والولد. **لا يبخسون:** لا ينقصون. **أولئك:** المشار إليهم هم الذين تقدم ذكرهم. **حبط ما صنعوا:** بطل ما فعلوا. **فيها:** في هذه الحياة، وقيل في الآخرة. **وباطل ما كانوا يعملون:** في هذه

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٧).

الحياة الدنيا. **تعس**: سقط وهلك إذا عثر وانكب على وجهه. **عبد الدينار**: عبد الذهب. **وتعس عبد الدرهم**: عبد الفضة والدينار والدرهم، نقود إسلامية معروفة في عهد الرسول ﷺ. **عبد الخميلة**: الخميلة ثوب من الخز، وقيل لا تسمى خميصة إلا إذا كانت معلمة من أي نوع كان. **انتكس**: انقلب على رأسه وهو دعاء عليه بالخيبة والاندحار. **وإذا شيك**: أصابته شوكة. **فلا انتقش**: فلا يقدر على إخراجها بالمنقاش. **طوبى**: اسم من أسماء الجنة، وقيل شجرة فيها ولا مانع من أن تكون للجنة وللشجرة، أو المعنى هنا طوبى طيب عمله. **آخذ بعنان فرسه في سبيل الله**: ممسك بعنان فرسه في الجهاد في سبيل الله. **أشعث رأسه**: أشعث مجرورة بالكسرة لأنها ممنوعة من الصرف، وهي صفة لعبد، ورأسه مرفوع على الفاعلية لأشعث، وهو المغبر الرأس. **مغبرة قدماه**: قد كثر الغبار على قدميه من كثرة جهاده ومصابرته في العمل في ذلك. وإعراب مغبرة قدماه: مثل أشعث رأسه. **إن كان في الحراسة**: بكسر الحاء، في حماية الجيش من أن يهجم عليهم عدو. **الساقة**: مؤخر الجيش، والمعنى أنه نافع سواء كان في الحراسة أو في مؤخرة الجيش يتفقد من يتأخر أو يحتاج إلى مساعدة. **إن استأذن**: على الأمراء ونحوهم. **لم يؤذن له**: لأنه ليس بذي جاه ولا شخصية بارزة. **وإن شفع**: بفتح الشين والفاء، لا جاه له عند الملوك ونحوهم. **لم يشفع**: بتشديد الفاء لعدم مكانته عندهم.

تنبيه: الفرق بين هذا الباب والباب الذي قبله، أن الأول مراد به التزيين والتصنع للناس في العبادة لأجل الثناء والمدح، وهذا يراد به أن يعمل صالحاً

لأجل تحصيل أمر دنيوي، كمن يجاهد للمغنم ويحج نائباً من أجل المادة التي يعطاها أو طالب علم وشهادة علم من أجل المادة التي يكتسبها في الحال أو المستقبل وغير ذلك، فهذا يأخذ بدلاً من الدنيا والأول مجرد ثناء ومدح وكل منهما منافي لكمال التوحيد.

الإجمالي: إن العبد ما خلق إلا ليعبد ربه عز وجل، ويخلص أعماله كلها له سبحانه، فلا يجعل الدنيا أكبر همه، ولا مبلغ عمله وعلمه ولا نهاية مقصده، فإن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا كراهية كاره ولا يكون الإنسان ممن يختل فيصبغ نفسه بصبغة الإيمان، وهو في الحقيقة قد اتصف بالنفاق، إنما عليه أن يجعل عمله خالصاً لله سبحانه وتعالى في جميع ميادين الحياة، وقد حذّرنا الله من العمل من أجل الدنيا لما في ذلك من العمل لغير الله، وحذّرنا رسول الهدى من الحرص على الدنيا حتى كأننا نعبد الدينار والدرهم وغير ذلك من الأموال، فلا يهمنا إلا ذلك فلا نلوي على شيء سواها، وهذا خطأ من بني الدنيا إنما على المسلم أن لا يغتر بالدنيا فيطلب بعمل الآخرة الدنيا، فإن ذلك من الشرك بالله الذي حرمه الله، وإن أبواب الرزق المباحة لمفتحة ليس دونها حجاب، فادخل من أيها شئت أيها المسلم، وابتغ من فضل الله تعالى، والله ذو الفضل العظيم.

تنبيه: إن الذي يطلب العلم وشهادة العلم من أجل أن ينفع وينتفع في دينه وفي دنياه مما يقوم بأموره التي يحتاجها في هذه الحياة في هذا العمل، فلا بأس بطلب ذلك بل مأجور مع الإخلاص في العمل والنية الصادقة.

الفوائد:

١- إن من أراد بعمله الدنيا وزينتها فإنها توفى له أعماله فيها وفي الآخرة حابط عمله لعمله لأجل الدنيا.

٢- إن من عمل عملاً صالحاً لأجل الدنيا فليس له إلا ما عمل من أجله فلا ثواب له في الآخرة.

٣- إن من جعل الدنيا أكبر همه فعبدها مع شدة حرصه عليها إنه هالك ومنتكس الرأي والدين.

٤- إن علامة عابد الدنيا إن أعطى منها رضي وإن لم يعط منها سخط.

٥- فضل من أخلص عمله لله مجاهداً في سبيل الله ابتغاء مرضاته وإن كان ليس له منزلة ولا جاه إلا عند خالقه ومولاه.

٦- إن مطابقة الآية والحديث للترجمة: أن من جعل الدنيا أكبر همه فلا يعمل إلا من أجلها وهو مأمور بعبادة ربه، وإن هذا مناف لكمال التوحيد، وقد ينافي أصله على حسب الاعتقاد.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

يريد الحياة الدنيا - وزينتها - نوف - لا يبخسون - أولئك - حبط - ما صنعوا - فيها - وباطل ما كانوا يعملون - تعس - عبد الدينار - والدرهم - عبد الخميلة - انتكس - وإذا شيك - فلا انتقش - طوبى - بعنان فرسه في سبيل الله - أشعث رأسه - مغبرة قدماه - مع إعراب الجملتين - إن كان في الحراسة - الساقة - إن استأذن - لم يؤذن له - وإن شفع - لم يشفع.

وما الفرق بين هذه الترجمة والتي قبلها في المعنى، وما حكم كل منهما نحو التوحيد، وما مطابقة الآية والحديث للترجمة.

واشرح بتعبيرك الخاص من عمل في هذه الحياة من أجل الدنيا، ومن عمل في هذه الحياة من أجل الآخرة.

قَالَ الإِمَامُ رَحِمَه اللهُ:

٣٧- بـابٌ
من أطاع العلماءَ والأمراءَ في تحريم ما أحلَّ اللّه أو تحليل ما حرَّم اللّه فقد اتخذهم أرباباً من دون اللّه

وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: يُوشِكُ أَن تَنزِلَ عَلَيكُم حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ! أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ، وَتَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكرٍ وَعُمَرُ؟.

وَقَالَ الإِمَامُ أَحمَدُ: عَجِبتُ لِقَومٍ عَرَفُوا الإِسنَادَ وَصِحَّتَهُ، وَيَذهَبُونَ إِلَى رَأيِ سُفيَانَ. والله تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة النور: ٦٣]، أَتَدرِي مَا الفِتنَةُ؟ الفِتنَةُ: الشِّركُ. لَعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعضَ قَولِهِ أَن يَقَعَ فِي قَلبِهِ شَيءٌ مِنَ الزَّيغِ فَيَهلِكَ.

عَن عَدِيِّ بنِ حَاتِمٍ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقرَأُ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة التوبة: ٣١]. فَقُلتُ لَهُ: إِنَّا لَسنَا نَعبُدُهُم. قَالَ: «أَلَيسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ الله فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ الله فَتُحِلُّونَهُ؟» فَقُلتُ: بَلَى. قَالَ: «فَتِلكَ عِبَادَتُهم» رَوَاهُ أَحمَدُ والتِّرمِذِيُّ[1] وَحَسَّنَهُ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥) وليس هو في «المسند».

التحليل: أطاع العلماء: انقاد لهم. **فقد**: الفاء واقعة في جواب (من) وقد حرف تحقيق. **اتخذهم**: جعل. **أرباباً**: الرب مالك الشيء وهو لا يكون للمخلوق إلا مضافاً ومناسباً وإلا فهو اسم من أسماء الله، وهو المراد هنا والمنهي عنه. **من دون الله**: يطيعونهم فيما أحلوا وحرموا. **يوشك**: يقرب وهو بضم الياء وكسر الشين. **حجارة من السماء**: عقوبة لكم. **عجبت**: يُقال عجبت من هذا إذا كان غريباً. **لقوم**: جماعة. **فتنة**: الفتنة الامتحان والاختبار. والمراد هنا الطبع على القلب فلا يؤمن. **أو يصيبهم**: عاجلاً في الدنيا. **عذاب أليم**: من الله مؤلم. **لعله**: لعل حرف ترجي، والضمير يعود على القائل. **إذا رد بعض قوله**: قول الرسول ﷺ. **أن يقع**: يسقط. **في قلبه شيء**: ولو قليلاً. **من الزيغ**: الميل عن الحق. **فيهلك**: بسببه. **أحبارهم**: الأحبار العلماء. **ورهبانهم**: الرهبان العباد. **المسيح**: سمي بذلك لأنه إذا مسح على الداء بيده برأ في الحال. **سبحانه**: تنزيهاً لله. **أليس**: الهمزة للاستفهام التقريري الإنكاري. **بلى**: كلمة جواب. والمراد من وضع هذه الترجمة أن طاعة العلماء والأمراء وغيرهم في معصية الله عبادة لهم من دون الله، وهذا مناف للتوحيد أو كماله.

الإجمالي: لما كانت الطاعة هي امتثال أمر الله واجتناب نهيه. وأنه لا يطاع أحد من الخلق إلا إن كانت طاعته مندرجة تحت طاعة الله، وإلا فلا تجب طاعة أحد استقلالاً كائناً ما كان، فجاء المصنف بهذه الترجمة المضمنة التحذير من الطاعة الخاصة التي في تحريم الحلال وتحليل الحرام لطاعة مخلوق في ذلك، إنما

الطاعة الصحيحة طاعة رسول الهدى الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، فمن أطاع مخلوقاً غير الرسول ﷺ فهو مشرك بالله لقول الله تعالى، في هذه الآية: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١]، فمتى ختمها بتنزيه نفسه عن الشرك والمشركين، وبين معنى هذه الآية ووضحها حديث عدي وهو تحريمهم للحلال وتحليلهم للحرام مع الطاعة لهم في ذلك، وهذا هو نتيجة التقليد الأعمى واتباع الأئمة المضلين والعباد الضالين، فما على المسلم إلا أن يقتدي بسيده محمد ﷺ ليكون من المهتدين الآمنين ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطفّفين: ٦].

الفوائد:

١- التحذير من طاعة أئمة الضلال في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله.

٢- التحذير من التقليد الأعمى لما في التقليد الأعمى من الشرك والحكم بغير ما أنزل الله.

٣- الوعيد على من خالف أمر الله في الإشراك معه غيره وارتكابه ما حرم الله تعالى.

٤- إنّ رد سنة محمد ﷺ موجب لزيغ القلب في ميله إلى الهلاك.

٥- أنه لا يغتر بالرهبان ولا ما ينسب إلى الأولياء وأهل الأسرار من الصوفية وغيرهم فيرجى منهم نفع أو دفع شر.

٦- أن مطابقة الآية والحديث للترجمة أن من خالف أمر الله وأطاع غيره في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله فقد اتخذه رباً من دون الله وهذا هو الشرك بالله، وهذا إما مناف لكمال التوحيد أو مناف لأصله على حسب الاعتقاد والعمل.

٧- إن من الفتنة أن يأخذ الإنسان بالتقليد ويترك الدليل. وما أكثر من هلك بسبب ذلك.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

أطاع الله - فقد - اتخذهم - أرباباً - من دون الله - يوشك - حجارة من السماء - عجبت - لقوم - عرفوا - الإسناد - فليحذر - فتنة - أو يصيبهم - لعله - إذا رد بعض قوله - أن يقع - في قلبه شيء - من الزيغ - فيهلك - أحبارهم - رهبانهم - المسيح.

اشرح بتعبيرك الخاص، حول التقليد الأعمى وترك الدليل.



قالَ الإمامُ رَحمَه اللهُ:

٣٨- بـابٌ

قَولُ الله تَعالَـى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا (٦١) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (٦٢)﴾ [سورة النساء: ٦٠-٦٢].

وَقَولُـهُ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١)﴾ [سورة البقرة: ١١].

وَقَولُـهُ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦)﴾ [سورة الأعراف: ٥٦].

وَقَولُـهُ: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠)﴾ [سورة المائدة: ٥٠].

عَن عَبدِالله بنِ عَمرو رَضِيَ اللهُ عَنـهُـما: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا يُؤمِنُ أَحَدُكُم حَتَّى يَكُونَ هَواهُ تِبعاً لِـما جِئتُ بِـهِ» قَالَ النَّوَوِيُّ: حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رُوِّيناهُ

فِي «كِتَابِ الحُجَّةِ» بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ[(١)].

وَقَالَ الشَّعبِي: كَانَ بَينَ رَجُلٍ مِنَ المُنَافِقِينَ وَرَجُلٍ مِنَ اليَهُودِ خُصُومَةٌ، فَقَالَ اليَهُودِيُّ: نَتَحَاكَمُ إِلَى مُحَمَّدٍ -لأَنَّهُ عَرَفَ أَنَّهُ لا يَأخُذُ الرَّشوَةَ- وَقَالَ المُنَافِقُ نَتَحَاكَمُ إِلَى اليَهُودِ -لِعِلمِهِ أَنَّهُم يَأخُذُونَ الرَّشوَةَ- فَاتَّفَقَا أَن يَأتِيَا كَاهِناً فِي جُهَينَةَ فَيَتَحَاكَمَا إِلَيهِ، فَنَزَلَت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ الآية [سورة النساء: ٦٠][(٢)].

وَقِيلَ: نَزَلَت فِي رَجُلَينِ اختَصَمَا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: نَتَرَافَعُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ الآخَرُ: إِلَى كَعبِ بنِ الأَشرَفِ. ثُمَّ تَرَافَعَا إِلَى عُمَرَ، فَذَكَرَ لَهُ أَحَدُهُمَا القِصَّةَ. فَقَالَ لِلَّذِي لَم يَرضَ بِرَسُولِ اللهِ: أَكَذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَم. فَضَرَبَهُ بِالسَّيفِ فَقَتَلَهُ[(٣)].

التحليل: ألم تر: استفهام تعجبي. **آمنوا**: صدقوا. **بما أنزل إليك**: القرآن. **وما أنزل من قبلك**: التوراة. **الطاغوت**: الشيطان وكل متجاوز للحد. **أن يكفروا**

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنَّة» (١٥) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ٣٦٩)، والبغوي في «شرح السنة» (١٠٤)، وسنده ضعيف. وانظر «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٣٩٣-٣٩٩) طبع مؤسسة الرسالة.

(٢) رواه الطبري (٥/ ٩٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (٣٢٩) وهو مرسل.

(٣) علقه الواحدي (٣٣٠) والبغوي في «تفسيره» (١/ ٥٥٢) من طريق محمد الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وهذا السند تالف موضوع. فالكلبي متهم بالكذب، وشيخه أبو صالح -واسمه باذام- ضعيف بمرة، وليس هذا فحسب، بل قال ابنُ حبان: لم يسمع من ابن عباس.

به: لا يوالونه، والكفر الجحود. **الضلال**: البعد عن الحق، وهو ضد الرشاد، **تعالوا**: هلموا وأقبلوا. **المنافقين**: جمع منافق وهو الذي يظهر خلاف ما بطن. **رأيت**: أبصرت. **يصدون**: يعرضون. **صدودا**: مصدر للتأكيد والمبالغة. **فكيف**: أي يصنعون. وكيف اسم استفهام وهنا للإنكار. **مصيبة**: عقوبة. **بما قدمت أيديهم**: من الكفر والمعاصي. **يحلفون**: يقسمون. **إحساناً**: خيراً. **توفيقاً**: تأليفاً. **عظهم**: الوعظ، النصح والتخويف بعواقب الأمور. **بليغاً**: فصيحاً مؤثراً. **إلا ليطاع**: إلا لطاعته فيما يأمر به ويحكم، واللام لام كي. **بإذن الله**: بأمر الله. **تفسدوا**: الفساد، خروج الشيء عن حالته اللائقة به، وهو ضد الصلاح. **أفحكم الجاهلية**: الهمزة للاستفهام الإنكاري. وحكَمَ: قضى، والجاهلية نسبة إلى الجهل فيما قبل الإسلام. **يبغون**: يريدون. **لا يؤمن**: الإيمان الكامل الذي لا يشوبه شرك ولا معصية. **حتى**: حرف غاية. **يكون هواه**: الذي يهواه، والهوى بالقصر ما يهواه الإنسان محبة وميول إليه في قصده. **لما جئت به**: من الهدى والنور. **الشعبي**: تابعي عالم زمانه وكان حافظ علامة.

تنبيه: الآية الأولى: اشتملت على أربعة أمور في التحاكم إلى غير شرع الله:

١ - أنه من إرادة الشيطان.

٢ - أنه ضلال.

٣ - تأكيده بالمصدر.

٤ - وصفه بالبعد.

والمراد من وضع هذه الترجمة: (أن التحاكم إلى غير الله من الشرك بالله).

والزعم يعبر به غالباً عن من هو كاذب في دعواه.

الإجمالي: إن الله سبحانه هو الذي خلق بني الإنسان وهو الحاكم بينهم في الدنيا والآخرة، فهو سبحانه وتعالى هو الحَكَمُ وإليه الحُكمُ يفعل ما يشاء ويختار، فلا يُعدل عن حكمه إلى حكم مخلوقٍ من مخلوقاته استهانة بأمره وتبركاً بطاعة غيره، ومرتكباً أعظم الجرائم، وهو الحكم بغير ما أنزل الله حكم الطاغوت الشيطان. وهو الذي وآزروه ووالوه في هذا الميدان المفيد الشرك بالله الذي لا يغفره الله والتعطيل لأحكام الله التي شرعها لعباده فما على المسلم إلا أن يحكِّم شرع الله الذي أنزله على رسوله ﷺ ولا يخرج عنه إلى غيره لأي رأي من الآراء وحكماً من الأحكام، وإن حسنته العقول الفاسدة والقلوب الزائفة التي لا تؤمن بالله لا تؤمن إلا بالكفر والإلحاد وما حسنته العقول مبتعدة عن الإيمان بالله واليوم الآخر، ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾ [النساء: ٣٨].

الفوائد:

١- تحريم الحكم بغير ما أنزل الله وأنه لا يدعى إلى الحكم بغير ما أنزل الله لأنه شرك بالله.

٢- الأمر بالكفر بالطاغوت وأن من طلب التحاكم إليه فقد أضله الشيطان ضلالاً بعيداً عن الحق مع إيمانه بالطاغوت.

٣- أن من حكم بغير ما أنزل الله استحساناً فهو في الحقيقة من المفسدين في الأرض وفيه شبه من المنافقين.

٤- نفي الإيمان عن من لم يحكم بما أنزل الله على الرسول ﷺ.

٥- أنه لا أعدل من حكم الله لمن آمن بالله وبحكمه.

٦- مطابقة الآيات للترجمة أن التحاكم إلى غير شرع الله من صفات المنافقين الذين لا يؤمنون بالله فهو مناف للتوحيد ومطابقة الحديث أنه لا يؤمن الإيمان الحقيقي، إلا من كان هواه تبعاً لما جاء به محمد ﷺ، ومن المخالف لذلك الحكم بغير ما أنزل الله.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

ألم تر - آمنوا - بما أنزل إليك - وما أنزل من قبلك - الطاغوت - أن يكفروا به - الضلال - تعالوا - رأيت - يصدون - صدودا - فكيف - مصيبة - بما قدمت أيديهم - يحلفون - إحساناً - توفيقاً - عظهم - بليغاً - إلا ليطاع - بإذن الله - تفسدوا - ادعوه - خوفاً - وطمعاً - أفحكم الجاهلية - يبغون - ومن أحسن - لقوم - يوقنون - هل أحسن على بابها - لا يؤمن أحدكم - هواه - تبعاً لما جئت به.

اشتملت الآية الأولى على أربعة أمور في التحاكم إلى غير شرع الله، فما هي، وما سبب نزولها، وما المراد من وضع هذا الباب، وما مناسبة الآيات والحديث للترجمة.

اشرح بأسلوبك الخاص، الحكم بما أنزل الله والحكم بغير ما أنزل الله مظهراً شعورك الصحيح نحو الهدف السامي في هذه الحياة تحت ظلال السنن المطهرة.

قَالَ الإمامُ رَحمَه اللهُ:

٣٩- بـابٌ
مَن جَحَدَ شَيئاً مِنَ الأَسماءِ وَالصِّفَاتِ

وَقَولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الرعد: ٣٠].

وَفِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ»[1]: قَالَ عَلِيٌّ: حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ؟!.

وَرَوَى عَبدُالرَّزَّاقِ[2] عَن مَعمَرٍ عَن ابنِ طَاوسٍ عَن أَبِيهِ عَن ابنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ رَأَى رَجُلاً انتَفَضَ -لَمَّا سَمِعَ حَدِيثاً عن النَّبِيِّ ﷺ فِي الصِّفَاتِ- استِنكَاراً لِذَلِكَ فَقَالَ: مَا فَرَقُ هَؤُلَاءِ؟ يَجِدُونَ رِقَّةً عَن مُحكَمِهِ، وَيَهلِكُونَ عِندَ مُتَشَابِهِهِ. انتَهَى.

وَلَمَّا سَمِعَت قُرَيش رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذكُرُ الرَّحمنَ أَنكَرُوا ذَلِكَ، فَأَنزَلَ اللهُ فِيهِم ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ [سورة الرعد: ٣٠][3].

التحليل: وهم: كفار قريش الذين أنكروا اسم الله الرحمن. والكفر: جحود الشيء وستره وتغطيته. عليه توكلت: اعتمدت وأنبت. وإليه متاب:

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٧).

(٢) في «جامع معمر» برقم (٢٠٨٩٥).

(٣) انظر «تفسير الطبري» (١٣/ ١٥٠).

مرجعي إلى الله. **حدثوا الناس**: أخبروهم. **بما يعرفون**: بالذي يفهمونه في أصل دينهم وأحكامهم. **أتريدون**: الهمزة للاستفهام الإنكاري، أترغبون. **أن يكذب الله ورسوله**: برد الحق والإيمان. **انتفض**: اضطرب وارتعد إنكاراً لتلك الصفات. **وما**: حرف استفهام إنكار. **الفرق**: الخوف والفزع. **رقة**: الرقة واللين والإذعان. **محكمه**: المحكم الواضح البين من الآيات والأحاديث. **المتشابه**: المجمل المحتمل لمعنيين أو معاني، المراد بالأسماء والصفات: أسماء الله وصفاته وأن من جحد منها شيئاً فقد نقص توحيده أو انتفى بالكلية وهذا المراد من وضع هذه الترجمة وسبب نزول هذه الآية: أن مشركي قريش جحدوا اسم الرحمن عناداً فأنزل الله هذه الآية. فالرحمن اسمه وصفته خلافاً للجهمية ومن وافقهم فقد جحدوا ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ.

الإجمالي: إن لله الأسماء الحسنى وصفات الكمال المنزه عن النقائص والعيوب فعلى كل مسلم أن يثبت له ما أثبته لنفسه وما وصفه به رسوله ﷺ إثباتاً يليق بجلاله وعظمته تنزيهاً من دون تعطيل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، فلا يعطل كما عطله أهل الآراء والمفاهيم الخاطئة القاصرة وأهل العقائد الفاسدة الذين جعلوه كالمعدوم ولا يشبه الله بخلقه فيجعل كالمخلوق في صفاته وأفعاله ولا يجعل معه شريكاً في عبادته بل يثبت لله ما أثبته لنفسه ويعتقد ذلك اعتقاداً جازماً لا يتخلله شك أو ريب حتى نسير في ذلك تحت ظل الكتاب والسنة فلا نجحد شيئاً من أسمائه وصفاته قد ثبت فيهما نصٌّ لنسلك الصراط المستقيم بنور الحق واليقين.

الفوائد:

١- أنه لا يُـجْحَدُ شيءٌ من أسماء الله وصفاته خلافاً لمن جحدها أو بعضها.

٢- الاعتراف بتوحيد الله سبحانه وتعالى في عبادته واعتقاد ذلك.

٣- أن الإنسان لا يتوكل إلا على الله وحده وإن التوكل عليه عبادة.

٤- أن لا يحدث الناس إلا بما يعرفونه ويفهمونه من أمر دينهم ودنياهم من حلال وحرام.

٥- أن الحديث بما لا يفهمونه سبب لتكذيب الله ورسوله.

٦- الإيمان بمحكم القرآن ومتشابهه.

٧- أن من أنكر شيئاً من الأسماء والصفات فهو من الهالكين.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

وهم - يكفرون - بالرحمن - عليه توكلت - متاب - حدثوا الناس - بما يعرفون - أتريدون - أن يكذب الله ورسوله - انتفض - ما - فرق - رقة - محكمه - متشابهه.

ما المراد بالأسماء والصفات؟ وما حكم من جحد الأسماء والصفات؟

وما المراد من وضع هذه الترجمة؟ وما سبب نزول الآية؟

اشرح بتعبيرك الصحيح ما فهمته من هذه الترجمة من الاعتقاد بأسماء الله وصفاته.

قَالَ الإِمَامُ رَحِمَهُ اللهُ:

٤٠- بـابٌ

قَولُ الله تَعالَى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [سورة النحل: ٨٣].

قَالَ مُـجَاهِدٌ مَا مَعنَاهُ: هُوَ قَولُ الرَّجُلِ: هَذَا مَالِي، وَرِثتُـهُ عَن آبَائِي[١].

وَقَالَ عَونُ بنُ عَبدِالله: يَقُولُونَ: لَولَا فُلَانٌ، لَـم يَكُن كَذَا[٢].

وَقَالَ ابْنُ قُتَيبَةَ: يَقُولُونَ: هَذَا بِشَفَاعَةِ آلِـهَتِنَا.

وَقَالَ أَبو العَبَّاسِ -بَعدَ حَدِيثِ زَيْد بن خَالِد الَّذِي فِيهِ: «أَنَّ الله تَعالَى قَالَ: أَصبَحَ مِن عِبادِي مُؤمِنٌ بِي وَكَافِر» الحَدِيث وَقَد تَقَدَّمَ[٣]: وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، يَذُمُّ سُبحَانَـهُ مَنْ يُضِيفُ إِنعَامَهُ إِلى غَيرِهِ وَيُشرِكُ بِـهِ.

قَالَ بَعضُ السَّلَفِ: هُوَ كَقَولهم: كَانَت الرِّيحُ طَيبَةً، وَالمَلَّاحُ حَاذِقاً، وَنَحوِ ذَلِكَ مِـمَّا هُوَ جَارٍ عَلَـى أَلسِنَةِ كَثِيرٍ.

التحليل: **يعرفون:** يعلموا كفار قريش. **نعمة الله:** بأنه هو المنعم المتفضل عليهم. **ثم ينكرونها:** فيزعمون أنهم ورثوها عن آبائهم. **أصبح من عبادي:** الحديث قد تقدم معناه في باب الأنواء. **الملاح:** قائد السفينة. **والحاذق:** الماهر في

---

(١) رواه الطبري (١٤/ ١٥٨).

(٢) رواه الطبري (١٤/ ١٥٨).

(٣) تقدم في باب (٢٩): باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء. وانظر تخريجه هناك.

عمله. ومناسبة إدخال هذا الباب في كتاب التوحيد: أن من أنكر نعمة الله عليه وينسبها إلى نفسه والأسباب التي منه ومن غيره فهذا جحد تفضل الله عليه فهو مناف لكمال التوحيد.

الشرح الإجمالي: إن الكفر بنعمة الله بإضافتها إلى غير الله من الشرك بالله وجحود نعمته وفضله وآلائه على عباده التي لا تحصى ولا تعد فلا عقل لمن يضيف نعم الله إلى آرائه التي ينظر إليها نظرة كمال أو إلى أسبابه أو إلى أسباب غيره وقوته إنما على المرء الاعتراف لربه بأنه هو المنعم المتفضل على عباده فهو الذي يدبر لهم الأسباب نحو الرزق ومتطلباته ليصل كل إنسان إلى ما قدره الله له في هذه الحياة من مكاسب الدنيا. فما على المسلم إلا أن يفعل الأسباب ويتوكل على ربه ويعبده وحده والله هو الكفيل برزقه وهو المعبود بكل مكان ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت: ١٧].

الفوائد:

١- ذم من عرف نعم الله عليه وكفر بإنكارها بأقواله أو لسان حاله.

٢- ذم نسبة النعم إلى النفس والأسباب أو إلى أحد غير الله.

٣- أن من عباد الله من هو مؤمن بالله ومن هو كافر بالله.

٤- أنه لا يجتمع الضدين فلا يجتمع الإيمان بالله الكامل والشرك الأصغر بالله في قلب الإنسان.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

يعرفون - نعمة الله - ينكرونها - الملاح - حاذقاً - وما المراد من وضع هذا الباب في التوحيد.

قَالَ الإمامُ رَحِمَه اللهُ:

٤١- بـابٌ

قَولُ الله تَعَالَـى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٢].

قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ فِي الآيَةِ: الأنْدَادُ: هُوَ الشِّركُ، أَخفَى مِن دَبِيبِ النَّملِ عَلَـى صَفاةٍ سَودَاءَ فِي ظُلْـمَةِ اللَّيلِ. وَهُوَ أَن تَقُولَ: وَالله وحياتِكَ يَا فُلَانُ، وَحَياتِي وَتَقُولَ: لَولَا كُلَيبَةُ هَذَا لأَتَانا اللُّصُوصُ. وَلَولَا البَطُّ فِي الدَّارِ لأَتَانا اللُّصُوصُ. وَقَولُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِـهِ: مَا شَاءَ الله وَشِئتَ. وَقَولُ الرَّجُلِ: لَولَا الله وَفُلَانٌ. لَا تَـجعَل فِيهَا فُلَاناً؛ هَذَا كُلُّـهُ بِـهِ شِركٌ. رَوَاهُ ابنُ أَبِي حَاتِـم[(١)].

وَعَن عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنـهُ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَن حَلَفَ بِغَيرِ الله فَقَد كَفَرَ، أَو أَشرَك» رَوَاهُ التِّـرمِذِيُّ[(٢)] وَحَسَّنَـهُ، وَصَحَّحَهُ الحَاكِمُ[(٣)].

وَقَالَ ابنُ مَسعُودٍ: لأَن أَحلِفَ بِالله كَاذِباً أَحَبُّ إِلَيَّ مِن أَن أَحلِفَ بِغَيرِهِ صَادِقاً[(٤)].

---

(١) برقم (٢٢٩).

(٢) الترمذي (١٥٣٥) وأبو داود (٣٢٥١) وأحمد (٢/ ٣٤ و٨٦).

(٣) في «المستدرك» (١/ ١٨ و٤/ ٢٩٧).

(٤) أخرجه عبدالرزاق (١٥٩٢٩) وابن أبي شيبة (١٢٢٨١) والطبراني (٨٩٠٢).

وَعَن حُذَيفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَفُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ مَا شَاءَ فُلَانٌ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ[(١)] بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

وَجَاءَ عَن إِبرَاهِيمَ النَّخعِي: أَنَّـهُ يَكرَهُ أَن يَقُولَ: أَعُوذُ بِاللهِ وَبِكَ، وَيَـجُوزُ أَن يَقُولَ: بِاللهِ ثُمَّ بِكَ. قَالَ: وَيَقُولُ: لَولَا اللهُ ثُمَّ فُلَانٌ. وَلَا تَقُولُوا: وَلَولَا اللهُ وَفَلَانٌ.

التحليل: أنداداً: جمع ند، وهو المثل والنظير. **وجعل الند**: أن تصرف العبادة أو شيءٌ منها لغير الله. **وأنتم تعلمون**: أن توحيد الله هو الحق الذي لا شكّ فيه. وفسر ابن عباس الأنداد في الآية هو الشرك الأصغر. **أخفى من دبيب النمل**: مشي النمل، والنمل معروف. **على صفاة سوداء**: صخرة ملساء. وسوداء صفة لها. **في ظلمة الليل**: في ظلام الليل والظلام ضد النور فإذا اجتمع دبيب نمل أسود على صفاة سوداء وملساء في ليلة ظلماء فما أشد من خفاء ذلك. ومراد ابن عباس بهذا الوصف للشرك الأصغر لكثرة جريانه على السنة من دون أن يشعروا به ليبتعدوا منه.

والله: حلف بالله. **وحياتك يا فلان**: قسم بحياة فلان. **وحياتي**: قسم بحياتي. **اللصوص**: جمع لص وهو من يتعدى بأخذ السرقة في مال غيره. **البط**: لا واحد له من لفظه وهو طيور الماء معروفة. **كليبة**: تصغير كلبة، والقسم في قوله لولا... إلخ مقدر، واللام في قوله لأتانا واقعة في جواب القسم. وفي ذلك إسناده وجود الأشياء وعدمها وحمايتها على غير الله. **ولولا الله وفلان**: هذا تسوية المخلوق للخالق لأن الواو تقتضي المساواة وكل ما تقدم من الحلف من الشرك الأصغر،

---

(١) برقم (٤٩٨٠).

من حلف بغير الله: أقسم بأي مخلوق. **فقد كفر**: بالله، ومن: مفيدة للعموم وشرطية، وقد: حرف تحقيق. **أو شرك**: أو شك من الراوي أو هي بمعنى الواو والمعنى كفر وأشرك. والمراد بهذا الشرك الأصغر الذي لا يخرج من الملة وكونه شركاً لتعظيم المحلوف به كتعظيم الله وقد يؤول إلى الشرك الأكبر، إذا اعتقد أن للمحلوف به تأثيراً في نفع أو دفع ضر. **لأن أحلف بالله**: اللام واقعة في جواب قسم مقدر (والله) **لأن أحلف**: لأن الحلف شرك أصغر والشرك الأصغر أعظم ذنباً من الكذب. **لا تقولوا**: لا ناهية، **ما شاء الله وفلان**: لأن المعطوف بالواو يقتضي المساواة. ولكن قل ما شاء الله وحده، لا شريك له بخلاف العطف، فلا بأس لأن المعطوف متراخياً عن المعطوف عليه فصار له تبعاً. **أعوذ**: ألوذ وألتجيء، **بالله ثم بك**: إذا كان المخاطب حيًّا قادراً جاز تلك وإن كان عاجزاً أو غائباً أو ميتاً فلا يجوز.

ومراد المؤلف من هذا الباب بيان الألفاظ الجارية على ألسنة الجهال المحرمة ليجتنبوها.

الإجمالي: لما كان الشرك الأصغر القولي كان يجري على ألسنة كثير من الناس وخصوصاً الجهال وهم لا يشعرون بتحريمه حذر ابن عباس منه بقوله إنه أخفى ما يكون سريانه إلى بني الإنسان من مشي النملة السوداء على الصخرة الملساء في الليلة الظلماء كما أن العطف بالواو في قول ما شاء الله وشئت ونحو ذلك شرك بخلافه العطف بثم لأنها تكون مشيئة المخلوق تابعة لمشيئة الله وكما أننا لا نلتجئ إلا على الله ولا نعتصم إلا به لا بغيره، لأن ذلك كله من حقه، فلا

تعظيم لمخلوق فيما كان من حق الخالق أبداً ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤﴾ [الأعلى: ٢-٤] والذي لا إله غيره ولا رب سواه.

الفوائد:

١- النهي عن اتخاذ الأنداد والشركاء مع الله وأن من الند ما يكون شركاً أصغر.

٢- أن الشرك الأصغر ما يخفى على كثير من الناس حتى ممن يدعون تحقيق التوحيد.

٣- أن الحلف بغير الله من الشرك بالله لتعظيم المحلوف به.

٤- أن الحلف بالله وبالمخلوق بالعطف بالواو من الشرك.

٥- النهي عن قول لولا فلان أو لولا البط لأتانا اللصوص ونحو ذلك.

٦- أنه لا يجوز قول لولا الله وفلان ويجوز لولا الله ثم فلان.

٧- أنه لا يجوز قول أعوذ بالله وبك ويجوز أعوذ بالله ثم بك من كذا.

٨- أن الحلف بالله كاذباً أخف ذنباً من الحلف بغير الله صادقاً.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

أندادا - ما معنى جعل الند - وأنتم تعلمون - ماذا فسر ابن عباس الأنداد المذكورة في هذه الآية. وما مراد ابن عباس بهذا الوصف - صفاة - سوداء - والله - وحياتك - وحياتي - اللصوص - البط - كليبة.

ما معنى اللام في قوله لأتانا اللصوص؟ وما حكمة النهي في ذلك؟

ولولا الله وفلان - من حلف بغير الله - فقد كفر - من - قد - أو شرك - ولماذا كفر أو أشرك - لأن أحلف بالله.

لماذا فضل ابن مسعود الحلف بالله كاذباً على الحلف بغير الله صادقاً؟

لا تقولوا - ما شاء الله وشاء فلان - ولكن قل ما شاء وحده - أعوذ - بالله ثم بك - وما مراد المؤلف من وضع هذه الترجمة.

اشرح ما فهمت من هذا الباب مما يقدح في التوحيد وما يحققه.



قَالَ الإمامُ رَحِمَه اللهُ:

٤٢- بـابٌ
ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف باللّه

عَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُـما: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا تَـحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِالله فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَـهُ بِالله فَلْيَـرْضَ، وَمَنْ لَـمْ يَـرْضَ فَلَيْسَ مِنَ الله». رَوَاهُ ابنُ مَاجَه[1] بِسَنَدٍ حَسَنٍ.

التحليل: فليصدق: الصدق القول بالواقع وهو ضد الكذب. فليرض: الرضا ضد السخط. **فليس من الله**: ليس على طريقة محمد ﷺ والفاء في المواضع الثلاثة واقعة في جواب (من) واللام في المواضع الثلاثة لام النهي. ومراد المؤلف من وضع هذه الترجمة أن من لم يقنع بالحلف فليس لله عظمة في قلبه ومن كذب في حلفه فهو كذلك، فكلٌّ ناقض التوحيد. ومناسبة الحديث للباب بيان حكم الحلف بالله.

الإجمالي: إن الشريعة المطهرة لترمي أولاً وقبل كل شيء إلى تعظيم رب العزة والجلال وتهدف ثانياً إلى التواضع وتأليف القلوب والاجتماع على طاعة الله والاتصاف بحسن الخلق الذي هو أسمى مناقب بني الإنسان، لذا فإن رسول الهدى ينهى عن الحلف بغير الله كالحلف بالآباء وينبغي على مَن حَلَف بالله أن

---

(١) برقم (٢١٠١).

يصدق أخاه المسلم ومن حُلِف له بالله فليرض تعظيماً لله وإحسان ظن بالمسلم ولما في ذلك من الحكم والأسرار السابقة وغيرها.

الفوائد:

١- النهي عن الحلف بالآباء لأنه حلف بغير الله وهو من الشرك الأصغر.

٢- أمر المحلوف له بالله أن يصدق الحالف ويرضى بيمينه.

٣- الوعيد على من لم يرض بالحلف بالله لأنه لم يكن في قلبه تعظيم لله.

٤- أن في التصديق والرضا بالحلف التآلف والاجتماع على طاعة الله.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

فليصدق - فليرض - فليس من الله - ما معنى الفاء واللام في المواضع الثلاثة، وما مراد المؤلف من وضع هذه الترجمة وما مناسبة الحديث لها.

اشرح بتعبيرك الصحيح ما فهمته من عظمة الحلف بالله.



قالَ الإمامُ رَحمه اللهُ:

٤٣- بـابٌ
قول ما شاء اللّه وشئتَ

قلت: أفرد المصنف هذا العنوان مع أنه مضى معناه في باب: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢]، لأهميته، فكثرة النصوص فيه وكثرة استعمال المشيئة مع الله، وهي لا تجوز إلا بعد (ثم).

عَن قُتَيلَةَ: أَنَّ يَـهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقالَ: إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ؛ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ الله وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ. فَأَمَرَهُـمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذا أَرادُوا أَنْ يَـحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَأَن يَقُولُوا: مَا شَاءَ الله ثُمَّ شِئْتَ. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ[1] وَصَحَّحَهُ.

وَلَـهُ[2] أَيضاً عَن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُما: أَنَّ رَجُلاً قَالَ للنَّبِيِّ ﷺ: مَا شَاءَ الله وَشِئتَ، فَقَالَ: «أَجَعَلتَنِي لله نِدّاً؟ مَا شَاءَ الله وَحدَهُ».

وَلابنِ مَاجه[3]: عَن الطُّفَيلِ -أَخِي عَائِشَةَ لأُمِّهَا- قَالَ: رَأَيتُ كَأَنِّي أَتَيتُ عَلَـى نَفَرٍ مِنَ الْيَـهُودِ؛ فَقُلْتُ: إِنَّكُم لأَنْتُـمْ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: عُزَيْـرٌ ابْنُ الله. قَالُوا: وَإِنَّكُمْ لأَنتُـم الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُم تَقُولُونَ: مَا شَاءَ الله وَشَاءَ مُـحَـمَّدٌ.

---

(١) برقم (٣٧٧٣).

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى» (١٠٨٢٥).

(٣) أخرجه ابن ماجه مختصراً (٢١١٨م)، وأحمد (٥/ ٧٢ و٣٩٨)، وهو صحيح.

ثُمَّ مَررتُ بِنَفَرٍ مِنَ النَّصَارَى، فَقُلت: إِنَّكُم لأَنْتُـمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُم تَقُولُونَ: الْـمَسِيحُ ابْنُ الله. قَالَوا: وَإِنَّكُمْ لأَنتُـم الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ الله وَشَاءَ مُـحَـمَّدٌ.

فَلَـمَّا أَصْبَحتُ أَخْبَرتُ بِـهَا مَنْ أَخْبَرت، ثُمَّ أَتَيتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرتُـهُ، قَالَ: «هَلْ أَخْبَرْتَ بِـهَا أَحَدًا؟» قُلتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَحَـمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْـهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعدُ؛ فَإِنَّ طُفَيْلاً رَأَى رُؤْيَا أَخْبَرَ بِـهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ، وَإِنَّكُمْ قُلتُـم كَلِـمَةً كَانَ يَـمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أَنْـهَاكُمْ عَنْـهَا، فَلَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ الله وَشَاءَ مُـحَـمَّدٌ، وَلكِن قُولُوا: مَا شَاءَ الله وَحدَهُ».

التحليل: شاء الله: المشيئة الإرادة. والكعبة: قسم بالبيت العتيق. أجعلتني: أصيرتني والهمزة للاستفهام الإنكاري. الند: المثيل والنظير. رأيت: رؤيا حلم في المنام. نفراً: النفر العدد من الثلاثة إلى العشرة. نعم: كلمة جواب. أما: حرف تفصيل. وبعد: حرف خطاب ينتقل به من أسلوب إلى آخر. كذا وكذا: كناية عن الشيء المبهم. الفرق بين مشيئة الله ومشيئة العبد أنّ مشيئة الله ما شاءه كان وما لم يشاءه لم يكن، أما مشيئة العبد فلا تكون إلا بعد مشيئة الله. والجملة بين ما شاء الله ثم شئت وقوله ما شاء الله وحده: أن الأولى دالة على الجواز والثانية دالة على الكمال. والأخيرة أبلغ في حمى التوحيد. والذي منعه في قوله يمنعني: الحياء لأنه كاره هذا الكلام المتضمن الشرك فاستحيى أن ينهى عن شيء لم يؤمر به وقيل غير ذلك.

ومناسبة الحديث للترجمة لبيان حكم المشيئة الصحيحة من الممنوعة فيه.

الإجمالي: لما كانت مشيئة المخلوق تابعة لمشيئة الله وكان العطف بالواو يفيد الاشتراك والمعية ومشيئة الله لا يضاهيها مشيئة مخلوق كان رسول الهدى لما سمع هذه الرؤيا بتمامها من الطفيل خطب الناس وقرأ عليهم تلك الرؤيا التي كانت فيها المباهلة التي كلها فوائد لبني الإنسان من ابتعادهم عن الشرك صغيره وكبيره.

وبادر ﷺ إلى تعديل الخطأ بإزالته بتنفيذ الحق فأمر أن يحلف برب الكعبة وبالعطف بثم التي تخرج المشاركة مع الله ولما قيل له ﷺ ما شاء الله وشئت قال لقائل هذه المقالة: أجعلتني لله ندًّا بل ما شاء الله وحده فما على العبد إلا أن يؤمن بما في هذه الرؤيا الحق التي أقرها وحققها سيد الأمة محمد ﷺ ونزهها عن الشرك الأصغر منه والأكبر وليكون من ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الأحقاف: ١٣].

الفوائد:

١ - النهي عن قول ما شاء الله وشئت وأن يقول ما شاء الله وحده.

٢ - النهي عن الحلف بالكعبة مع أنها بيت الله ومقصد لكل حاج ومعتمر، ومع ذلك أن من حلف بها فقد أشرك.

٣ - وأن الحق يقبل ممن جاء به وأن اليهود قد فهموا الشرك.

٤ - أن مشيئة المخلوق تابعة لمشيئة الله ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، خلافاً للقدرية والمعتزلة الذين يثبتون للعبد مشيئة تستقل بذاتها عن مشيئة الخالق.

٥- أن الرؤيا الصالحة تعتبر من أقسام الوحي فيعمل بما جاء بها.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

شاء الله - والكعبة - أجعلتني - وما معنى الهمزة هنا - ندًّا - رأيت - نفر - نعم - أما - وبعد - كذا وكذا.

ما الفرق بين مشيئة الله ومشيئة العبد وما الجمع بين ما شاء الله ثم شئت، وقوله ما شاء الله وحده - وما الذي منعه في قوله يمنعني؟

وما مناسبة الحديث للترجمة - وما حكم من قال المسيح أو عزير ابن الله - وما المراد من هذه الترجمة مع أنه قد مضى معناها.

قَالَ الإِمامُ رَحِمَه اللهُ:

٤٤- بـابٌ
مَنْ سبَّ الدَّهرَ فقد آذى اللّـه

وَقَولُ الله تَعالَـى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الجاثية: ٢٤].

فِي «الصَّحِيحِ»(١) عَن أَبِي هُرَيرَةَ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ الله تَعالَـى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ؛ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ؛ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّـهَارَ».

وَفِي رِوَايَةٍ(٢): «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ».

التحليل: ما: نافية. الدهر: الزمان. يظنون: يتوهمون ويتخيلون. والظن: ضد اليقين. نموت ونحيا: يموت قوم ويحيا آخرون أو نموت ويحيا أولادنا بعدنا وهكذا فلا تنتهي الدنيا. وما يهلكنا إلا الدهر: لا رب العزة والجلال.

ورد الله عليهم بقوله: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الجاثية: ٢٤]، فليس عندهم حجة ولا برهان ولا يقين بل ظن وتخمين. يؤذيني: الإيذاء بالعيب والشتم، والله لا يضره ذلك فالله أعلم بكيفية هذا الإيذاء. إنما صار سب الدهر إيذاءً لأن الدهر مخلوق مسخر لله فمن سبّه فقد سبّ خالقه ومدبره وهو الله وليس الدهر من أسماء الله بل الله مالك للدهر ومدبره كالأمور الأخرى.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٢٦) ومسلم (٢٢٤٦).

(٢) لمسلم (٢٢٤٦).

ومراد المؤلف من وضع هذه الترجمة: أن من سب الدهر فقد سب الله لأن الله هو المتصرف فيه ففيه منافاة لكمال التوحيد. والشاهد من الآية قوله تعالى: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤].

والشاهد من الحديث للترجمة ذكر النهي عن سب الدهر. والذين قالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا. هم مشركوا العرب ومن وافقهم من الملحدين والمنكرين للبعث والجزاء.

الإجمالي: إن الدهر وهو الزمان المتعاقب في الليل والنهار لمن مخلوقات الله وهو الذي جعل فيه الجديدين الليل والنهار ﴿خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾ [الفرقان: ٦٢]، فمن سب الدهر الذي جعله الله ميداناً لعباده المؤمنين يعبدون الله فيه ليفوزوا في معادهم لا أنه اسم من أسماء الله ولا أنه يحيي ويميت وليس ثم بعث ولا نشور على حد قول واعتقاد الملحدين والمنكرين للبعث ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطفِّفين: ٦]، فها هو رب العزة والجلال ينكر عليهم هذا الادعاء والاعتقاد الفاسد بقوله: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الجاثية: ٢٤]، في زعمهم الباطل، فما على المرأ إلا أن يكون على بصيرة من أمر دينه حتى لا تزعزعه زوبعات الأهواء والشكوك فيقع في حبائل الملحدين الطبائعيين فيهلك هلاكاً لا فوز بعده أبداً.

الفوائد:

١- أن مشركي العرب في الجاهلية ينكرون البعث والنشور وأنه ليس لهم حساب ولا عذاب ولا يهلكهم إلا الدهر.

٢- أن الملحدين الطبائعيين ينكرون حتى وجود الله لا كثّرهم الله، وأنه لا يهلكهم إلا الدهر ولا يحييهم إلا الطبيعة قاتلهم الله أنى يؤفكون.

٣- أنه لا مستند لكل منهم على دعواهم ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الجاثية: ٢٤]، في زعمهم الباطل.

٤- النهي عن سب الدهر وأن من سب الدهر فقد آذى الله.

٥- أن الدهر هو تعاقب الليل والنهار لا أنه اسم من أسماء الله خلافاً لمن قال بذلك.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

ما - الدهر - يظنون - نموت ونحيا - وما يهلكنا إلا الدهر - ماذا رد الله عليهم - يؤذيني - وما هو الإيذاء له - وهل الدهر اسم من أسماء الله وماذا؟

وما مراد المؤلف من وضع هذه الترجمة - وما الشاهد من الآية؟

وما الشاهد من الحديث - ومن الذين قالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا... إلخ؟

وما حكم من أنكر البعث والنشور والحساب والجزاء؟

قَالَ الإِمَامُ رَحِمَه اللهُ:

٤٥- بـابٌ
التسمي بقاضي القضاة ونحوه

فِي «الصَّحِيحِ»[١]، عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ الله، رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلَاكِ، لَا مَالِكَ إِلَّا اللهُ».

قَالَ سُفيَان: مِثْلُ شَاهَانْ شَاهْ[٢].

وَفِي رِوَايَةٍ[٣]: «أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَـى الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْبَثُهُ».

قَولُـهُ: أَخنَع يَعنِي: أَوضَع.

التحليل: أخنع: أوضع وأصغر. والخانع الذليل. يسمى: يدعى بذلك ويرضى به. **ملك الأملاك**: بكسر اللام من ملِك لا ملَك بفتح اللام لأنه واحد الملائكة. **شاهان شاه**: بكسر النون والهاء في آخره وقد تنون وليست هاء تأنيث. وهو بمعنى ملك الأملاك. وهو عند العجم: بمعنى ملك الملوك. **أغيظ**: أخبث الخلق وأبغضهم وأرداهم.

ومراد المؤلف من وضع هذه الترجمة هنا لأن المسمى بملك الأملاك قد تسمى بما يختص به الله لتضمنه العظمة والكبرياء التي لا تصلح إلا له فهو ناقص

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٠٦) ومسلم (٢١٤٣).

(٢) كذا ضبطها في البخاري.

(٣) عند مسلم (٢١٤٣).

الإيمان والتوحيد. ومناسبة الحديث للباب لذكر بيان حكم من تسمى بملك الأملاك وهو بمعنى قاضي القضاة. أن سبب خنوع من تسمى بملك الأملاك أنه لما تسمى بما فيه تعاظم وكبرياء ورضي بذلك جازاه الله بنقيض قصده وهو الهوان والذلة والصغار يوم القيامة، ووجه المنع لهذا الاسم ونحوه أنه لا ينطبق إلا على الله فالمتسمي بهذا الاسم فيه نوع مشاركة مع الله. فيما يختص به الله فلذا صار وضيعاً عند الله لأن الله له الحكم والملك المطلق وحده.

الشرح الإجمالي: إن الله سبحانه وتعالى هو ملك الأملاك على الإطلاق فلا يتسمى أحد من الناس بهذا الاسم وما في معناه من الأسماء التي فيها التعظيم والإجلال والكبرياء التي لا تكون إلا لرب العزة والجلال فهو المستحق لذلك وبين الرسول الكريم أن من تسمى بذلك فهو عند الله وضيعاً من أذل الناس وأهونهم وأخبثهم فما على المسلم إلا أن يعرف قدره وضعفه وحاجته إلى ربه فلا يتسمى بأسماء تتضمن عظمة الله وكبرياءه، فرحم الله امرأً عرف نفسه فقام بواجبها فحفظها مما يشينها من الآثام والذل والصغار.

الفوائد:

١- أنه لا يجوز التسمي بملك الأملاك فإنه لا مالك إلا الله.

٢- أن من تسمى بذلك فهو من أذل الناس وأهونهم على الله.

٣- أن كل ما فيه تعظيم وكبرياء لا يصح إطلاقه بتسمية أو وصف.

٤- أن من اعتقد في نفسه تلك التسمية أنه يستحقها فهو على خطر من ذلك.

٥- أن التحريم عام في هذا المعنى سواء كان بلفظ عربي أو أعجمي.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

أخنع - يسمى - ملك الأملاك - شاهان شاه - أغيظ - وما مراد المؤلف من وضع هذه الترجمة - وما مناسبة الحديث للترجمة - وما سبب خنوع من تسمى بملك الأملاك - وما حكم من تسمى ملك الأملاك - وهل يلحق بها في معناها.

اشرح بأسلوبك الخاص حول معنى هذه.



قالَ الإمامُ رَحمَه اللهُ:

٤٦- بـابٌ
احترامُ أسماء اللَّه تعالى وتغييرُ الاسم لأجل ذلك

عَن أَبِي شُرَيحٍ أَنَّـهُ كَانَ يُكَنَّى أَبَا الْـحَكَمِ فَقَالَ لَـهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ هُوَ الحَكَمُ، وَإِلَيهِ الحُكمُ» فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي، فَحَكَمْتُ بَيْنَـهُـمْ، فَرَضِيَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ. فَقَالَ: «مَا أَحْسَنَ هَذَا! فَمَا لَكَ مِنَ الْولَدَ؟» قَالَ: شُرَيْـحٌ، وَمُسْلِـمٌ، وَعَبْدُالله. قَالَ: «فَمَنْ أَكْبَرُهُـمْ؟» قُلتُ: شُرَيْـحٌ. قَالَ: «فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْـحٍ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيرُهُ[(١)].

التحليل: عن أبي شريح: عمرو الخزاعي وقيل غير ذلك. **يكنى:** الكنية ما صدر بأب أو أم ونحو ذلك. واللقب ما أشعر بمدح أو ذم. **أتوني:** جاؤوا إلي ليتحاكموا. **فرضي:** الرضى ضد السخط. **الفريقين:** تثنية فريق. **والفريق:** الطائفة من الناس. **الحكم:** بفتح الحاء الذي يفصل بين الناس. ومناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد أن المتسمي بأسماء الله الخاصة كالحكم كأنه شارك الله بهذا الاسم فيكون ناقض للتوحيد. ومناسبة الحديث للترجمة: ذكر تغير الأسماء احتراماً لأسماء الله حتى لا يكون له فيها مشارك.

الشرح الإجمالي: أن الله هو الحكم لا ينبغي لمخلوق أن يتسمى بالحكم لأن الله هو الحكم فهو الحاكم في الدنيا بالوحي إلى أنبيائه وفي الآخرة بالفصل بين

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٥٥) والنسائي (٥٣٨٧)، وهو صحيح.

خلقه وإليه الحكم ينتهي إليه كل ما في الدنيا والآخرة، فالحكم في الدنيا بشرعه وفي الآخرة يتولى الحكم بنفسه وحكم أبي شريح بين قومه بالآراء صلاح على ما يحصل فيه الرضا بينهم فهذا هو الذي أقره الرسول ﷺ بقول ما أحسن هذا فما أحسن هذا الحكم بالإصلاح بين الناس الذي يرضونه أو ما أحسن اعتذاره من الرسول ﷺ عن سبب التسمية والأولى أولى فما على المرء إلا أن يبتعد عن التسمي بأسماء الله وصفاته وأن يسعى بين قومه وغيرهم بالصلح لأن الصلح أخبرنا الله أنه خير والخير كلمة جامعة لكل ما ينفع واجتناب ما يضره فما لنا لا نتخلق بهذا الخلق السامي كل من المصلح والمتشاجرين في أمر غير مستبين.

الفوائد:

١- أنه لا يجوز التسمي بأسماء الله ولا بصفاته.

٢- جواز تغيير الاسم أو وجوبه إذا كان هناك مصلحة.

٣- جواز الكنية وأن تكون الكنية بأكبر الأبناء.

٤- مشروعية الصلح واستحبابه وأن يكون المصلح حكيماً ومصلياً.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

عن أبي شريح - يكنى - أتوني - فرض - الفريقين - الحكم - وما مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد وما مناسبة الحديث للترجمة.

اشرح بتعبيرك الخاص ما فهمته من معنى هذا الحديث.



قَالَ الإِمَامُ رَحِمَهُ اللهُ:

٤٧- بـابٌ
من هزل بشيء فيه ذكر الله
أو القرآن أو الرسول

وَقَولُ الله تَعالَى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥)﴾[سورة التوبة: ٦٥].

عَن ابنِ عُمَرَ، وَمُحَمَّدِ بنِ كَعبٍ، وَزَيدِ بن أَسْلَمَ، وَقَتَادَةَ -دَخَلَ حَدِيثُ بَعضِهِم فِي بَعضٍ- أَنَّهُ قَالَ رَجُلٌ فِي غَزوَةِ تَبُوكٍ: مَا رَأَينا مِثلَ قُرَّائِنَا هَؤُلاءِ أَرْغَبَ بُطُوناً، وَلَا أَكذَبَ أَلسُناً، وَلَا أَجبَنَ عِندَ اللِّقَاءِ؛ يَعنِي رَسُولَ الله ﷺ وَأَصحَابَهُ القُرَّاءَ. فَقَالَ لَهُ عَوفُ بنُ مَالِكٍ: كَذَبتَ، وَلكِنَّكَ مُنَافِقٌ، لأُخبِرَنَّ رَسُولَ الله ﷺ. فَذَهَب عَوفٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ لِيُخبِرَهُ، فَوَجَدَ القُرآنَ قَد سَبَقَهُ.

فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَقَد ارتَحَلَ وَرَكِبَ نَاقَتَهُ. فَقَالَ يَا رَسُولَ الله، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَتَحَدَّثُ حَدِيثَ الرَّكبِ، نَقطَعُ بِهِ عَنَّا الطَّرِيقَ. قَالَ ابنُ عُمَرَ: كَأَنِّي أَنظُرُ إِلَيهِ مُتَعَلِّقاً بِنِسْعَةِ نَاقَةِ رَسُولِ الله ﷺ وَإِنَّ الحِجَارَةَ تَنكُبُ رِجلَيهِ، وَهُوَ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [سورة التوبة: آية ٦٥]. فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥)﴾ لَا

تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ ﴾ [سورة التوبة: آية ٦٥-٦٦]» مَا يَلتَفِتُ إِلَيهِ، وَمَا يَزِيدُهُ عَلَيْـهِ[1].

التحليل: **نخوض:** الخوض التفاوض بالكلام. **تستهزئون:** تسخرون. **أرغب بطوناً:** أوسع بطوناً، كناية عن كثرة الأكل. **أجبن عند اللقاء:** فيهم جبن عند ملاقاة العدو فلا يقدمون لحربه وقتاله. **منافق:** المنافق من يظهر خلاف ما يبطن. **قد ارتحل:** شد رحله وسار من منزله، **والنسعة:** بكسر النون هي طرف الخطام أو الحبل المربوط به الرحل في بطن البعير. **تنكب رجليه:** تضرب رجليه من سرعة السير.

ومراد المؤلف من وضع هذه الترجمة: أن الاستهزاء بما ذكر تنقص لله وطعن في دينه وهذا ينافي التوحيد.

وسبب نزول الآية: أن بعض المنافقين في غزوة تبوك سَبُّوا بعض الصحابة كما في هذا الحديث، ومناسبة الآية للترجمة: أن من كفرهم باستهزائهم به وبآياته وبرسوله بقوله: ﴿قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ ﴾ [التوبة: ٦٦].

تنبيه: هل القائلون هذا الاستهزاء مؤمنون حين قولهم هذا أو لا، قيل: إن لهم إيماناً لكنه ضعيف، وقيل: بأنهم أظهروا الإيمان وهم على كفرهم فعبر بخروجهم من الإيمان ظاهراً وإلا فهم لم يؤمنوا وهم على كفرهم باقين. **لا تعتذروا:** اعتذارهم هو قولهم نتحدث حديث الركب لقطع الطريق فلم نقصد

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٠/ ١٧٢).

حقيقة الكلام. ومعنى **دخل حديث بعضهم في بعض**: أن هذه القصة مجموعة من رواياتهم. والقائل: ما رأينا مثل قرائنا... إلخ. هو وديعة بن ثابت أحد المنافقين وهذا مما يؤيد القول بأنهم ليسوا بمؤمنين. ومعنى **وما يزيد عليه**: على قوله: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة: ٦٥].

الإجمالي: إن على كل إنسان أن يكون كلامه معتدلاً سائراً دائماً على الوجه المشروع فلا يطلق لسانه بما يؤثمه أو يؤدي به إلى الكفر بالله الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة النصوح وليحذر كل إنسان من سوء العقيدة بالظن بالله وبكتابه وبرسوله وسنته فلا يرى كل ذلك حقاً فيسخر مستهيناً بهذا الحق العظيم بأهله الحقيقيين معتمداً بذلك على رأيه وعقيدته ومن يتصل من قرناء السوء الذين قد سرت إليهم عقائد الملحدين الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾ [النساء: ٣٨].

الفوائد:

١- أن الاستهزاء والهزل والسخرية بالله وبكتبه ورسله من الكفر بالله.

٢- أن الاستهزاء بالعلم وحملته بالحق، وعدم احترامهم من ذلك.

٣- أن من تكلم بكلام كفر يعلم تحريمه فإنه يكفر.

٤- الفرق بين العفو الذي يحبه الله وبين الغلظة والشدة على أعداء الله عند استهزائهم بشرع الله.

٥- أن إيمان القلب يستلزم العمل الظاهر بحسبه.

٦- تحريم التحدث والخوض فيما لا يجوز ومقابلة من فعل منكراً بالنص الدال على ما فعل من المنكر ليكون أشد ردعاً له وإقناعاً.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

نخوض - تستهزئون - أرغب بطونا - أجبن عند اللقاء - منافق - قد ارتحل - نسعة - تنكب رجليه - وما مراد المؤلف من وضع هذه الترجمة - وما سبب نزول الآية وما مناسبتها للترجمة - والذين قالوا هذا الاستهزاء هل هم مؤمنون أو كافرون - ومتى قالوا ذلك - وما هو اعتذارهم - ومن الذي تكلم بكلام الاستهزاء - وما معنى ما يزيده عليه - ما معنى دخل حديث بعضهم في بعض.

اشرح بأسلوبك ما فهمته من هذا الحديث مما ينفي التوحيد أو ينفي كماله الواجب.



قَالَ الإمامُ رَحمَه اللهُ:

٤٨- بـابٌ

قَولُ الله تعَالَـى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة فصِّلت: ٥٠].

قَالَ مُـجَاهِدٌ: هَذَا بِعَمَلِي، وَأَنَا مَحقُوقٌ بِـهِ[١].

وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: يُـرِيدُ: مِن عِندِي.

وَقَولُـهُ: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾ [سورة القصص: ٧٨].

قَالَ قَتَادَةَ: عَلَـى عِلمٍ مِنِّي بِوُجُوهِ المَكَاسِبِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: عَلَـى عِلمٍ مِنَ الله أَنِّي لَـهُ أَهلٌ. وَهَذَا مَعنَى قَولِ مُـجَاهِدٍ: أوتِيتُـهُ عَلَـى شَرَفٍ.

وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ أَنَّـهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ ثَلَاثَةً مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى، فَأَرَادَ الله أَنْ يَبْتَلِيَـهُـمْ، فَبَعَثَ إِلَيْـهِـمْ مَلَكًا، فَأَتَى الأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ وَيَذهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ بِـهِ. قَالَ: فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْـهُ قَذَرُهُ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا. قَالَ: فَأَيُّ الْـمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبِلُ أَوْ الْبَقَرُ -شَكَّ إِسحاقُ- فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، وَقَالَ: بَارَكَ الله لَكَ فِيهَا.

---

(١) رواه الطبري (٢٥/ ٣).

قَالَ: وَأَتَى الأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ بِـهِ. فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنهُ، وَأُعْطِيَ شَعرًا حَسَنًا. فَقَالَ: أَيُّ الْـمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ أَو الإِبِل. فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلاً؛ قَالَ: بَارَكَ الله لَكَ فِيهَا.

فَأَتَى الأَعْمَى، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَـرُدَّ الله إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرَ بِـهِ النَّاسَ. فَمَسَحَهُ، فَرَدَّ الله إِلَيْـهِ بَصَرَهُ. قَالَ: فَأَيُّ الْـمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ. فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا، فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِـهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ، وَلِـهَذَا وَادٍ مِنْ البَقَرِ، وَلِـهَذَا وَادٍ مِنْ الغَنَمِ.

قَالَ: ثُمَّ إِنَّـهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِـهِ وَهَيْئَتِـهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ قد انقَطَعَتْ بِيَ الْـحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلا بَلاغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلَّا بِالله ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْـحَسَنَ وَالْـجِلْدَ الْـحَسَنَ وَالْـمَالَ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ بِـهِ فِي سَفَرِي. فَقَالَ: الْـحُقُوق كَثِيرَةٌ. فَقَالَ: كَأَنِّي أَعرِفُكَ! أَلَـمْ تَكُنْ أَبْرَص يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ الله عَزَّ وَجَلَّ المَالَ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذا المَالَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ. فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، فَصَيَّـرَكَ الله إِلَـى مَا كُنْتَ.

وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِـهِ، فَقَالَ لَـهُ: مِثْلَ مَا قَالَ لِـهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْـهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْـهِ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، فَصَيَّـرَكَ إِلَـى مَا كُنْتَ.

قَالَ: وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِـهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ، قَد انقَطَعَتْ بِيَ الْـحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلا بَلاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِالله ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِـهَا فِي سَفَرِي. فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ الله إِلَيَّ بَصَرِي،

فَخُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ. فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ؛ فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ». أخرجاه[1].

التحليل: ضراء: الضراء ضد السراء. **فلننبئن:** فلنخبرن. **هذا لي:** قد فسر هذا تبع للحديث. **للحسنى:** الحسنى ضد السوء وهو الإحسان. **أبرص:** البرص داء يغير ظاهر الجلد ببياض. **أقرع:** داء يزيل شعر الرأس ويؤثر في بشرة الرأس. **قذرني الناس به:** القذر ضد النظافة، والمعنى عيرني الناس به وابتعدوا عنه كراهية لهذا الداء.

فمسحه: المسح إمرار اليد على الشيء. **ناقة عشراء:** بضم العين وهي الحامل. **فأنتج هذان:** تولى كل منهما نتاج ولادتها. **وولد هذا:** تولى ولادتها. **واد:** مجرى السيل الواسع. **مسكين:** فقير محتاج. **وابن سبيل:** مسافر. **انقطعت بي الحبال:** الأسباب. **أتبلغ به:** أتكفف به زاد. **في سفري:** مدة قطعي لمسافة السفر. **كابراً عن كابر:** ورثت هذا المال عن آبائي وأجدادي. **صيرك الله:** جعلك الله إلى ما كنت عليه سابقاً. **فلا بلاغ لي:** لا كفاف لي. **دع:** أترك. **لا أجهدك:** لا أشق عليك بمنع شيء من مالي. **أخذته لله:** ابتغاء ثوابه: **ابتليتم:** اختبرتم. **الرحمة:** الرخاء والمال والصحة ونحو ذلك. **قوله على صورته:** أن الملك تجلى له في صورته وهو أبرص ليذكره حالته الأولى، وكذلك الأقرع والأعمى وليظهر فاقته واستحقاقه للمساعدة. **ومعنى قوله الحقوق كثيرة:** النفقات الواجبة ونحوها.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٤) ومسلم (٢٩٦٤).

والمراد من وضع هذه الترجمة: أن النعم كلها من الله وإن إضافتها إلى قوة الإنسان وأسبابه ينافي كمال التوحيد.

لذا فمناسبة الحديث للباب هو قول الأبرص والأقرع إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر، فكفر بنعمة الله. وهذا مناف لكمال التوحيد أو أصله على حسب الاعتقاد.

الإجمالي: إن نعم الله على العبد لا تحصى ولا تعد ولا يستطيع أي إنسان أن يستبد بنعمة من النعم لم يقدرها له رب العزة والجلال، فمن أجهل الجهل وأقبح الاعتقاد أن يزعم الإنسان أنه ما حصل على شيء من هذه الدنيا إلا بسداد رأيه وعلو همته وقوته أو أنه قد ورثها عن آبائه وأجداده فلا علاقة لها بنعم الله وأنه ليس فيها حقوق للفقير وابن السبيل وغير ذلك من الواجبات التي أوجبها الله عليه في السنة المطهرة.

من الواجب والمستحب الذي يهدف إلى تأليف القلوب والتراحم والاجتماع، وهذا كله من نعم الله عليه وواجب عليه فيه ما هو واجب وما هو مستحب مع الشكر لله على نعمائه.

الفوائد:

١- مشروعية الاعتراف بنعم الله ونسبتها إليه، وشكره عليها.

٢- أن من جحد نعم الله عليه فهو كافر بنعمة الله.

٣- أن نعم الله على العبد لا تدل على الرضا من الله.

٤- أن من أضاف النعم إلى نفسه أو غيره باكتسابها فقد أخل في دينه وعقيدته لأن المنعم على الإطلاق هو الله.

٥- جواز طلب الاستعانة بالله ثم بالمخلوق في قضاء الحاجات وتنفيس الكربات.

٦- أن الابتلاء والاختبار في هذه الحياة من الله ليعلم الصابر الراضي بقضائه ممن لا يرضى بذلك.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

ضراء - فلننبئن - هذا لي - للحسنى - أبرص - أقرع - قذرني - فمسحه - ناقة عشراء - فأنتج هذان - وولد هذا - واد - مسكين - ابن سبيل - انقطعت بي الحبال - أتبلغ به - في سفري - كابراً عن كابر - صيرك الله - فلا بلاغ لي - دع - لا أجهدك - أخذته لله - ابتليتم - الرحمة - على صورته - إلى أين يرجع الضمير ولماذا، وما المراد من وضع هذا الترجمة، وما مناسبة الحديث لها؟

اشرح بأسلوبك ما عاقبة الكفران بالنعم وما علاقتها المنقطعة للتوحيد.

قَالَ الإمامُ رَحِمَه اللهُ:

٤٩- بـابٌ

قَولُ الله تَعالَـى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١٩٠﴾ [سورة الأعراف: ١٩٠].

قَالَ ابنُ حَزم: اتَّفَقُوا عَلَى تَحرِيمِ كُلِّ اسمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيرِ الله؛ كَعَبدِ عَمرٍو، وَعَبدِ الكَعبَةِ، وَمَا أَشبَهَ ذَلِك. حَاشَا عَبدَ الْمُطَّلِبِ.

وَعَن ابنِ عَبَّاسٍ فِي الآيَةِ: قَالَ: «لَـمَّا تَغَشَّاهَا آدَمُ حَـمَلَت، فَأَتَاهُـمَا إِبلِيسُ. فَقَالَ: إِنِّي صَاحِبُكُمَا الَّذِي أَخرَجتُكُمَا مِنَ الجَنَّةِ لِتُطِيعَانِي أَو لأَجعَلَنَّ لَـهُ قَرنِي أَيِّلٍ فَيَـخرُجُ مِن بَطنِكَ فَيَشقّه، وَلأَفعَلَنَّ، وَلأَفعَلَنَّ، يُـخَوِّفُهُـمَا. سَمِّيَاهُ عَبدَ الحَارِثِ. فَأَبَيَا أَن يُطِيعَاهُ، فَخَرَجَ مَيِّتاً، ثُمَّ حَـمَلَت، فَأَتَاهُـمَا. فَقَالَ مِثلَ قَولِـهِ: فَأَبَيَا أَن يُطِيعَاهُ، فَخَرَجَ مَيِّتاً، ثُمَّ حَـمَلَت فَأَتَاهُـمَا، فَذَكَرَ لَـهُـمَا، فَأَدرَكَهُـمَا حُبُّ الوَلَدِ، فَسَمَّيَاهُ عَبدَ الحَارِثِ، فَذَلِكَ قَولُـهُ: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾». رَوَاهُ ابنُ أَبِي حَاتِـمٍ[1].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (٨٦٥٤) وابن جرير (٩/ ١٤٦). قال ابن كثير في «تفسيره»: وكأنه - والله أعلم- أصله مأخوذ من أهل الكتاب، فإن ابن عباس رواه عن أبي بن كعب. ثم قال: وهذه الآثار يظهر عليها -والله أعلم- أنها من آثار أهل الكتاب، وقد صح الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم، ولا تكذبوهم» اهـ. (البخاري: ٤٤٨٥).

وَلَـهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَن قَتَادَةَ قَالَ: شُرَكَاءُ فِي طَاعَتِهِ، وَلَـم يَكُن فِي عِبَادَتِـهِ(١).

وَلَـهُ بِسَنَـدٍ صَحِيـحٍ عَـن مُـجَاهِـدٍ فِـي قَولِـهِ: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ [سورة الأعراف: ١٨٩]؛ **قَالَ: أَشْفَقَا أَن لَا يَكُونَ إِنسَاناً وَذَكَرَ مَعنَاهُ عَن الحَسَنِ وَسَعِيدٍ وَغَيرِهِـمَا.**

التحليل: فلما أتاهما: آدم وحواء. **جعلا له**: لله سبحانه. **شركاء فيما أتاهما**: من الولد حيث سمياه عبد الحارث. **اتفقوا**: العلماء. **كل اسم**: سمي به إنساناً. **معبد لغير الله**: مضاف إلى أي مخلوق ومثل لذلك بقوله كعبد عمر وعبد الكعبة: وعبد البيت العتيق، وما أشبه ذلك، كعبد الرسول أو عبد فلان أو فلان أو عبد الدينار والبعير والسيارة والطائرة والمال أو غير ذلك.

حاشا: حرف استثناء وهذا استثناء من العموم المستفاد من كل. **تغشاها**: وطئ آدم حواء، وأصل الغشي: التغطية. **قرني**: أي تثنية قرن بفتح الهمزة وكسر الياء المشددة وهو ما ينبت في رؤوس بعض الدواب، والمراد هنا قرن ذكر الأوعال. **أشفقا**: خافا كل من آدم وحواء. أن لا يولد لهما إنساناً. والمراد من هذه الترجمة: تحريم التعبيد لغير الله في الأسماء لما فيه من المنافاة لكمال التوحيد. وإذا قصدت الحقيقة فهو مناف لأصل التوحيد.

والضمير في قوله: **فلما أتاهما وما بعده**: راجع إلى آدم وحواء أو يرجع إلى جنس الرجل والمرأة من المشركين من ذرية آدم بدليل آخر الآية.

---

(١) رواه ابن جرير (٩/ ١٤٧).

﴿فَتَعَالَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١٩٠﴾ [الأعراف: ١٩٠]، ومعنى **فلما أتاهما صالحاً**: ولد لهما صالحٌ لا ميت ولا عيب فيه ولا بهيمة، ومعنى قوله **جعلا له شركاء**: شرك في الطاعة لا في العبادة وهي طاعتهم لإبليس بتسمية الولد عبدالحارث لأنه اسم إبليس حينما كان من الملائكة. واستثناء **عبدالمطلب**: فيه خلاف، قيل بجوازه، لأن أصله مبني على عبودية الرق ويؤيد هذا أن النبي ﷺ قال: أنا ابن عبدالمطلب ولا فخر. وقيل: لا يجوز، وقول إبليس **لأجعلن له ولأفعلن**: فهو لا يستطيع على شيء من ذلك وإنما هو تخويف لهم ليطيعوه. وحكم التسمية بالتعبد لغير الله شرك أصغر إذا لم تقصد الحقيقة.

الإجمالي: إن الله سبحانه هو الذي خلق الخلق لعبادته وحده دون سواه وأمرهم بذلك في قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]. فتبين بهذا أنه لا يجوز لأحد أن يضيف اسمه معبداً لغير الله ما دامت العبودية لله وحده، فما على الإنسان إذا أراد أن يسمي ولده معبداً ألا يضيف اسمه إلى أي مخلوق إنما يضيفه إلى خالقه ومعبوده وهو الله ليبتعد عن الشرك ووسائله والشيطان وغوائله فيسمي عبدالله وعبدالرحمن وفرداً محمداً أو صالحاً أو غير ذلك ولا يدخل على نفسه وأسرته الضرر المستمر في هذا التعبيد لغير الله لأنه قد يبقى شهرة على أسرته وقد يكون سبيلاً إلى الشر وخصوصاً إذا كان مضافاً إلى نبي أو ملك أو صحابي أو ولي ونحو ذلك.

الفوائد:

١- تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد النبي وعبد الحسين وعبد الحجر وغير ذلك.

٢- أن الشيطان حريصٌ على إغواء بني آدم حتى عن طريق الأسماء.

٣- الابتلاء والاختبار من هذا الدين ليتبين الصابر المطيع لربه من العاصي.

٤- أن تخويف العاجز ووعيده لا يؤثر إلا في النفوس الضعيفة.

٥- أن هذا الشرك المذكور في الطاعة لا في العبادة فهو شرك أصغر.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

فلما آتاهما - جعلا له - شركاء فيما آتاهما - اتفقوا - كل اسم - معبد لغير الله - حاشا - تغشاها - قرني أيل - اشفقا - ما المراد من هذه الترجمة - وإلى أين يرجع الضمير في قوله فلما آتاهما وما بعده - وما معنى ما آتاهما صالحاً - وما معنى جعل له شركاء، ولماذا أمرهما إبليس بتسمية الحارث، ولماذا استثنى: عبدالمطلب - وهل يستطيع إبليس في تخويفه لهما وما حكم التسمية بالتعبيد لغير الله.

قالَ الإمامُ رَحمَه اللهُ:

٥٠- بـابٌ

قَولُ الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ﴾ [سورة الأعراف ١٨٠].

ذَكَرَ ابنُ أَبِي حَاتِمٍ عَن ابنِ عَبَّاسٍ: ﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ﴾: يُشرِكُونَ.

وَعَنهُ: سَمَّوُا اللَّاتَ مِنَ الإِلَـهِ، وَالعُزَّى مِنَ العَزِيزِ.

وَعَن الأَعمَشِ: يُدخِلُونَ فِيهَا مَا لَيسَ مِنهَا.

التحليل: الأسماء الحسنى: الأسماء الحسان التي لا نقص فيها ولا أحسن منها. **ذروا**: اتركوا. **يلحدون في أسمائه**: يشركون، **وأصل اللحد**: الميل والعدول عن الشيء. **اللات**: اسم رجل صالح يعبد. **العزى**: اسم شجرة، تعبد وقد تقدم بيانهما. والمراد من وضع هذه الترجمة بيان أن الإلحاد في أسماء الله ينافي التوحيد أو ينافي كماله. والشاهد من الآية قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠] ووجه الدلالة في الآية أن الله أمرنا أن نترك الذين يلحدون في أسمائه ونبتعد عنهم.

تنبيه: أسماء الله لا تعد فلا تنحصر في التسعة والتسعين والدليل على ذلك الدعاء المأثور: أسألك بكل اسم هو لك إلى أن قال ﷺ: أو استأثرت به في علم الغيب عندك. من أسمائه: قال ابن القيم: إن أسماء الله التسعة والتسعين لها ثلاث مراتب:

الأولى: إحصاء ألفاظها وأسمائها وعددها.

الثانية: فهم معانيها ومدلولاتها.

الثالثة: الدعاء بها كما في الآية.

الدعاء نوعان: دعاء ثناء وعبادة، ودعاء طلب ومسألة.

الإجمالي: إن لله الأسماء الحسنى فعلى الإنسان أن يدعو ربه بهذه الأسماء سواء كان دعاؤه دعاء عبادة وثناء على ربه، أو دعاء طلب ومسألة من ربه يرجو منه الإجابة لأنه قد وعد بها في قوله: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]، وأن يحذر المرء من الاتصال بمن يلحد في أسماء الله بالشرك الذي لا يغفره الله كما اشتق المشركون من أسماء الله ألهتهم في قولهم اللات من الإله. والعزى من العزيز ولا تنفى كما نفاها المعطلون. فما على المسلم الحق إلا أن يتمسك بهدي القرآن الذي ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ۝٤٢﴾ [فصلت: ٤٢].

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

الأسماء الحسنى - ذروا - يلحدون- اللات - العزى - ما المراد من وضع هذه الترجمة وما الشاهد من الآية وما وجه الاستدلال بها- وهل أسماء الله منحصرة في التسعة والتسعين، واذكر الدليل على ما تقول- وللأسماء ثلاث مراتب فما هي- والدعاء نوعان، فما هما؟

اشرح بأسلوبك الخاص ما فهمته من هذا الباب.

قَالَ الإمامُ رَحِمَه اللهُ:

٥١- بـابٌ
لا يُقال: السلامُ على الله

فِي «الصَّحِيحِ»[١] عَنِ ابنِ مَسعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ قَالَ: كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلَاةِ قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَـى اللهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلَامُ عَلَـى فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَقُولُوا: السَّلَامُ عَلَـى اللهِ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ».

التحليل: إذا كنا في الصلاة: المفروضة وغيرها. السلام: السلامة من النقص والآلام. فلان وفلان: كلمة يعبر بها عن الشخص المبهم اسمه لقصد ما، أو لعدم معرفته. وفي بعض الروايات: على جبريل وميكائيل. هو السلام: السالم من كل نقص ومن كل عيب وتشبيه وتمثيل. والمراد من وضع هذه الترجمة: أن السلام على الله منقص للتوحيد لما فيه أن الله محتاج إلى أن يدعى له بالسلامة وهو غني عن ذلك،لأنه هو السلام عز وجل فهو يدعي ولا يدعى له. وهذا هو وجه النهي في الحديث.

الإجمالي: إن السلام اسم من أسماء الله المتضمن البركة من الله على عباده وسلامتهم من الآفات والمصائب والدعاء بهذا الاسم العظيم الذي اختير لهم في صلاتهم وفي دخولهم بيوتهم وفي ملاقاتهم بعضهم لبعض لتضمنه الفضل العظيم والمنافع العامة، لذا فهو أفضل ذكر الله فما على المرء المسلم إلا أن يكون ملازماً

---

(١) أخرجه البخاري (٨٣٥) ومسلم (٤٠٢).

لهذا الاسم بالسلام والتحية مع فهم معناه ليكون من المهتدين السالمين من الآفات التي يبتلى بها في هذه الحياة ويوم يقوم الأشهاد.

الفوائد:

١- أن الدين ليس بالرأي إنما هو باتباع سنة محمد ﷺ.

٢- أنه لا يجوز أن يقال السلام على الله من عباده لأن الله هو السلام.

٣- أن الشروع في السلام أن يُقال السلام عليكم وفي التحية في الصلاة السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

٤- أن هذا الاسم متضمن ذكر الله وبركته على عباده، وإجابة دعائهم بسلامتهم من الآفات والمصائب.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

في الصلاة - السلامة - فلان وفلان - ما هو فلان وفلان في بعض الروايات - هو السلام - وما المراد من وضع هذه الترجمة - وما وجه النهي في الحديث.

قَالَ الإِمَامُ رَحِمَه اللهُ:

٥٢- بـابٌ
قول: اللهمَّ اغفِرْ لي إن شئتَ

فِي «الصَّحِيحِ»[(١)] عَن أَبِي هُرَيرَةَ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اللَّـهُـمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّـهُـمَّ ارْحَـمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ الْـمَسْأَلَةَ، فَإِنَّ اللهَ لَا مُكْرِهَ لَـهُ».

وَلِـمُسلِـمٍ[(٢)]: «وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ».

التحليل: ليعزم المسألة: العزم إرادة الشيء والرغبة فيه، والمعنى وليجزم في طلبه ويحقق رغبته. **وليعظم الرغبة:** بتشديد الظاء، يقال: تعاظم الشيء كبر وعسر، والمعنى أنه لا يتعاظم ما يطلب من ربه.

لا يتعاظمه شيء أعطاه: فليس شيء عند الله عظيم وإن عظم. والمراد من وضع هذا الباب: أن الاستثناء في المسألة من الله يوهم أنه ليس في حاجة إلى ربه مع الدلالة على فتوره في الرغبة في سؤال ربه وذلك مما ينافي كمال التوحيد أو أصله إن اعتقد ذلك.

ووجه النهي عن الاستثناء: أنه يدل على قلب الرغبة في المطلوب وأنه إن حصل وإلا فهو في غنى عنه، لأن التخيير لا يصلح إلا للمخلوق الذي لا يعطي إلا بعد التأمل وقد لا يعطي إلا وهو كاره. ومعنى: أن الله لا مكره له: لا أحد

(١) أخرجه البخاري (٦٣٣٩) ومسلم (٢٦٧٩).

(٢) برقم (٢٦٧٩).

يكره الله ويجبره على إعطاء العبد ما يريد بل يعطي من يشاء ويمنع من يشاء لحكم وأسرار يريدها.

الإجمالي: إن الله سبحانه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وأنه لا يمل من السؤال من أي عبد من عباده حتى يملوا هم، وأنه سبحانه يعطي ويمنع لحكم وأسرار يريدها لا لرجاء نفع من أحد ولا خوف ضرر من أحد، فعلى المرء المسلم إذا سأل شيئاً من حاجاته سواء كانت دينية أو دنيوية أن يعزم المسألة في دعائه ربه وليلح في الدعاء، فالله يحب الملحين في الدعاء، فلا يسأم كما يسأم بني الإنسان، بل يداه مبسوطتان، سحاء الليل والنهار بالاستجابة لعباده في كل ما يسألونه من المشروع سؤاله سواء كان قليلاً أو كثيراً صغيراً أو عظيماً.

الفوائد:

١- تحريم الاستثناء بالدعاء بالسؤال من الله والدعاء.

٢- الأمر بالعزم بالمسألة فإن الله لا مكره له بخلاف الإنسان فقد يعطي وهو كاره.

٣- إن الله سبحانه لا يتعاظم شيئاً أعطاه وإن كان عظيماً أو كثيراً.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

ليعزم - المسألة - يعظم الرغبة- وما المراد من وضع هذا الباب وما وجه النهي عن الاستثناء، وما معنى أن الله لا مكره له.

واشرح بتعبيرك ما فهمته من هذا الحديث.

قالَ الإمامُ رَحِمَه اللهُ:

٥٣- بـابٌ
لا يقول: عبدي وأَمَتي

فِي «الصَّحِيحِ»[(١)] عَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ. وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي أَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي».

التحليل: لا يقل أحدكم: بسكون اللام للنهي. أطعم: من الإطعام. ربك: سيدك. وضيء ربك: أمر بالوضوء المعروف. فتاي: الفتى الحدث الشاب، والمراد هنا كل مملوك ولو كان كبيراً. وفتاتي: الفتاة، الشابة، وهو اسم للأمة ولو كانت كبيرة. والمراد من وضع هذا الباب تحقيق التوحيد في الألفاظ لأن هذه الكلمات إضافتها إلى غير الله فيها مشابهة لله.

الشرح الإجمالي: إن الشريعة لترمي إلى تحقيق التوحيد من جميع جوانبه البعيد منها والقريب والكبير منها والصغير، فهذا رسول الهدى ﷺ ينهى من له ولاية على رقيق أن يدعوه بعبده وأمته، لأن العبيد عبيد الله، والإماء إماء الله، كما أنه ينهى عن قول أطعم ربك لأن الربوبية المطلقة لله سبحانه، فلا يجوز صرفها لغيره ولا مضاهاته بشيء من أسمائه التي توهم الإشراك بالله، ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٥٢) ومسلم (٢٢٤٩).

الفوائد:

١- النهي عن قول الإنسان لرقيقه عبدي وأمتي، لأن العبيد عبيد الله والإماء إماء الله.

٢- إباحة قول سيدي ومولاي، لأن السيادة من الرياسة والمولى من الموالاة.

٣- تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ سداً للذرائع إلى الشرك بالله.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

لا يقل أحدكم - اطعم ربك - فتاي - فتاتي - والمراد بوضع هذا الباب، وما السبب في النهي عن قول عبدي وأمتي، وجواز سيدي ومولاي.

اشرح ما فهمته من هذا الباب بتعبيرك الخاص.

قَالَ الإمامُ رَحِمَه اللهُ:

٥٤- بـاب
لا يُـرَدُّ من سأل بالله

عَن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُـما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ سَأَلَ بِالله فَأَعْطُوهُ، وَمَنِ اسْتَعَاذَ بِالله فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُم فَأَجِيبُوهُ، وَمَن صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَـمْ تَـجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ؛ فَادْعُوا لَـهُ حَتَّى تَـرَوا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُـمُوهُ». رَواهُ أَبو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ[1] بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

التحليل: استعاذ بالله: التجأ إليه. **فأعيذوه**: امنعوه مما استعاذ بالله منه وادفعوه عنه. من صنع: أسدى وعمل. معروفاً: المعروف البر الجامع للخير. **فكافئوه**: المكافأة المجازاة بالمثل. **حتى تروا**: بضم التاء تظنوا، وبفتحها حتى تعلموا وهو أظهر، والمراد من وضع هذا الباب أن منع السائل بالله مناف لكمال التوحيد. والشاهد من الحديث الأمر بإعطاء السائل والأمر بالمكافأة: ليخلص الإنسان قلبه من إحسان المخلوق لأن الإحسان فيه نوع تأله فأمر بذلك حتى لا يبقى في قلبه تأله بغير الله. **ومعنى المكافأة بالدعاء**: أن يقول لصانع المعروف جزاك الله خيراً، والمراد بإجابة الدعوة: الدعوة إلى الطعام مطلقاً، وبعضهم خص الوجوب بوليمة العرس.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٦٧٢) والنسائي (٢٥٦٧).

الإجمالي: إن محمداً ﷺ قد حثَّ على مكارم الأخلاق ومن ذلك إعاذة من استعاذ، وإجابة من سأل بالله بما يستطيع في هذه الحياة وحث على صنع المعروف والمكافأة عليه لما في ذلك من التألف وطيب النفس وغناها والنفع عاجلاً وآجلاً ديناً ودنيا، وفعل المعروف والمكافأة من المروءة الإنسانية التي يحبها الله ورسوله فلا يهمل المكافأة على المعروف إلا اللئيم من الناس بخلاف أهل الدين والإيمان فإنهم هم أهل المعروف وأهل الصبر ودفع السيئة بالحسنة طاعة لله ومحبة لما يحبه ويرضاه، فكن أيها المسلم من هؤلاء الأبرار ولا تكن من اللئام.

الفوائد:

١ - استحباب إعاذة من استعاذ بالله وقد تكون واجبة.

٢- استحباب إعطاء السائل وإجابة الدعوة إلى وليمة عرس، وقد تكون واجبة.

٣- المكافأة على صنع المعروف وأن الدعاء يقوم مقام المكافأة عند عدمها.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

استعاذ بالله - فأعيذوه - من صنع - معروفاً - فكافئوه - حتى تروا - وما المراد من وضع هذا الباب، وما الحكمة في الأمر بالمكافأة، وما معنى المكافأة بالدعاء، وما المراد بإجابة الدعوة وما الشاهد من الحديث؟

واشرح بتعبيرك الخاص ما فهمته من هذا الباب.

قَالَ الإمامُ رَحِمَه اللهُ:

٥٥- بــابٌ
لا يُسألُ بوجه اللّه إلا الجنـة

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يُسأَلُ بِوَجهِ اللهِ إِلَّا الجَنَّةُ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ[1].

التحليل: لا يسأل: لا حرف نفي، والنفي أبلغ ورُوي بخطاب المفرد وبالبناء للمجهول وهو الأصح. بوجه الله: الذي لا تعلم كيفيته مع إثباته إثباتًا يليق بجلال الله وعظمته. إلا الجنة: التي أعدها الله لمن اتقاه، والمراد من وضع هذا الباب: أن السؤال بوجه الله من الدنيا الحقيرة مناف لكمال التوحيد والحكمة في تخصيص الجنة بالجواز لأنها أعلى المطالب وأعظمها.

تنبيه: قد ورد في حديث دعاء النبي ﷺ عند منصرفه من الطائف حين كذبوه قال فيه: أعوذ بنور وجهك، وفي حديث آخر: أعوذ بوجه الله الكريم.

وهنا ينهى عن السؤال بوجه الله إلا الجنة: والجمع أن السؤال الذي يقرب إلى الجنة والأسباب التي تؤدي إليها جائزة لأن الجنة هي أعلى المقاصد والمطالب بخلاف ما يختص بالدنيا فهو المنهي عنه هنا. انتهى من «فتح المجيد» باختصار.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٦٧١) وابن منده في «الرد على الجهمية» (ص٩٨) والبيهقي (٤/ ١٩٩) من طرق سليمان بن قرم بن معاذ عن ابن المنكدر عن جابر. وسليمان هذا ضعيف، وقد تفرد به كما قال الذهبي في «الميزان» (٢/ ٢٢٠).

الإجمالي: إن الله سبحانه وتعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلى، فلا يسأل بوجهه أمراً من أمور الدنيا الحقيرة التي ما خلق الله الخلق فيها من أجلها إنما خلقهم فيها للتزود منها للآخرة.

لذا فإنه لا يسأل بوجه الله إلا الجنة التي هي أعلى المقاصد والمطالب التي خلقت لأمر عظيم خلق من أجله الناس وهو عبادة الله وحده دون من سواه، فمن أخلص العبادة لله وعمل بأحكام شريعته فهو المستحق للجنة وأما من أشرك بالله وارتكب ما حرم الله فمأواه النار وما للظالمين من أنصار.

الفوائد:

١- النهي عن السؤال بوجه الله شيئاً من الأمور الدنيوية.

٢- مشروعية سؤال الله الجنة بوجه الله وما يوصل إليها.

٣- إثبات الوجه لله إثباتاً يليق بجلاله وعظمته خلافاً لمن نفى ذلك.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

لا يسأل - بوجه الله - الجنة - وما المراد من وضع هذا الباب وما مناسبة الباب قبله - وما الحكم في تخصيص الجنة بالجواز - وكيف تجمع بين هذا الحديث من المنع عن السؤال بوجه الله تعالى ودعاء النبي ﷺ بوجه الله تعالى في أحاديث أخر.

قالَ الإمامُ رَحمَه اللهُ:

٥٦- بــابٌ
ما جاء في (اللَّو)

وَقولُ الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [سورة آل عمران: ١٥٤].

وَقولُهُ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾ [سورة آل عمران: ١٦٨].

فِي «الصَّحِيحِ»(١) عَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِالله، وَلَا تَعْجَزَنَّ، فَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ، لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ (لَوْ) تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ».

التحليل: يقولون: الذين في قلوبهم شك وريب يوم أحد. لو كان لنا من الأمر شيء: من التصرف. ما قتلنا هاهنا: ظرف مكان، لفعلنا الأسباب التي تنجينا من القتل، وما علموا أن هذا أمر مقدر لا محالة، ولا مناص منه. لو أطاعونا ما قتلوا: لو سمعوا من مشورتنا عليهم في القعود وعدم الخروج ما قتلوا مع من قتل.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

احرص: الحرص العناية بالشيء والاهتمام به حتى لا يفوت. **واستعن بالله**: اطلب العون من الله واعتمد عليه لا على غيره. **ولا تعجزن**: لا تفرط ولا تقصر في العمل، بل اعمل الأسباب مع الاعتماد على الله. **كذا وكذا**: كناية عن شيء مبهم. **تفتح عمل الشيطان**: وساوس الشيطان وأوهامه التي يلقيها على الإنسان ليغويه، والمراد من وضع هذا الباب أن كلمة (لو) تأسف على ما فات وما جرى به قدر الله من المصائب وغيرها، فيفيد عدم الصبر والرضى بالقدر، وهذا ينافي كمال التوحيد. والذين قالوا لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا: هم المنافقون الذين تخلفوا عن غزوة أحد.

ومناسبة الآية للترجمة: أن الله ذم المنافقين على قولهم واستعمالهم حرف (لو) تأسفاً على خروجهم وقتل من قتل منهم مع أن هذا مقدر عليهم. وإخوانهم قيل إنهم إخوانهم في النسب، وقيل إخوانهم المسلمين في الظاهر، وهذا أظهر. ورد الله عليهم بقوله: ﴿فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ﴾ [آل عمران: ١٦٨]، والشاهد من الآية: أن الله عاب المنافقين في استعمالهم (لو) المفيدة معارضة القدر.

والحكمة في الإتيان بالاستعانة بعد الحرص أن لا يعتمد الإنسان على فعل الأسباب بل يفعل الأسباب مع الاستعانة بالله ولا يستعين بالله من دون فعل الأسباب: ومناسبة الحديث للترجمة ذكر النهي عن قول: لو أني فعلت كذا وكذا لكان كذا.

تنبيه: الجمع بين النهي في هذا الحديث عن قول (لو) وبين قول الرسول ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي» ويقول: لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت...

إلخ، أن المنهي عنه ما يكون فيه عدم الرضا بالقدر فيما مضى وفات ومعاتبته لما وقع من المقدر المكروه، أما إذا كان للمستقبل أو لبيان حكم أو عذر أو لتمني الخير فهذا جائز كما تقضيه الأحاديث الأخر.

الشرح الإجمالي: إن الله سبحانه قد قدر المقادير على خلقه وقضاها وانتهى منها فلا تصرف لأحد من الخلق فيها بتقديم ولا تأخير ولا استجلاب نفع لم يقدر حصوله ولا دفع ضرر لم يقدر دفعه بل كل شيء عنده بمقدار، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال. فلا ينفع الناس من تأسف على ما مضى وفات باستعمال (لو) التي أخبر رسول الهدى محمد ﷺ أنها مفتاح على وساوس الشيطان وأوهامه لبني الإنسان حتى لا يصبروا على ما قدر الله وقضاه من أمورهم الخاص منها والعام فعلى المسلم أن يفعل الأسباب التي تستجلب له المنافع وتدفع عنه المضار مع استعانته بالله واعتماده عليه في جميع أموره في شؤون هذه الحياة.

الفوائد:

١- أنه ليس لأحد من الأمر شيء إنما الأمر كله بيد الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

٢- أن المنافقين والملحدين لا يؤمنون بالله ويعتقدون أن سعادتهم بقوتهم وسداد رأيهم لا بأمر الله.

٣- الأمر بالحرص على ما ينفع الإنسان مع الاستعانة بالله.

٤- أنه بعد فعل الأسباب والاستعانة بالله لا يجوز التأسف على ما مضى واستعمال (لو) لأنها تفتح عمل الشيطان.

٥- أنه لا بد من فعل الأسباب مع التوكل على الله ومن يتوكل على الله فهو حسبه.

٦- أن من أصابته مصيبة فليرض بما قدر الله وقضاه.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

يقولون - لو كان لنا من الأمر شيء - ما قتلنا هاهنا - لو أطاعونا - ما قتلوا - احرص - استعن بالله - لا تعجز - كذا وكذا - تفتح عمل الشيطان - وما المراد من وضع هذه الترجمة - وما مناسبة الآية والحديث، ومن هم الذين قالوا لإخوانهم لو أطاعونا إلخ - ومن هم إخوانهم وبماذا رد الله عليهم - ولماذا نهى عن قول (لو) وما الحكم في الإتيان بالاستعانة بعد الحرص - وكيف الجمع بين النهي عن (لو) في هذا الحديث واستعمال الرسول لها في أحاديث أخر.

واشرح بأسلوبك الخاص ما فهمته من هذا الباب.

قَالَ الإِمَامُ رَحِمَه اللهُ:

٥٧- بـابٌ
النهيُ عن سبِّ الريح

عَن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ؛ فَإِذَا رَأَيْتُـمْ مَا تَكْرَهُونَ، فَقُولُوا: اللَّـهُـمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْـرِ هَذِهِ الرِّيحِ، وَخَيْـرِ مَا فِيهَا، وَخَيْـرِ مَا أُمِرَتْ بِـهِ. وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِـهِ». صَحَّحَهُ التِّـرمِذِيُّ[١].

التحليل: لا تسبوا: لا ناهية، والسب الشتم والطعن في شيء بنقص، والمعنى لا تشتموها وتنسبوا إليها الضرر. **الريح:** جمعها رياح وأرياح، وهي تهب بأمر الله. **خير:** كلمة جامعة لكل نافع. **نعوذ:** نلتجئ. **شر:** الشر ضد الخير، وهي كلمة جامعة لكل ما يضر. **فإذا رأيتم ما تكرهون:** من الرياح والكراهية ضد المحبة. **فاسألوا من خيرها:** مما يحدث بسببها من الخير. **وتعوذوا بالله من شرها:** مما يحدث من الضرر بسببها.

والمراد من وضع هذه الترجمة: أن سب الرياح ينافي كمال التوحيد، وقد ينافي أصله، لأن المدبر لها والمسخر هو الله تعالى، فلا فعل لها مستقل ألبتة. فإذاً يقع السب على الله تعالى الذي أرسلها وسخرها على ما يشاء. والفرق بين الرياح

---

(١) برقم (٢٢٥٢).

والريح بالأضداد، أن الرياح هي المثيرة للسحاب والملقحة له بخلاف المفرد، فهي محتمل أن تكون مأمورة بخير أو شر، ويدل على ذلك أن الرسول ﷺ قال في الدعاء: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً».

ومناسبة الحديث للترجمة: أن الإنسان مأمور بأن يسأل الله من خير الرياح ويستعيذ من شرها ولا يسبها.

الإجمالي: إن الريح مسخرة مدبرة بأمر العزيز الحكيم إلى حيث يشاء الله تعالى، وهي تحمل النفع أو الضر، فلا تدبير لها بنفسها ولا من غيرها من الخلق، فمن الحماقة أن تشتم الريح وتلعن ويسند إليها كل نفع أو ضرر، لأن الله هو الذي دبرها وسخرها كيف شاء فما على المؤمن بالله إلا أنه إذا رأى ما يكرهه من الريح من عواصف شديدة أو شدة حرارة أو برودة أن يسأل الله من خيرها ويستعيذ من شرها وشر ما أمرت به لعل الله ينجيه من أضرارها ويتفضل عليه من منافعها، والله ذو الفضل العظيم.

الفوائد:

١- النهي عن سب الريح لأنها مسخرة بأمر الله.

٢- أن من رأى ما يكره من الريح فليدع بهذا الدعاء.

٣- أن الريح قد تؤمر بخير وقد تؤمر بشر فليرض من ربه بتقدير الأمرين.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

لا تسبوا - الريح - خير - نعوذ - شر - فإذا رأيتم ما تكرهون - فاسألوا الله من خيرها - وتعوذوا به - من شرها - وما المراد من وضع هذه الترجمة - وما الفرق بين الريح والرياح - وما مناسبة الحديث للترجمة؟

واشرح بتعبيرك ما فهمته من هذا الباب.

قالَ الإمامُ رَحِمَه اللهُ:

٥٨- بابٌ

قولُ الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٥٤].

وقولُهُ: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [سورة الفتح: ٦].

الشرح الإجمالي: قَالَ ابنُ القَيِّمِ(١) فِي الآيَةِ الأُولَى: فُسِّرَ هَذَا الظَّنُّ [الَّذي لا يَلِيقُ بِالله] بِأَنَّهُ سُبحَانَهُ لَا يَنْصُرُ رَسُولَهُ [عَلَيْهِ السَّلَامُ]، وَأَنَّ أَمرَهُ سَيَضمَحِلُّ. وَفُسِّرَ بأَنَّ مَا أَصَابَهُ لَم يَكُن بقَدَرِ الله وَحِكمَتِهِ. فَفُسِّرَ بإِنكَارِ الحِكمَةِ، وَإِنكَارِ القَدَرِ، وَإِنكَارِ أَن يُتِمَّ أَمرَ رَسُولِهِ، وَأَن يُظهِرَهُ اللهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ. وَهَذَا هُوَ ظَنُّ السَّوءِ الَّذِي ظَنَّهُ المُنَافِقُونَ وَالمُشرِكُونَ فِي سُورَةِ الفَتحِ. وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا ظَنَّ السَّوءِ لأَنَّهُ ظَنّ غَيرَ مَا يَلِيقُ بِهِ سُبحَانَهُ. وَمَا يَلِيقُ بِحِكمَتِهِ وَحَمدِهِ وَوَعدِهِ الصَّادِقِ.

---

(١) في «زاد المعاد» (٣/ ٢٢٨-٢٣٥).

فَمَن ظَنَّ أَنَّـه يُدِيلُ البَاطِلَ عَلَـى الحَقِّ إِدَالَةً مُستَقِرَّةً يَضمَـحِلُّ مَعَهَا الحَقُّ، أَو أَنكَرَ أَن يَكُونَ مَا جَرَى بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، أَو أَنكَرَ أَن يَكُونَ قَدَرُه لِـحِكمَةٍ بَالِغَةٍ يَستَـحِقُّ عَلَيهَا الحَـمدَ -بَل زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ لِـمَشِيئَةٍ مُـجَرَّدَةٍ- فَذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا، فَوَيلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ.

وَأَكثَرُ النَّاسِ يَظُنُّونَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوءِ فِيمَا يَـختَصُّ بِـهِـم، وَفِيمَا يَفْعَلُـهُ بِغَيرِهِـم، وَلَا يَسْلَـمُ مِن ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ اللهَ وَأَسمَاءَهُ وَصِفَاتِـهِ، وَمُوجِبَ حِكمَتِـهِ وَحَـمدِهِ، فَلْيَعْتَنِ اللَّبِيبُ النَّاصِحُ لِنَفسِهِ بِـهَذَا، وَلْيَتُبْ إِلَى اللهِ، وَلْيَسْتَغْفِرْهُ مِن ظَنِّـهِ بِرَبِّـهِ ظَنَّ السَّوءِ. وَلَو فَتَّشْتَ مَنْ فَتَّشْتَ لَـرَأَيتَ عِندَهُ تَعَنُّتاً عَلَـى القَدَرِ وَمَلَامَةً لَـهُ، وَأَنَّـهُ كَانَ يَنبَغِي أَن يَكُونَ كَذَا وَكَذَا، فَمُسْتَقِلٌّ وَمُستَكثِرٌ. وَفَتِّشْ نَفسَكَ، هَل أَنتَ سَالِـمٌ من ذلكَ:

فَـإِن تَـنْجُ مِنهَـا تَـنْجُ مِـن ذِي عَظِيمَـةٍ ... وَإِلَّا فَـإِنِّــي لَا إِخالُــكَ نَــاجِياً

الفوائد:

١- أن حسن الظن بالله من حسن العبادة ومن واجب الإيمان والتوحيد.

٢- إثبات القدر وأن الرضا بالقضاء والقدر من سعادة الإنسان.

٣- أن الذي في قلبه نفاق تزعزعه المخاوف والسعي في الإفساد بين المسلمين.

٤- أن من ظن بالله السوء فقد تأسى بأهل الجاهلية.

التحليل للباب: الظن: التردد بين الشيئين أو ترجيح أحدهما على الآخر. **الحق**: ضد الباطل. **ظن السوء**: الظن السيء. **دائرة السوء**: ستدور عليهم الدائرة وهي الهزيمة. **الجاهلية**: نسبة على الجهل وهو ضد العلم.

والمراد من وضع هذه الترجمة: أن حسن الظن بالله من واجبات الإيمان وسوء الظن كفر بالله وهو مناف للتوحيد. ومعنى يظنون بالله ظن الجاهلية: هو تكذيبهم بالقدر وعدم إيمانهم به وظنهم أن أصحابهم لو أطاعوهم ما قتلوا. ونزلت هذه الآية في المنافقين يوم أحد، والقائل لهذه المقالة: أحدهم معتب بن قشير. ومعنى قوله: «لو كان لنا من الأمر شيء» استفهام نفي، والمعنى أنا خرجنا كرهاً ولو كان الأمر إلينا ما خرجنا.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

الظن - الحق - ظن السوء - دائرة السوء - الجاهلية - ما المراد بوضع هذه الترجمة - وما معنى يظنون بالله ظن الجاهلية وفيمن نزلت الآية، ومن القائل لو كان لنا من الأمر شيء... إلخ، وما معنى قولهم؟

واشرح بتعبيرك الخاص ما فهمته من هذا الباب.

قالَ الإمامُ رَحِمَه اللهُ:

٥٩- بـابٌ
ما جاء في مُنكِرِ القَدَرِ

وَقالَ ابنُ عُمَرَ: وَالَّذِي نَفسُ ابنِ عُمَرَ بِيَدِهِ، لَو كَانَ لأَحَدِهِـم مِثلُ أُحُدٍ ذَهَباً، ثُمَّ أَنفَقَهُ فِي سَبِيلِ الله مَا قَبِلَـهُ الله مِنهُ حَتَّى يُؤمِنَ بِالقَدَرِ. ثُمَّ استَدَلَّ بِقَولِ النَّبِيِّ ﷺ: «الإِيمانُ أَنْ تُؤمِنَ بالله، وَمَلَائِكَتِـهِ، وَكُتُبِـهِ، وَرُسُلِـهِ، وَاليَومِ الآخِرِ، وَتُؤمِنَ بالقَدَرِ خَيـرِهِ وشَرِّهِ» رَواهُ مُسلِـمٌ[١].

وَعَن عُبادَةَ بنِ الصَّامِتِ رَضيَ اللهُ عَنْـهُ أَنَّـهُ قَالَ لابنِـهِ: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَـجِدَ طَعْمَ الإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَـمَ أَنَّ مَا أَصابَكَ لَـمْ يَكُنْ لِيُـخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَـمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَـمَ، فَقَالَ لَـهُ: اكْتُبْ، فَقَالَ: رَبِّ! وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ». يَا بُنَيَّ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَـى غَيْـرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي»[٢].

وَفِي رِوَايَةٍ لأَحمَدَ[٣]: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ الله تَعَالَـى الْقَلَـمَ، فَقَالَ: اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِما هُوَ كَائِنٌ إِلَـى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

---

(١) برقم (٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠) والترمذي (٢١٥٥)، وهو صحيح.

(٣) (٥/٢١٧).

وَفِي رِوَايَةٍ لابنِ وَهبٍ[(١)] قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فَمَن لَم يُؤمِن بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، أَحْرقَهُ الله بِالنَّارِ».

وَفِي «المَسنَدِ»[(٢)] وَ«السُّنَنِ»[(٣)] عَن ابنِ الدَّيلَمِي قَالَ: أَتَيتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ: فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ الله أَنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِي. فَقَالَ: لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا قَبِلَهُ الله مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَكُنتَ مِن أَهلِ النَّارِ». قَالَ: فَأَتَيْتُ عَبْدَالله بْنَ مَسْعُودٍ وَحُذَيْفَةَ ابْنَ الْيَمَانِ وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ؛ فَكُلُّهُم حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. حَدِيثٌ صَحِيحٌ. رَوَاهُ الحَاكِمُ فِي «صَحِيحِهِ»[(٤)].

التحليل: والذي: قسم. **نفس ابن عمر بيده:** بيد الله. **حتى تؤمن بالقدر:** حتى تصدق بالقدر من خير وشر وحلو ومر ونفع وضرر. **خيره:** خير ما قدر الله. **وشره:** وشر ما قدر الله. والشر والخير ضدان لا يجتمعان. **طعم الإيمان:** حلاوة الإيمان. **القلم:** الذي يكتب به ما قدر الله. **فليس مني:** ليس على طريقتي.

---

(١) في كتاب «القدر» (٢٦)، وفي سنده انقطاع.

(٢) (٥/ ١٨٢).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٩٩) وابن ماجه (٧٧).

(٤) كذا قال: (رواه الحاكم في «صحيحه») وأرى أنه سبق قلم، صوابه: رواه ابن حبان في «صحيحه»، لسببين:

الأول: أن كتاب الحاكم يطلق عليه «المستدرك».

والثاني: أنه ليس في «المستدرك» بل في «صحيح ابن حبان» برقم (٧٢٧).

فجرى: سال بالكتابة. **بما هو كائن**: بما هو مقدر. **القدر**: كل ما قدر الله أن يكون. **أحرقه الله بالنار**: عذبه فيها بالإحراق.

والمراد من وضع هذه الترجمة: أن الإيمان بالقدر أحد أصول الدين الذي لا يتم الإيمان إلا به. وسبب حلف ابن عمر أن الراوي يحيى بن يعمر أخبره عن أناس يقرؤون القرآن ويتفقدون العلم: يعني يتطلبونه. ويقولون أنه لا قدر وأن الأمر أنف: ليس بقديم. لذا حلف ابن عمر أنه لا ينفعهم عمل ولا تقبل منهم نفقة حتى يؤمنوا بالقدر. وعلى رواية نصب أول والقلم: يكون المراد بالقلم أمره بالكتابة عند أول خلقه ولا يلزم أن يكون خلقه أول المخلوقات وعلى رواية الرفع فيفيد أن القلم أول مخلوقات الله. ولكن الصحيح النصب، لأن أول المخلوقات العرش، لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧].

تنبيه: أعلى مراتب القدر أربع:

١- علم الله بالأشياء قبل وجودها.

٢- وجود كتابتها من الله في اللوح المحفوظ قبل الخلق.

٣- مشيئته النافذة في كل موجود.

٤- خلقه للأشياء وتكوينها، وأنه قادر على كل شيء.

وأول من أنكر القدر معبد الجهني بالبصرة وأدرك هذا القول وأنكره بعض من الصحابة منهم ابن عمر وابن عباس.

الإجمالي: إن الله سبحانه قد قدر المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض وانتهى مما هو كائن إلى يوم القيامة فلا تغيير ولا تبديل لأمر الله، فلذا كان على

كل مؤمن بالله أن يؤمن بالقدر ويعلم أن ما أصابه في هذه الحياة من المصائب وغيرها لم يكن ليخطئه ولو اجتمع الخلق كلهم ما استطاعوا أن ينالوا أحداً بضرر لم يقدره الله تعالى عليه ولو اجتمعوا على أن ينفعوه بشيء لم يستطيعوا نفعه بشيء لم يقدره الله تعالى، فعلى المرء أن يتمسك بهذا الأصل العظيم الذي فيه الهدى والنور، وفيه الراحة والسرور واطمئنان النفوس ما دامت مؤمنة بما قدر الله أنه واقع لا محالة.

وفيه اتباع سنة محمد ﷺ والابتعاد عن أئمة الضلال وعدم الأخذ بأفعالهم وأقوالهم لأنهم ضلوا وأضلوا، وضلوا عن سواء السبيل في كل زمن من الأزمان والسنين، لا كثرهم الله تعالى.

الفوائد:

١- وجوب الإيمان بالقدر وإحباط عمل من لم يؤمن به.

٢- أنه لا يجد أحد حلاوة الإيمان إلا من آمن بما قضى الله تعالى وقدر.

٣- إن أول أمرٍ أمرَ الله تعالى به القلم جرى بما هو كائن إلى يوم القيامة.

٤- تبرؤه ﷺ ممن لا يؤمن بالقدر وتوعده على ذلك بدخول النار.

٥- أن الإنسان عليه الإيمان بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

٦- أن إزالة شبه المضلين تكون بسؤال العلماء المحققين.

٧- وجوب إزالة الشبه من العلماء عن الذي تحير في أمر ليتبين له الحق فيؤمن به.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

والذي - بيده - حتى يؤمن بالقدر - خيره - شره - طعم الإيمان - القلم - القدر - فليس مني - فجرى - أحرقه الله بالنار، وما المراد من وضع هذه الترجمة - وما سبب حلف ابن عمر - وفي رواية: نصب أول والقلم وفتحها على الرواية الثانية - اشرح المعنى على الروايتين - وبين مراتب القدر الأربع ومن أول من أنكر القدر.

قَالَ الإمامُ رَحمَه اللهُ:

٦٠- بـابُ
ما جاء في المصوِّرين

عَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنـهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «قَالَ اللهُ تَعالَـى: وَمَنْ أَظْلَـمُ مِـمَّنْ ذَهَبَ يَـخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَـخْلُقُوا ذَرَّةً، أَو لِيَـخْلُقُوا حَبَّةً، أَو لِيَـخلُقُوا شَعِيرةً». أَخرَجَاهُ[1].

وَلَـهُـما[2] عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنـها: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ الله».

وَلَـهُـما[3] عَن ابنِ عَبَّاسٍ: سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يُـجْعَلُ لَـهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفسٌ يُعَذَّبُ بِـهَا فِي جَهَنَّمَ».

وَلَـهُـما[4] عَنهُ مَرفُوعاً: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا، كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ».

وَلِـمُسلِـم[5] عَن أَبِي الهَيَّاجِ قَالَ: قَالَ لِي عَلِيٌّ: «أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَـى مَا بَعَثَنِي عَلَيْـهِ رَسُولُ الله ﷺ؟ أَنْ لَا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَـها، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَـهُ».

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٣) ومسلم (٢١١١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٥٤) ومسلم (٢١٠٧).

(٣) أخرجه البخاري (٢٢٢٥) ومسلم (٢١١٠)، واللفظ لمسلم.

(٤) أخرجه البخاري (٥٩٦٣) ومسلم (٢١١٠).

(٥) برقم (٩٦٩).

التحليل: **ومن أظلم:** استفهام إنكاري لا أحد أ ظلم من ذلك، والظلم وضع الشيء في غير موضعه. **يخلق كخلقي:** يصور مثل ما أخلق. **ذرة:** صغار النمل. **حبة:** حبة بر. **شعيرة:** حبة من شعير. **أشد:** أقوى. **يضاهئون:** المضاهاة المماثلة والمشاكلة. **صورة:** مفرد صور، وهي التماثيل. **كلف:** مبني للمجهول بما يشق عليه. **طمستها:** محيتها وأزلتها. **مشرفاً:** عالياً. **سويته:** واسيته للأرض بعد ارتفاعه وهو أن لا يتعدى القبر كما كان كذلك قبر النبي ﷺ. **ألا أبعثك:** البعث الإشارة والإرسال للتعليم وغيره. **إلا:** أداة استثناء. والمراد من وضع هذا الباب أن المصور ينازع الله في خلقه فيصنع مثله فهي معصية تنافي كمال التوحيد أو أصله على حسب المقاصد.

والمراد بالأمر بخلق الذرة أو الحبة أو الشعيرة: التعجيز بأضعف مخلوقات الله، سواء فيه روح أو لا فما أكبر من ذلك العجز منه أولى. ومناسبة حديث أبي هريرة: الإفادة بأن المصورين لا أظلم منهم لمضاهاتهم لخلق الله تعالى، وكذلك حديث عائشة مع أن المصورين أشد عذاباً يوم القيامة.

الإجمالي: لما كان التصوير فيه مضاهاة لله في خلقه وكان الله لا يماثله أحد لا في صفاته ولا في أفعاله فقد جاء الوعيد من رسول الهدى على أنه لا أحد أظلم من المصورين ثم تحداهم بما لا يدع مجالاً للشك بأنهم لا يستطيعون خلق أضعف خلق الله حيث أمرهم بأن يخلقوا ذرة أو حبة أو شعيرة ليتبين عجزهم ولتقوم الحجة عليهم فلا يعملون هذا العمل السيء هذا في الدنيا ثم أخبر أن عليهم الوعيد في الآخرة بتكليفهم بأمر يعجزون عنه وهو نفخ الروح في الإنسان ولا

يستطيعون ذلك ليظهر لهم جلياً واضحاً قيام الحجة عليهم لاستحقاقهم النار بسبب عصيانهم بارتكابهم هذا المحرم، فما على المسلم إلا أن يجتنب التصوير وعمله الذي عليه هذا الوعيد الشديد وليطلب الرزق من الأبواب الأخرى المفتحة فليس دونها حجاب، والله الهادي إلى الصواب.

الفوائد:

١- الوعيد الشديد على المصورين لمضاهاتهم خلق الله.

٢- إنه لا أظلم ممن يخلق مثل خلق الله.

٣- بيان قدرة الله وعجز المصورين عن خلق أدنى وأقل خلق الله.

٤- التصريح بأنهم أشد الناس عذاباً يوم القيامة.

٥- أن الله يخلق بعدد كل صورة نفساً يعذب المصور بها في جهنم ويكلف بنفخها ولن يستطيع ذلك.

٦- أن من صور صنماً ليُعبد من دون الله فهو كافر بالله ومرتكب كبيرة فيما سوى ذلك.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

ومن أظلم - يخلق كخلقي - ذرة - حبة - شعيرة - أشد - يضاهون - وما المراد من الأمر بخلق الذرة والحبة والشعيرة - وما مناسبة الحديثين للباب.

واشرح بتعبيرك الخاص ما فهمته من حكم المصورين وعذابهم، وما السبب في ذلك.

قَالَ الإِمامُ رَحِمَه اللهُ:

٦١- بـابٌ
ما جاء في كثرة الحلف

وَقَولُ الله تَعَالَـى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾ [سورة المائدة: ٨٩].

عَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «الْـحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَـمْـحَقَةٌ لِلْكَسْبِ». أَخرَجَاهُ[١].

وَعَن سَلمَانَ رَضيَ اللهُ عَنْـهُ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّـمُهُـمُ الله، وَلَا يُزَكِّيهِـمْ، وَلَـهُـمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أُشَيْـمِط زانٍ، وَعَائِلٌ مُستكبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ الله بِضَاعَتَـهُ؛ لَا يَشتَـرِي إِلَّا بِيَـمِينِـهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَـمِينِـهِ» رَوَاهُ الطَّبَرَانِي[٢] بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

وَفِي «الصَّحِيحِ»[٣] عَن عِمرَانَ بن حُصَينٍ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «خَيْـرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَـهُـمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَـهُـمْ -قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَدْرِي أَذْكَرَ بَعْدَ قَرْنِـهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا- ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَـخُونُونَ وَلَا يُؤْتَـمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِـمُ السِّمَنُ».

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٨٧) ومسلم (١٦٠٦).

(٢) برقم (٦١١١).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٥٠) ومسلم (٢٥٣٥).

وَفِيهِ[1] عَن ابنِ مَسعُودٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «خَيـرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَـهُـمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَـهُـمْ، ثُمَّ يَـجِيءُ قَومٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِـمْ يَـمِينَـهُ، وَيَـمِينُـهُ شَهَادَتَـهُ». وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: كَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَـى الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ وَنَحنُ صِغَارٌ.

التحليل: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾ [سورة المائدة: ٨٩]: لا تتركوها بغير تكفير واحفظوها عن الحنث فلا تحنثوها واحفظوها عن كثرة الحلف. **أشيمط:** تصغير أشمط وصغر تحقيراً له. وهو من في شعره بياض من شيب. **عائل:** العائل الفقير. **مستكبر:** متكبر على غيره. **خير أمتي:** أفضل أمتي وهم أمة الإجابة. **قرني:** القرن مائة سنة. والقرن أهل زمان واحد وهم المراد هنا. **فلا أدري:** فلا أعلم. **أذكر:** قال والهمزة للتقرير. **ويظهر:** يستبين. **فيهم السمن:** كثرة اللحم والشحم. من كثرة التنعيم بملاذ الدنيا.

والمراد من وضع هذا الباب أن كثرة الحلف بالله تؤدي إلى الحنث وعدم الكفارة وإلى الكذب وهذا فيه عدم احترام الله وتعظيمه وهو مناف لكمال التوحيد. أو مناف لأصله حسب الاعتقاد.

ومعنى الحلف منفقة للسلعة: لرواجها وسرعة بيعها. **ممحقة للبركة:** تمحو البركة من الكسب حتى ينقص أو يزول نفعه بالكلية سواء كان ذلك ظاهراً أم خفياً. **ومنفقة للسلعة:** أن يحلف أنه قد اشتراها بكذا أو أعطى فيها كذا وهو

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٢) ومسلم (٢٥٣٣).

كاذب ليصدقه المشتري فيشتريها. **ومعنى لا يكلمهم الله**: لا يكلمهم تكليم رضا إنما يكلمهم بالعقوبة ليزدادوا حسرة وندامة.

وخص هؤلاء الثلاثة بهذا الوعيد: اثنان لخبث طويتهم لما جبلوا عليه من المعصية الراسخة في نفوسهم وهم الشيخ والعائل وأما الرجل الذي جعل اللهَ بضاعته فهذا قد جمع بين عدم احترام الله وأسماء الله وتسرعٍ من دون تثبت. **ويخونون**: تكثر فيهم الخيانة لأنهم ليسوا محلاً للأمانة. **وينذرون**: يوجبون على أنفسهم ما ليس واجباً فلا يوفون به والوفاء بالنذر واجب، والجمع بين الأمر بالوفاء بالنذر والنهي عنه: أنه نهى عنه ابتداءً ويجب عليه إذا عقده الإنسان.

والشاهد من الحديث أن من استخف بالشهادة والأمانة والنذر كان دليلاً على استخفافه بالحلف وبأحكام الله وهذا مناف لكمال التوحيد.

وسبب ضربهم أبناءهم وهم صغار: تمريناً لهم على قول الحق وأن لا يقولوا الباطل من الحلف والكذب وشهادة الزور ونقض العهود - والمناسبة من الحديث والأثر ذم من استخف بالشهادة واليمين وأن من فعل ذلك فهو ناقض للتوحيد.

الفوائد:

١- الوصية والأمر من الله لبني الإنسان بحفظ الأيمان والعهود.

٢- أن كثرة الحلف بالله منفقة للسلعة ممحقة للكسب منقصة للدين.

٣- الوعيد الشديد على من لا يبيع ولا يشتري إلا بيمينه لعدم تقديره لله تعالى وأسمائه.

٤- ذم الذين يحلفون قبل أن يستحلفوا لعدم إجلالهم لله وتعظيم أسمائه.

٥- ذم الذين يشهدون بالباطل قبل أن يستشهدوا لعدم إيمانهم بالله.

٦- ذم الذين يخونون ولا يؤمنون وينذرون ولا يوفون لعدم اهتمامهم بحكم الله.

٧- أن أمة محمد أفضل قرونها القرن الأول الذي فيه محمد ﷺ وأصحابه ثم بعده قرنين لتمسك أهل تلك القرون بالإيمان والتقوى.

٨- تمرين السلف الصالح أولادهم على قول الحق وهم صغار.

الإجمالي: لما كان الإيمان بالله تعالى الذي شرع الحلف لبيان الحق من الباطل وقد يكون من الناس من يتساهل بالحق فيكثر من الحلف بالله كاذباً، لذا فإن الله سبحانه قد أمر ووصى بالحفاظ على الإيمان احتراماً وإجلالاً لله وحفاظاً على قول الحق واجتناب الباطل، ثم إن رسول الهدى ﷺ كرر ذلك محذراً أمته من كثرة الحلف والاستخفاف به وحذّر من شهادة الزور والشهادة الباطلة التي تصاغ من هوى النفس والشيطان قبل أن تطلب من الشاهد ثم أشاد بفضل أهل القرون الثلاثة لتمسكهم بالسنة لعلنا نتبع آثارهم ومن فضلهم ما أثر عنهم أنهم يعودون أولادهم على قول الحق واجتناب الباطل وهم صغار ليقولوا بذلك وهم كبار، فرحم الله امرأً تأسى بنبيه محمد ﷺ وبهؤلاء السلف الصالح ليكون من المؤمنين الذين قالوا: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠]، قالوا الحق وعملوا به.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

واحفظوا أيمانكم -أشيمط - عائل - مستكبر- خير أمتي - قرني - فلا أدري - أذكر - يظهر - السمن - الحلف منفقة للسلعة - ممحقة للكسب - يشهدون قبل أن يستشهدوا - يخونون - ولا يؤتمنون - وينذرون - ولا يوفون - وما الجمع بين الأمر بالوفاء بالنذر والنهي عن النذر.

وما الشاهد وما المناسبة من الحديث وما السبب في ضرب السلف أبناءهم وهم صغار؟

واشرح بأسلوبك الصحيح ما فهمته من هذا الباب من الأحكام الأصولية والفروعية.



قَالَ الإمامُ رَحِمَه اللهُ:

٦٢- بـابٌ
ما جاء في ذِمَّة اللَّه وذِمَّة نبيِّه

وَقَولُـهُ تَعَالَـى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ۝٩١﴾ [سورة النحل: ٩١].

وَعَن بُرَيدَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ بِتَقْوَى الله وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيـرًا، فَقَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ الله فِي سَبيلِ الله، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِالله، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا. وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُـمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ أَوْ خِلَالٍ، فَأَيَّتُـهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْـهُمْ. ثُمَّ ادْعُهُـمْ إِلَى الإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ. فَاقْبَلْ مِنْـهُمْ. ثُمَّ ادْعُهُـمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِـمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُـمْ أَنَّـهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ، فَلَـهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْـهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْـهَا، فَأَخْبِرْهُـمْ أَنَّـهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْـهِمْ حُكْمُ الله تَعَالَى، وَلَا يَكُونُ لَـهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْـهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُـمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْـهُمْ وَكُفَّ عَنْـهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِالله وَقَاتِلْـهُمْ.

وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ إِنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ.

وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، فَلَا تُنْزِلْهُمْ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ فِيهِمْ حُكْمَ اللهِ أَمْ لَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1].

التحليل: أوفوا: فعل أمر والوفاء ضد الغدر. **بعهد الله:** العهد الأمان والميثاق. **إذا عاهدتم:** عقدتم العهد فأوفوا به، **ولا تنقضوا:** لا ناهية، والنقض ضد الإبرام. **الأيمان:** جمع يمين وهو الحلف. **كفيلاً:** الكفيل الضامن. **جيشاً أو سرية:** الجيش يبلغ ٤٠٠ من الرجال فأكثر. والسرية: قطعة من الجيش تبلغ ٤٠٠ فأقل. **أوصاه:** الوصية العهد بالمحافظة على الشيء. **لا تفعلوا الغلول:** الأخذ من الغنيمة قبل قسمتها وبدون إذن من الإمام. **ولا تغدروا:** الغدر نقض العهد. **ولا تمثلوا:** التمثيل، التشويه بالقتيل كقطع أنفه وأذنه والعبث به. وكل اللامات الثلاثة للنهي. **وليداً:** الوليد، العبد والصبي، والمراد هنا الصبي. **أيتهن:** في محل نصب على الاشتغال، وقيل على نزع الخافض والأول أولى. والمعنى فإلى أيتهن أجابوك فاقبل منهم. **المهاجرين:** جمع مهاجر، والهجرة لغة: الترك. وشرعاً: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام. **أبوا:** امتنعوا. **الغنيمة:** ما أخذ من

---

(١) برقم (١٧٣١).

الأعداء بحرب وقتال. **والفيء**: ما أُخذ من الأعداء من دون قتال. **ذمة الله**: الذمة العهد. **تخفروا**: تنقضوا العهد. **حصن**: واحد الحصون، وهو ما يعد من البناء للحفاظ به من العدو. **لا تدري**: لا تعلم. **أتصيب**: الصواب ضد الخطأ، والهمزة للاستفهام. **اتقوا الله**: لغة جعل الوقاية من الشيء. وشرعاً: الأمر بفعل المأمور وترك المحظور. **خيراً**: كلمة جامعة لكل نافع، وهنا أن الأمير يفعل الأفضل مما يكون بمن معه من المجاهدين. **بسم الله**: مستعيناً بالله. **في سبيل الله**: في دينه وشرعه،، والمراد هنا قتال الأعداء للسلامة منهم ولإعلاء كلمة الله تعالى.

قاتلوا من كفر بالله: هذا عام يخصص منه النساء والصبيان والرهبان ما لم يكن منهم قتال أو رأي يرجع إليه، ويخص منه أيضاً المعاهد. **والخصال الثلاث**: هي الإسلام أو الجزية أو القتال. **وثم الأولى**: قيل زائدة وقيل حرف استفتاح. **ودار الهجرة**: حين ذاك المدينة النبوية.

والمناسبة من الآية للترجمة: الوفاء بالعهد وعدم نقضه لأن نقضه مناف لكمال التوحيد، ومناسبة الحديث: إنه لا ينزل أحد على حكم الله وذمته، وإنما ينزلون على ذمة وحكم المحاصرين لهم خوفاً من عدم الوفاء وعدم الوفاء لا يجوز وهو مناف لكمال التوحيد للنقص في حق الله تعالى ورسوله عليه السلام.

والمراد من وضع هذا الباب: أن عدم الوفاء بالعهد مناقض للتوحيد أو مناف لأصله على حسب الاعتقاد.

تنبيه: لا تعارض بين هذه الآية وبين الأخرى، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤]، وقوله: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾

[المائدة: ٨٩]، وقول الرسول ﷺ: «إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير منها، وكفرت عن يميني»: لأن الآية الأولى وغيرها من الأدلة: المراد منها الأيمان الداخلة في العهود والمواثيق. لا الأيمان الواردة على حث أو منع وهذا مقتضى الأدلة الثانية.

الإجمالي: إن أمر العهود والمواثيق والأيمان التابعة لها شأنها عظيم ونقضها خطير لكونها عاصمة للدم والمال، فإذا انقضت بالغدر والخيانة ذهب هذا الدم وهذا المال هدراً ضائعاً وذهبت الثقة بين الدول والشعوب فلا يثق أحد بعهود ومواثيق الآخرين فيبقى العالم مزعزع بالمخاوف التي تطرأ من الأعداء الأقوياء وتصبح الشعوب منهكة القوى مسلوبة الأموال مستعبدة النفوس بغير حق، لهذا وغيره فقد تكرر في القرآن العزيز والسنة المطهرة الأمر بالوفاء بالعهود والتحذير من نقضها خوفاً على العباد من البلاء والفتن والتي تذهب حقيقة الدين وتمزق الدول فتصبح الأمم تحت ولاية من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً، ومن يتول الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً.

الفوائد:

١- الأمر بالوفاء بالعهود المنهي عن نقضها ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾[النحل: ٩١].

٢- التهديد والوعيد على من نقض العهد بعد إبرامه لأنه قد استهان بأمر الله.

٣- الوصية لكل وال وأمير بتقوى الله ومن يرعاه من المسلمين.

٤- النهي عن الغلول والتمثيل بالقتيل والنهي عن قتل الصبيان وكل من لا يساهم في الحرب لا بقتال ولا بغيره.

٥- الأمر بدعوة الأعداء المحاربين إلى ثلاث خصال قبل الحرب وهي إما الإسلام أو الجزية أو القتال.

٦- أن من أسلم منهم فله ما للمسلمين من الحقوق، وعليه ما على المسلمين من التزام أصول الدين وأحكامه.

٧- أن المحاصر لقوم لا ينزلهم على ذمة الله وذمة رسوله أو حكمهما احتراماً لله ولرسوله من نقض ذلك لو نقضه، لأنه لا يعلم أيصيب فيهم حكم الله أو لا.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

أوفوا - بعهد الله - ولا تنقضوا - الأيمان - كفيلاً - جيش - سرية - وصاه - لا تغلوا - لا تغدروا - لا تمثلوا - ما معنى اللامات الثلاث - وليداً - أيتهن - ما إعرابها وما معناها - المهاجرين - أبوا - الغنيمة - الفيء - ذمة الله - تخفروا - حصن - لا تدري - أتصيب تقوى الله - خيرا - بسم الله - في سبيل الله - قاتلوا من كفر بالله - ما هي ثلاث الخصال - ثم الأولى ما حكمها - دار الهجرة.

وما مناسبة الآية والحديث للترجمة؟

وما المراد من وضع هذا الباب، وما الجمع بين هذه الآية وبين الآية الأخرى في قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ﴾[البقرة: ٢٢٤].

قَالَ الإِمامُ رَحمَه اللهُ:

٦٣- بـابٌ
ما جاء في الإقسام على الله

عَن جُندُبِ بنِ عَبدِالله رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «قَالَ رَجُلٌ: وَالله لَا يَغْفِرُ الله لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَـهُ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ». رَوَاهُ مُسلِمٌ[(١)].

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ: أَنَّ القَائِلَ رَجُلٌ عَابِدٌ. قَالَ أَبُو هُرَيرَةَ: تَكَلَّـمَ بِكَلِـمَةٍ أَوْبقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَـهُ[(٢)].

التحليل: والله: قسماً. لا يغفر: الغفر المحو والستر. لفلان: كلمة يعبر بها عمن لا يعرف اسمه أو لأمر ما. يتألى: بتشديدا للام، يحلف. **أحبطت عملك:** أبطلت ثواب عملك. **أوبقت دنياه:** أهلكت دنياه. وذهبت بثوابه في الآخرة.

والمراد من وضع هذا الباب: أن المتألي على الله كأن عنده علم من الغيب مما استأثر الله بعلمه، وهذا ينافي كمال التوحيد أو أصله أن اعتقد ذلك لأنه لا يعلم الغيب إلا الله.

ومناسبة الحديث للباب ذكر المتألي على الله بعلم الغيب الذي لا يعلمه إلا هو. والقائل رجل عابد من بني إسرائيل، قاله لرجل آخر رآه على ذنب فنهاه فلم ينته، فكرر عليه فلم ينته فقال ذلك.

---

(١) برقم (٢٦٢١).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٠١).

الإجمالي: إن الله سبحانه خلق الخلق لحكم منها ما نعلم ومنها ما لا نعلم، وإن من العلم الذي لا نعلمه القطع بعدم الغفران لأحد من بني الإنسان أو القطع لأحد بدخول الجنة أو النار، وإنما هذا كله أمره إلى الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فلا يسأل عما يفعل والخلق مسؤولون فعلى المرء أن يحفظ لسانه عما يكون سبباً لدخول الناس جهنم فيكبوا على وجوههم أو على مناخرهم جرآء حصائد ألسنتهم، ويقول علي رضي الله عنه:

عثرة المرء من فيه ترمي برأسه ... وعثرته بالرجل تبرى على مهمل

وفي المثل العامي: اللسان عدو الإنسان.

الفوائد:

١- تحريم التألي على الله لأنه من الإشراك بالله بمعنى أنه يعلم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله.

٢- الوعيد الشديد بإحباط عمل من تألى على الله تعالى.

٣- أن الجنة أقرب إلى شراك النعل والنار مثل ذلك، لحديث آخر بمعناه.

٤- الحذر من اللسان فيما يصدر عنه من الكلام المحبط للعمل أو المنقص للدين.

الأسئلة: اشرح الجمل والمفردات، وأجب عن الأسئلة التالية:

والله - لا يغفر - لفلان - يتألى - أحبطت عملك - أوبقت دنياه - وما المراد من وضع هذا الباب، وما مناسبة الحديث للباب ومن المتألي على الله وما السبب في ذلك.

قَالَ الإمامُ رَحمَه اللهُ:

٦٤- بـابٌ
لا يُستشفع بالله على خلقه

عَن جُبيرِ بنِ مُطعِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَـى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، نُـهِكَتِ الأَنْفُسُ، وَجَاعَ الْعِيَالُ، وَهَلَكَتِ الأَمْوَالُ؛ فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبَّكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِالله عَلَيْكَ، وَبِكَ عَلَـى الله. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سُبحَانَ الله! سُبحَانَ الله!» فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِـهِ. ثُمَّ قَالَ: «ويْـحَكَ أَتَدْرِي مَا اللهُ؟ إِنَّ شَأنَ الله أَعظَمُ مِن ذَلِكَ، إِنَّـهُ لَا يُستَشفَعُ بِالله عَلَـى أَحَدٍ مِن خَلقِهِ ...» وَذَكَرَ الحَدِيثَ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ[1].

التحليل: أعرابي: بدوي وهم الأعراب سكان البادية. **نهكت الأنفس:** بلغت غاية الجهد. **سبحان:** مصدر سبح، ومعناه التنزيه لله. **ويحك:** كلمة تقال يراد بها الزجر. **أتدري:** أتعلم، والهمزة للاستفهام الإنكاري لعدم معرفة السائل بعظمة الله وجلاله. والمراد من وضع هذا الباب أن الله أعظم من أن يستشفع به على أحد من خلقه حتى ولا رسول الله ﷺ، فهذا مناف للتوحيد. ومعنى **استسق لنا ربك:** اطلب لنا الغيث من الله، ومعنى **فإنّا نستشفع بالله عليك:** فإن نستشفع بأن يكون واسطة بيننا وبينك يشفع لنا عندك بأن تسقينا. ومعنى **وبك على الله:** ونستشفع بك يا رسول الله بأن تشفع لنا عند ربك أن يسقينا، وهذا لا بأس به في حياة الرسول ﷺ بأن يدعو الله بنزول الغيث.

---

(١) برقم (٤٧٢٦)، وهو ضعيف كما بينه شيخنا الألباني في «الضعيفة» (٢٦٣٩).

الإجمالي: إن الله سبحانه له الإرادة والقدرة المطلقة فلا يستشفع به على أحد من خلقه، فهو سبحانه وتعالى أعظم من ذلك فكيف يجعل بهذه المثابة وهو الذي خلق الشافع والمشفوع به بل هو الذي خلق السماوات والأرض مع عظمها فلا أجهل ممن يقول بهذا القول أو ما معناه مما هو من أمر الله الذي لا يقدر عليه إلا هو، فهذا الرسول الكريم ﷺ لما قال هذا الأعرابي تلك المقالة التي تؤلم القلوب المؤمنة وتقشعر منها جلود الذين يخشون الله تغير وجه الرسول ﷺ متأثراً متألماً من هذا الكلام فجعل يكرر كثير التسبيح منزهاً الله من هذا وغيره مما لا يليق به سبحانه وتعالى، فعلى المسلم أن يؤمن بالله مع الإجلال والتعظيم له، فإنه نعم المولى ونعم النصير.

الفوائد:

١- عظم ذنب من قال نستشفع بالله على رسول الله ﷺ وغيره من الخلق لأنه شرك بالله.

٢- المسارعة إلى إنكار المنكر الذي لا يمكن تأخيره لمصلحة أخرى.

٣- الابتعاد عن القول بالكلام الذي لا يليق بالله وجلاله وعظمته.

٤- أن الاستشفاع بالدعاء من النبي ﷺ في حياته ومن غيره من الأحياء جائز.

قَالَ الإِمَامُ رَحِمَهُ اللهُ:

٦٥- بـابٌ
ما جاء في حماية النبي ﷺ
حِمَى التوحيد وسدِّه طُرُقَ الشِّرك

عَن عَبدِالله بنِ الشِّخِّيرِ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ قَالَ: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَـى رَسُولِ الله ﷺ فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا. فَقَالَ: «السَّيِّدُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَـى». قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلاً، وَأَعْظَمُنَا طَوْلاً، فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَـجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ[1] بِسَنَدٍ جَيِّدٍ.

وَعَن أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ: أَنَّ نَاساً قَالُوا: يَا رَسُولَ الله! يَا خَيْـرَنَا وَابْنَ خَيْـرِنَا! وَيَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا! فَقَالَ: «يَا أَيُّـهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَـهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُـحَمَّدُ بْنُ عَبْدِالله وَرَسُولُـهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَـرْفَعُونِي فَوْقَ مَنزِلَتِي الَّتِي أَنزَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ». رَوَاهُ النَّسَائِيُّ[2] بِسَنَدٍ جَيِّدٍ.

التحليل: وفد: الوفد من يقدم من مكان إلى مكان آخر لغرض. سيدنا: رئيسنا. السيد الله: السؤدد الكامل لله. تبارك: تعاظم. وتعالى: فوق سماواته. طولاً: امتناناً. لا: ناهية. يستجيرنكم: يحملنكم الشيطان على قول ما لا يجوز. يستهوينكم: يذهب عقولكم وما تهوونه. منزلتي: مقامي الذي جعلني الله فيه، وهو العبودية والرسالة.

---

(١) برقم (٤٨٠٦).

(٢) في «الكبرى» (١٠٠٧٨).

والمراد من وضع هذه الترجمة: حماية التوحيد من الأقوال والأفعال التي تؤول إلى الغلو القادح في التوحيد أو تنافي كماله.

الإجمالي: إن أبواب الشرك وطرقه متشعبة كثيرة والشيطان حريص على هلاك الإنسان بأي طريق يتوصل به إليه بهلاك ابن آدم وأكثر ما يحاول هلاكه من الطرق المؤدية إلى الشرك بالله الذي لا يغفره الله الذي مبدؤه كثيراً ما يكون في الغلو والتعظيم للأنبياء والصالحين حتى يتوصل إلى هدفه المنشود الذي يسعى إلى تحقيقه وهو الشرك بالله، فيبلغ نهاية قصده من الإنسان، إن أعمال المشرك كلها باطلة مهما عمل من عمل ما دامت ممزوجة أو مختلطة بالشرك بالله، فما على المسلم إلا أن يسد أبواب الشرك كلها باتباع محمد ﷺ.

الفوائد:

١- تحريم الغلو بالإطراء حتى في مدح الرسول ﷺ.

٢- المسارعة في إنكار المنكر حتى في الأقوال المخالفة لدين الله.

٣- الشيطان حريص على إهلاك بني الإنسان بإفساد عقائدهم بالشرك بالله.

قالَ الإمامُ رَحمَه اللهُ:

٦٦- بـابٌ

مَا جَاءَ فِي قَولِ الله تَعالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة الزمر: ٦٧].

عَن ابنِ مَسعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ الله يَجْعَلُ السَّماوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْماءَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ؛ تَصْدِيقاً لِقَوْلِ الْحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ: «﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾» [سورة الزمر: ٦٧].

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسلِمٍ[1]: وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا اللهُ.

وَفِي رِوَايَةٍ للبُخَارِيِّ[2]: يَجْعَلُ السَّماوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْماءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلقِ عَلَى إِصْبَعٍ. أَخرَجَاهُ.

---

(١) برقم (٢٧٨٦).

(٢) برقم (٤٨١١).

وَلِمُسلِمٍ[(١)] عَن ابنِ عُمَرَ مَرفُوعاً: «يَطْوِي الله السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ السَّبعَ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟».

وَرُوِيَ عَن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: مَا السَّمَاوَاتُ السَّبعُ وَالأَرَضُونَ السَّبعُ فِي كَفِّ الرَّحمَنِ إِلَّا كَخَردَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُم[(٢)].

---

(١) برقم (٢٧٨٨) من طريق عمر بن حمزة بن عبدالله بن عمر ابن الخطاب عن سالم عن ابن عمر به، وعمر بن حمزة ضعيف.

ورواه البخاري (٧٤١٢) من طريق عبيدالله عن نافع عن ابن عمر، ومسلم (٢٧٨٨- ٢٥، ٢٦) من طريق عبيدالله بن مقسم عن ابن عمر وليس عندما لفظ الشمال.

قال البيهقي في كتاب «الأسماء والصفات» (ص٣٢٤): ذكر الشمال في هذا الحديث تفرد به عمر بن حمزة عن سالم، وقد روى هذا الحديث نافع وعبيدالله بن مقسم عن ابن عمر ولم يذكرا فيه الشمال. ورواه أبو هريرة وغيره عن النبي ﷺ فلم يذكر أحد منهم الشمال. اهـ.

قلت: ثم هذا الحديث يخالف حديث عبدالله بن عمرو، عند مسلم (١٨٢٧): «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين».

وللشيخ علوي السقاف بحث نفيس ضمن كتابه المستطاب «صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة» (ص٢٧٦-٢٨٣) عن إثبات لفظة الشمال لله عز وجل ونفيها، وذكر مَن أثبتها من أهل العلم -ومنهم الشيخ المجدد محمد بن عبدالوهاب رحمه الله- ومَن نفاها مع أدلتهم، ثم رجح بينها.

(٢) رواه عبدالله بن أحمد في «السنة» (١٠٩٠) وابن جرير في «تفسيره» (٢٤/ ٢٥).



وَقَالَ ابنُ جريرٍ[(١)]: حَدَّثَنِي يُونُس، أَخبَرَنَا ابنُ وَهبٍ قَالَ: قَالَ ابنُ زَيدٍ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: مَا السَّماوَاتُ السَّبعُ فِي الكُرسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِـمَ سبعةٍ أُلقِيَت فِي تُـرْسٍ.

وَقَالَ[(٢)]: قَالَ أَبو ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ: سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَا الكُرسِيُّ فِي العَرشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِن حَدِيدٍ أُلقِيَت بَينَ ظَهرَي فَلَاةٍ مِنَ الأَرضِ».

وَعَن ابنِ مَسعُودٍ قَالَ: بَينَ السَّماءِ الدُّنيَا وَالَّتِي تَلِيهَا خَـمسُ مِئَةِ عَامٍ، وَبَينَ كُلِّ سَماءٍ وَسَماءٍ خَـمسُ مِئَةِ عَامٍ، وَبَينَ السَّماءِ السَّابِعَةِ وَالكُرسِيِّ خَـمسُ مِئَةِ عَامٍ، وَبَينَ الكُرسِيِّ وَالمَاءِ خَـمسُ مِئَةِ عَامٍ، وَالعَرشُ فَوقَ المَاءِ. وَالله فَوقَ العَرشِ، لَا يَـخفَى عَلَيهِ شَيءٌ مِن أَعمَالِكُم. أَخرَجَهُ ابنُ مَهدِيٍّ عَن حَـمَّادِ بنِ سَلَـمَةَ عَن عَاصِمٍ عَن زِرٍّ عَن عَبدِالله، وَرَوَاهُ بِنَحوِهِ المَسعُودِيُّ عَن عَاصِمٍ عَن أَبِي وَائِلٍ عَن عَبدِالله[(٣)].

قَالَـهُ الحَافِظُ الذَّهَبِيُّ رَحِـمَهُ الله تَعَالَـى. قَالَ: وَلَـهُ طُرُقٌ.

---

(١) (٣/ ١٠) وفي سنده عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وهو متروك، وأبوه تابعيٌّ لم يدرك النبي ﷺ، فهو مرسل.

(٢) رواه الطبري (٣/ ١٠) أيضاً، وإسناده إسناد سابقه، فهو ضعيف.

(٣) رواه الدارمي في «الرد على الجهمية» (٨١) وابن خزيمة في «التوحيد» (١٤٩) والطبراني (٨٩٨٧)، وانظر «فتح الباري» (١٣/ ٤١٣).

وطريق المسعودي أخرجها الخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (٢/ ٤٧) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٠٢-٤٠٣).



وَعَنِ العَبَّاسِ بنِ عَبدِ المُطَّلِبِ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؟» قُلْنَا: الله وَرَسُولُـهُ أَعْلَـمُ. قَالَ: «بَيْنَـهُـمَا مَسِيرَةُ خَـمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَـى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَـمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَـمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالعَرْشِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِـهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَالله تَعَالَـى فَوْقَ ذَلِكَ، وليس يَـخْفَى عَلَيْـهِ شَيءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ» أَخرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيرُهُ[1].

والحمدُ لله رب العالمينَ
وصلى اللهُ وسلَم على سيِّدنا مُحمدٍ
وعلى آلهِ وصحبه أجمعينَ

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٤) و(٤٧٢٥) والترمذي (٣٣٢٠) وأحمد (١/ ٢٠٦-٢٠٧)، وهو ضعيف.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة